

الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري (إشكالياته في ضوء المصادر المملوكية)

Prince Shams al-Din Qarasnqr al-Mansouri: Issues based on the Mamluk Sources

د. سند أحمد عبد الفتاح
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة عين شمس
مصر

Dr. Sanad Ahmed Abdel Fattah
Department of History - Faculty of Arts
Ain-Shams University
Egypt



١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م (سبتمبر)

ISSN: 1560 - 5248

ISSN: 1560 - 5248

الرسالة ٤٨٤ - الحولية ٣٨



Monograph 484 - Volume 38

١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م (سبتمبر)

1438 A.H/2017 (Sep.)

RATES

- Kuwait: K.D 0.500 Bahrain: BD 1 Qatar: RQ 10
 Emirates: DH 10 Saudi Arabia: RS 10 Oman: RO 1
 Cost per issue in Arab Countries: Equivalent to one US dollar
 Cost per issue in other Countries: Equivalent to three US dollars

Subscription for 12 Monographs

Subscription Period	Subscription Type	Kuwait	Arab Countries	Foreign Countries
1 Year	Individuals	4 K.D	6 K.D	22 \$
	Institutions	22 K.D	22 K.D	90 \$
2 Years	Individuals	7 K.D	10 K.D	37 \$
	Institutions	37 K.D	37 K.D	150 \$
3 Years	Individuals	10 K.D	14 K.D	52 \$
	Institutions	52 K.D	52 K.D	210 \$
4 Years	Individuals	13 K.D	18 K.D	67 \$
	Institutions	67 K.D	67 K.D	270 \$

All correspondence and enquiries must be addressed to:

Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

P.O Box 17370 El-Khaldiah - KUWAIT 72454

Tel: 24830256 - Fax: 24830256

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

E-mail: aass@ku.edu.kw

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS/

Full texts are available at:
EBSCO Publishing Products
Dar Al Mandumah: www.mandumah.com

The Publications of The Academic Publication Council

Journal of the Social Sciences 1975, Authorship Translation for the Humanities 1981, The	Journal of the Social Sciences 1975, Authorship Translation for the Humanities 1981, The
1973, Kuwait Journal of and Publication Committee Educational Journal 1983,	1973, Kuwait Journal of and Publication Committee Educational Journal 1983,
Science and Engineering 1974, 1976, Journal of Law 1977, Journal of Sharia and Islamic	Science and Engineering 1974, 1976, Journal of Law 1977, Journal of Sharia and Islamic
Journal of the Gulf and Annals of the Arts and Social Studies 1983, Arab Journal of	Journal of the Gulf and Annals of the Arts and Social Studies 1983, Arab Journal of
Arabian Peninsula Studies Sciences 1980, Arab Journal Administrative Sciences 1991.	Arabian Peninsula Studies Sciences 1980, Arab Journal Administrative Sciences 1991.

ثمن العدد

- الكويت: ٥٠٠ فلس البحرين: دينار واحد قطر: ١٠ ريالات
 الإمارات: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات عمان: ريال واحد
 ثمن النسخة في دول الوطن العربي ما يعادل دولاراً واحداً
 ثمن النسخة في الدول الأجنبية ما يعادل ثلاثة دولارات

الاشتراك السنوي لعدد (١٢) رسالة

سنوات الاشتراك	نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
سنة واحدة	أفراد	٤ دنانير	٦ دنانير	٢٢ دولاراً
	مؤسسات	٢٢ ديناراً	٢٢ ديناراً	٩٠ دولاراً
سنتين	أفراد	٧ دنانير	١٠ دنانير	٣٧ دولاراً
	مؤسسات	٣٧ ديناراً	٣٧ ديناراً	١٥٠ دولاراً
٣ سنوات	أفراد	١٠ دنانير	١٤ ديناراً	٥٢ دولاراً
	مؤسسات	٥٣ ديناراً	٥٢ ديناراً	٢١٠ دولاراً
٤ سنوات	أفراد	١٣ ديناراً	١٨ ديناراً	٦٧ دولاراً
	مؤسسات	٦٧ ديناراً	٦٧ ديناراً	٢٧٠ دولاراً

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية استفسارات أخرى

توجه إلى رئيس تحرير حويليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص. ب: ١٧٣٧٠ الخالدية - الكويت: 72454 - ت: ٢٤٨٣٠٢٥٦ - فاكس ٢٤٨٣٠٢٥٦

ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

E-mail: aass@ku.edu.kw

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS/

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى:

EBSCO Publishing Products

دار المنظومة: www.mandumah.com

إصدارات مجلس النشر العلمي

مجلة العلوم الاجتماعية ١٩٧٣، مجلة الكويت للعلوم والهندسة ١٩٧٤، دراسات الخليج والجزيرة	العربية ١٩٧٥، لجنة التأليف والتعريب والنشر ١٩٧٦، مجلة الحقوق ١٩٧٧، حويليات الآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٨٠، المجلة العربية للعلوم	الإنسانية ١٩٨١، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ١٩٨٣، المجلة التربوية ١٩٨٣، المجلة العربية للعلوم الإدارية ١٩٩١.
---	--	---

حلوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

فصلية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل
وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات
اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم
الاجتماعية:

الآداب:

اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية وآدابها،
التاريخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعية:

الاجتماع والخدمة الاجتماعية، الجغرافيا، علم
النفس، العلوم السياسية.

الحولية الثامنة والثلاثون

الرسالة الرابعة والثمانون بعد المئة الرابعة

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

هيئة التحرير

أ. د. يعقوب يوسف الكندري

رئيس هيئة التحرير

أ. د. جاسم سليمان الفهيد

قسم اللغة العربية وآدابها

أ. د. عويد سلطان المشعان

قسم علم النفس

أ. د. مجدي صالح عبد الحافظ

قسم الفلسفة

أ. د. هادي مختار اشكناني

قسم الاجتماع

د. عبد المحسن أحمد الطبطبائي

قسم اللغة العربية وآدابها

د. مناور بيان الراجحي

قسم الإعلام

د. سند أحمد عبد الفتاح

قسم التاريخ

د. ليلي محمد حكمت المالح

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

مها إبراهيم المسعد

مديرة التحرير

الهيئة الاستشارية

أ. د. باسل حاتم

الجامعة الأمريكية - الشارقة
الإمارات العربية المتحدة

أ. د. منى بيكر

جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

أ. د. إبراهيم السعافين

قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

أ. د. عبدالقادر الفاسي الفهري

قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

أ. د. إسماعيل صبري مقلد

قسم العلوم السياسية - جامعة أسيوط

أ. د. إمام عبدالفتاح إمام

قسم الفلسفة - جامعة عين شمس

أ. د. حمدي حسن أبو العينين

عميد كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

أ. د. محمد محمود إبراهيم الديب

قسم الجغرافيا - جامعة عين شمس

أ. د. محمود السيد أبو النيل

قسم علم النفس - جامعة عين شمس

قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

- ١ - حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة فصلية علمية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، تنشر البحوث من الجامعات والمؤسسات العلمية العربية والأجنبية في الموضوعات الأدبية والاجتماعية والإنسانية.
- ٢ - تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصلية، باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا تتجاوز صفحات متن أي بحث ٢٠٠ صفحة، ولا تقل عن ٥٠ صفحة (في المتن دون الهوامش والمراجع).
- ٣ - قواعد تسليم البحوث:

- أ - يقدم البحث مطبوعاً من ثلاث نسخ، على ورق (A4)، وعلى مسافة واحدة، وبنط (١٤)، مع القرص المرن الخاص به.
- ب - يرفق الباحث ملخصاً للبحث مطبوعاً باللغتين العربية والإنجليزية؛ في حدود ١٥٠ كلمة للغة العربية، و٢٠٠ كلمة للغة الإنجليزية.
- ج - يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهم مؤلفاته وأبحاثه.
- د - يقدم الباحث إقراراً كتابياً بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.
- هـ - تقدم الخرائط، والأشكال، والرسوم بأصولها الصالحة للطباعة، أما الصور الفوتوغرافية فتطبع على ورق لماع، مع ضرورة تقديم الشريحة الأصلية للصور الملونة.
- و - في حال رغبة الباحث نشر الصور، أو الخرائط، أو الأشكال البيانية ملونة، يلتزم دفع تكاليفها.
- ٤ - يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعته ما يلي:

أولاً - الهوامش:

- أ - توضع الهوامش في نهاية كل فصل، أو في نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.
- ب - ترتب أرقام التوثيق بطريقة متسلسلة حتى نهاية كل فصل، أو حتى نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.
- ج - تثبت الهوامش عند ذكرها لأول مرة كاملة على النحو التالي:
اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، رقم الطبعة / رقم الجزء، مكان النشر، اسم الناشر، سنة النشر / رقم الصفحة.

مثال:

- أحمد محمد عبد الخالق، معجم الألفاظ الشخصية، الطبعة الأولى - دولة الكويت، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت، ٢٠٠٠م/ ص ١٥.
* المرجع السابق، ص ٢٦.
- وفي حالة وجود فاصل هامش مختلف يذكر على النحو التالي:
* أحمد عبد الخالق، معجم الألفاظ الشخصية - ص ٣٥.

ثانياً - المصادر والمراجع:

تطبق المجلة نظام MPA في صياغة وترتيب المراجع وأسلوب كتابة متن البحث وبإمكان الباحثين الاطلاع على هذه القواعد على الرابط التالي والموجود في الموقع الالكتروني للمجلة (APA Style)

٥ - شروط قبول البحوث في الحوليات:

- أ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- ب - لا تقبل المجلة نشر أبحاث الماجستير أو الدكتوراة أو أي مستلات منها.
- ج - أصول البحوث المقدمة للنشر لا ترد ولا تسترجع، سواء أنشئت أم لم تنشر.
- د - لا يجوز نشر البحوث في جهات أخرى بعد موافقة الحوليات على نشرها، وإذا ثبت ذلك، فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.
- هـ - يمكن للباحث نشر بحثه في جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي مسبق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات - على الأقل - على نشره في الحوليات.
- و - تمنح المجلة للباحث خمسين نسخة من بحثه المنشور إهداء.

٦ - ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

<http://apc.kuniv.edu.kw/AASS>

E-mail: aass@ku.edu.kw

افتتاحية الإصدار الأول من الحولية الثامنة والثلاثين بقلم رئيس التحرير: أ.د. يعقوب يوسف الكندري

مع بداية العام الدراسي الجديد، ومع انتهاء الإجازة الصيفية والعودة للحياة الجامعية، طُلَّ العديد من الأحداث على الساحتين الإقليمية والمحلية خلال الفترة الماضية، وزاد من وتيرة الأحداث على الساحة ما سمي «بالأزمة الخليجية» وتداعياتها التي طغت وسيطرت على مجمل الوسائل الإعلامية خلال هذا الصيف. وكان للسياسيين دور بارز في هذه الأزمة، وتحليل وعرض تداعياتها وأبعادها المختلفة كل من اتجاهه ورؤيته. وسيطرت الرؤى والتصورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في وضع المشهد بزوايا مختلفة من مؤيدة ورافضة لأسباب وأعراض هذه الأزمة ونتائجها. ووقفت الكويت في دور دبلوماسي مميز متوازن ومحافظ وحريص على تقريب وجهات النظر بجهود كبيرة بذلها حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح والخارجية الكويتية بالتعاون مع أطراف متعددة.

وقد أخرجت هذه الأزمة بعض المؤشرات العامة للأوضاع وتفسيراتها وتحليلها. ولعل من أبرز هذه المؤشرات وما يمكن وصف هذه الأزمة من الجانب العلمي هو محدودية الدور المتوازن والأكاديمي الرصين لكثير من المختصين في طرح قضايا تمس وحدة المصير المشترك بدون أي اعتبارات سياسية ترتبط بالحدود الجغرافية. فقد انشغل كثير من المثقفين الخليجيين تحديداً في نصرة سياسية لمواقف تمس الجزء الجغرافي الذي ينتمون إليه دون النظر إلى الكيان الخليجي الأكبر ووحدة المصير المشترك. ولعبت أطراف أكاديمية محلية بدور إما مؤيد وإما معارض للمقاطعة أو الحصار أو العزل كما يتم تسميته من الاتجاهات المتعددة المؤيدة والمعارضة للخطوات التي قامت بها الدول الأربع تجاه دولة قطر إلا ما ندر في تعثر لدور المثقف ولدور العلوم الاجتماعية تحديداً في دراسة الواقع وتحليله من منطلق علمي منهجي.

لا شك بأن مسؤولية كبيرة تقع على المثقف الخليجي في تحليل الواقع وتقديم أبرز المقترحات والأطر المنهجية المناسبة للخروج من هذه الأزمة بعيداً عن الذاتية والتفوق خلف الجزء الجغرافي الذي اتسم به البعض في مقابل الابتعاد عن الكل الخليجي والاكتفاء بإطلاق شعارات المصير المشترك. إن تحقيق المصير المشترك يحتاج إلى بناء فكري يكون أساس الانطلاق لمثل هذا المصير.

فهناك أهمية للعلوم الاجتماعية في قيادة مجتمعاتنا الخليجية إلى هذا المصير، والسعي نحو تحقيقه ووضع الأطر العلمية الرئيسة له، وهو الأمر الذي فقد بريقه مع بداية ظهور الأزمة إلى وقتنا هذا عند الكثير ممن يعمل في هذا الحقل. ولذلك، ستحرص حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية على تنظيم ندوة فكرية لمناقشة هذا الموضوع من منطلق متوازن علمي خلال هذا الفصل الدراسي، وتسعى من خلالها للوقوف على مستقبل دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وإلى أين سيتهجه شعار «المصير المشترك»، سائلين المولى عز وجل أن يحافظ على وحدة قيادة وأبناء هذا الخليج، وألا تكون هذه الأزمة إلا «سحابة صيف» زائلة وألا تترك أي أحوال.

واستكمالاً للمسيرة العلمية للحوليات، فقد تضمن العدد ست رسائل: ثلاث منها للدراسات الاجتماعية، وثلاث أخرى للعلوم الإنسانية. فجاءت الرسالة (479) لتتناول «اتجاهات النخبة المصرية نحو أخلاقيات التغطية الإعلامية للأزمات الأمنية في مصر بعد ثورة 30 يونيو من عام 2013» والتي تم تطبيقها على مواقع التواصل الاجتماعي التي أدت دوراً مهماً في هذه الأزمة من خلال تغطيتها الإعلامية. وفي الرسالة (480)، قام الباحث في مجال العلوم السياسية بدراسة «ظاهرة الاغتراب السياسي عند الناخبين الكويتيين في الانتخابات البرلمانية»، وقد اختار عينة من الناخبين، مع تحديد انتخابات يوليو من عام 2013 عند إجراء هذه الدراسة. أما الدراسة الثالثة (481)، فقد جاءت دراسة تاريخية سعت للكشف عن الأمراض في أفريقيا خلال القرون الثاني إلى الخامس هجري (8-11 ميلادي)، «والكشف عن طبيعة هذه الأمراض، ودورها في صياغة البنيات السلوكية والذهنية الفردية والجماعية». وجاءت الرسالة الرابعة (482) في الأدب والشعر، ودراسة «ظاهرة أسلوبية شائعة الإتيان في ديوان الشاعر الأموي ذي الرمة» فانصب هدف البحث حول تتبع الانزياح التركيبي الذي طغى على بناء الجملة الفعلية، والقيام بتصنيفها. أما الرسالة (483) وهي الرسالة الخامسة فقد هدفت نحو «تسليط الضوء حول المشكلات التي تواجه أسر مدمني المخدرات في المجتمع السعودي من خلال تشخيص هذه المشكلات وتحليلها». أما الرسالة الأخيرة (484) فجاءت في مجال التاريخ، والتي خصت بدراسة الإشكاليات والتساؤلات التي تتعلق بشخصية الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري في العصر المملوكي.

فقد جاء في هذا العدد دراستان سياسيتان، وثالثة بتخصص علم الاجتماع، ودرستان تاريخيتان، ودراسة أخيرة أدبية. نرجو أن يكون قد حقق هذا العدد التنوع المطلوب والمناسب في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، ونرجو أن يكون قد حقق الفائدة المرجوة.

الرسالة ٤٨٤

الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري (إشكالياته في ضوء المصادر المملوكية)

د. سند أحمد عبد الفتاح
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة عين شمس
مصر

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الثامنة والثلاثون - ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م

المؤلف:

د. سند أحمد سند عبد الفتاح.

- أستاذ مساعد بقسم التاريخ كلية الآداب - جامعة عين شمس
- أستاذ زائر بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الكويت
- ماجستير التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠ م.
- دكتوراه التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤ م.

الإنتاج العلمي:

أولاً- (الكتب):

- ١- عز الدين بن شداد مؤرخاً، دار رؤية، القاهرة ٢٠٠٧.
- ٢- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة ٢٠١٠.
- ٣- مصر من أول السطر، مركز الإعلام العربي، القاهرة ٢٠٠٦ م

ثانياً- البحوث:

- ١- الشيخ خضر المهراني وعلاقته بالسلطان الظاهر بيبرس، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ٢٠١٦ م
- ٢- السكر ومطابخه في مصر المملوكية (٦٤٨-٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧ م)، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، يوليو ٢٠١٦.
- ٣- الأسماك ومسايدها في مصر المملوكية، مجلة بحوث الشرق الأوسط، سبتمبر ٢٠٠٨ م.
- ٤- الأدفوي وكتابه «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد»، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ٤٤ (٢٠٠٦ م).
- ٥- الطيور الداجنة في مصر المملوكية. حولية سمناز التاريخ الإسلامي والوسيط، ديسمبر ٢٠١٢ م.
- ٦- الأمراء البطالة في مصر زمن سلاطين المماليك، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، يوليو ٢٠٠٨ م.

المحتوى

المُلخَص.....	١٣
المقدمة	١٥
المحور الأول: - الأمير قراسنقر: المولد والنشأة.....	٢٠
المحور الثاني: - الأمير قراسنقر من عهد قلاوون إلى نهاية حكم الناصر محمد في فترة حكمه الثانية (٦٩٨هـ-٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م)	٢٤
المحور الثالث: - دور قراسنقر في عودة الناصر محمد للحكم والقبض على المظفر بيبرس الجاشنكير	٤٤
المحور الرابع: - الأمير قراسنقر وعلاقته بعرب آل مهنا	٦٤
المحور الخامس: - الأمير قراسنقر وهروبه إلى الدولة المغولية	٧٣
المحور السادس: - الأمير قراسنقر ومحاولات اغتيال الفداوية له ووفاته.....	٨٩
المحور السابع: - أهم منشآت الأمير قراسنقر المعمارية والعمرانية.....	٩٩
الخاتمة: - الأمير قراسنقر في الميزان.....	١٠٣
الهوامش	١٠٧
المصادر والمراجع.....	١٥٩

الملخص

حفل التاريخ الإسلامي عامة والملوكي خاصة بشخصيات محورية رفعت المصادر الإسلامية بعضها إلى عنان السماء تشريفاً ومدحاً، وخسفت بالبعض الآخر قدحاً وذمّاً، وما بين رؤية الفريقين يأتي المؤرخ بموضوعيته ليضع تلك الشخصيات في الميزان (إيجاباً وسلباً) تبعاً لأهميتها وحجم إنجازاتها ودورها في صناعة الأحداث التاريخية.

وحسبنا في ذلك شخصية الأمير شمس الدين قراسنقر الذي يتناوله الباحث في دراسة تفصيلية مستقلة لدوره الفعال في صناعة الأحداث بمعاصرتة العديد من سلاطين دولة المماليك البحرية؛ حيث عاصر المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ م - ١٢٨٩ م) وأبنيّه (الأشرف خليل (٦٩٠ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) والناصر محمد - في فترات حكمه الثلاث - والعدل سيف الدين كتبغا، والمنصور حسام الدين لاجين، قبل أن ينتهي به المطاف طريداً في بلاط خان المغول خدابنده؛ الذي رحّب به لعظم مكانته وعلمه ببواطن وأسرار الدولة المملوكية، في الوقت الذي سيّر فيه الناصر محمد بن قلاوون جيشاً من طائفة (الحشاشين) الفداوية طلباً لرأسه .

هذا ويثير البحث العديد من التساؤلات والإشكاليات فيما يتعلق بشخصية الأمير قراسنقر، والتي سيحاول الباحث الإجابة عنها في ضوء المصادر المملوكية المعاصرة واللاحقة من خلال تقسيم الدراسة إلى عدة محاور تتناول مولد هذا الأمير ونشأته، وأهم الوظائف التي تقلدها طوال حياته، وعلاقته بسلاطين دولة المماليك الذين عاصروه؛ والتي تباينت ما بين الود والكراهية، ودوره في اغتيال السلطان الأشرف خليل، وعلاقته بعرب آل مهنا، والأسباب التي دعت إلى الهروب

من الدولة المملوكية والدخول في طاعة خان المغول، والمحاولات الكثيرة التي قام بها الفداوية لاغتياله من قبل الناصر محمد بن قلاوون، وختاماً بأهم منجزاته، وأعماله العمرانية والمعمارية، والدراسة مذيلة بخاتمة وضع فيها الباحث الأمير قراسنقر في الميزان مبيناً إيجابياته وسلبياته، إضافة إلى ثبت بأهم المصادر والمراجع التي رجع إليها الباحث.

المقدمة

حفل التاريخ الإسلامي عامة والملوكي خاصة بشخصيات محورية رفعت المصادر الإسلامية بعضها إلى عنان السماء تشريفاً ومدحاً، وخسفت بالبعض الآخر قدحاً وذمماً، وما بين رؤية الفريقين يأتي المؤرخ بموضوعيته ليضع تلك الشخصيات في الميزان (إيجاباً وسلباً) تبعاً لأهميتها وحجم إنجازاتها ودورها في صناعة الأحداث التاريخية.

وحسبنا في ذلك شخصية الأمير شمس الدين قراسنقر الذي يتناوله الباحث في دراسة تفصيلية مستقلة لدوره الفعال في صناعة الأحداث بمعاصرتة العديد من سلاطين دولة المماليك البحرية؛ حيث عاصر المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩م-١٢٨٩م) وابْنَيْهِ (الأشرف خليل (٦٩٠-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) ^(١) والناصر محمد -في فترات حكمه الثلاث- والعاقل سيف الدين كتبغا ^(٢)، والمنصور حسام الدين لاجين، قبل أن ينتهي به المطاف طريداً في بلاط خان المغول خدابنده ^(٣) الذي رحّب به لعظم مكانته وعلمه ببواطن وأسرار الدولة المملوكية، في الوقت الذي سيّر فيه الناصر محمد بن قلاوون جيشاً من طائفة (الحشاشين) الفداوية ^(٤) طلباً لرأسه.

تمثلت صعوبات البحث في كونه أولاً يأتي ضمن دراسة شخصية من شخصيات البلاط السلطاني الملوكي لم تتناولها أيدي الباحثين المحدثين بالدراسة، رغم عظم مكانته ودوره السياسي والحضاري إبان تلك الفترة، فلا توجد دراسات سابقة عن الأمير قراسنقر ودوره المهم على مسرح الأحداث خلال فترة حكم أسرة بني قلاوون، وثانياً تناسرت مادته العلمية الثرية في بطون المخطوطات والمصادر الإسلامية المختلفة، مع ندرة الوثائق التي تتوافر للباحث في هذا الجانب.

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي وأدواته المختلفة من رصد واستقراء وفق منهجية تفكيكية قائمة على استنطاق معظم النصوص التاريخية في ظل تفرقها إلى شذرات صغيرة بين ثنايا الكتب، بالإضافة إلى إفادة الباحث من منهج تحليل مضمون النصوص ونقدها التي أفاضت المصادر في الحديث عنها، كما اعتمد على منهج المقارنة بين الأحداث والظواهر التاريخية المتشابهة في تاريخ مصر المملوكية خلال الإطار الزمني للأمير قراسنقر بدءاً من عهد المنصور قلاوون إلى نهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون.

هذا، ويثير البحث العديد من التساؤلات والإشكاليات فيما يتعلق بشخصية الأمير قراسنقر، التي سيحاول الباحث الإجابة عنها في ضوء المصادر المملوكية المعاصرة واللاحقة من خلال تقسيم الدراسة إلى عدة محاور على النحو الآتي:

المحور الأول:- الأمير قراسنقر: المولد والنشأة: وفيه يتعرض الباحث لاسمه وصفاته الأخلاقية والوظيفية، وأسرته، وألقابه التي تمتع بها، ومكانته في البلاط السلطاني.

المحور الثاني:- الأمير قراسنقر من عهد قلاوون إلى نهاية حكم الناصر محمد في فترة حكمه الثانية (٦٩٨هـ-٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م).

المحور الثالث:- دور قراسنقر في عودة الناصر محمد للحكم والقبض على المظفر بيبرس الجاشنكير^(٥).

المحور الرابع:- الأمير قراسنقر وعلاقته بعرب آل مهنا.

المحور الخامس:- الأمير قراسنقر وهروبه إلى الدولة المغولية.

المحور السادس:- الأمير قراسنقر ومحاولات اغتيال الفداوية له ووفاته.

المحور السابع:- أهم منشآت الأمير قراسنقر المعمارية والعمرانية

الخاتمة:- الأمير قراسنقر في الميزان (إيجابياته وسلبياته).

والبحث مُذيل بثبت بأسماء المصادر والمراجع التي رجع إليها الباحث لاستجلاء غوامض هذه الدراسة.

وقد استلزم إعداد هذا البحث الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع التاريخية؛ لعل أبرزها هي المصادر المعاصرة للأمير قراسنقر في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، أو الأقرب له زمنياً مثل: ابن الدواداري، وأبو الفدا، وبيبرس المنصوري، والبرزالي، والصفدي، والذهبي، إضافة إلى فريق من مؤرخي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وهو بعيد زمنياً عن فترة قراسنقر مثل ابن دقماق، وابن خلدون، وابن حجر، والعيني، والمقريزي، وابن تغري بردي، والسخاوي، وبالرغم من غزارة المعلومات في بعض تلك المصادر فإنه وجب على الباحث أن يأخذها بجانب من الحذر والنقد كونها كُتبت في فترة متأخرة نسبياً لعهد هذا الأمير، ولنعرض الآن لبعض تلك المصادر التي رجع إليها الباحث لإنجاز بحثه:

يأتي على رأس تلك المصادر كتاب ابن الدواداري الذي ضمن مؤلفه معلومات جدّ قيمة كونه مطلعاً على وثائق الدولة المملوكية - هو ووالده - بحكم قربهما من الناصر من جهة، ومن جهة أخرى لأن الأمير قراسنقر شغل الرأي العام داخل بلاط الناصر سواء في هروبه الأول بعد اشتراكه في قتل الأشرف خليل بن قلاوون أو هروبه الثاني إلى الدولة المغولية عقب نقمة الناصر محمد عليه، زد على ذلك معاصرته وأبيه لتلك الأحداث ومعاينتها رأي العين أو بالسماع؛ مقرأً في طيات حديثه أن تلك المعلومات استقاهها من «بيخان» مملوك قراسنقر الشخصي حينما التقى به عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، وأخذ يسرد له ما قام به قراسنقر طوال فترة ملازمته له، غير أن معلوماته جاءت أكثر تحاملاً على قراسنقر وباقي الأمراء -مقارنة بباقي المصادر

الملوكية الأخرى- بعد هروبهم إلى دولة المغول، ويبدو هذا منطقياً لمؤرخ يدور في فلك البلاط السلطاني حيث يُجَزَل له الهبات والأعطيات؛ ظهر ذلك واضحاً في وصف قراسنقر ورفقته- الأمير الأفرم والأمير الزردكاش- بأنهم «قد غضب الله عليهم، ولعنهم، وأعد لهم جهنم وبئس القرار»، وأنه كان «طماعاً خسيساً» وأن شيخوخته «ختم الله لها بالشقاوة بعد السعادة»، بل وسهمهم بأنهم «مرتدين ضالين غير مهتدين»، و«أنهم مغضوب عليهم إلى يوم الدين»، ومع هذا كله يؤكد ابن الدواداري أن ما ذكره من أخبار تفصيلية متعلقة بقراسنقر إنما هي «ما صح نقله وحسن إثباته».

كذا أفاد الباحث من كتاب «المختصر في أخبار البشر» للمؤرخ أبي الفدا الذي تناول تفصيلات مهمة عن حياة قراسنقر-بحكم معاصرته له- خاصة خلال فترة توليه نيابة السلطنة بحماة ثم حلب في فترتي حكم الناصر محمد بن قلاوون الثانية والثالثة.

زد على ذلك إفادة الباحث من مؤلفات المؤرخ بيبرس المنصوري «زبد الفكرة في تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية في الدولة التركية» و«مختار الأخبار»، حيث كان مؤرخاً ومشاركاً في الأحداث التاريخية خلال فترة حكم الناصر محمد، وكان صديقاً مقرباً من قراسنقر، لدرجة أنه تم اعتقاله بتهمة «ممالأة قراسنقر والميل إليه»، ومؤلفاته بها إشارات جد قيمة عن الأمير قراسنقر.

ناهيك من إفادة الباحث من كتاب البرزالي «المقتفى على كتاب الروضتين»، وهو كتاب جد قيم خاصة في ذكر وفيات مشاهير العصر المملوكي البحري، إلا أنه لسوء الحظ لم يصل إلى وفيات عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م حتى نرى ترجمة لقراسنقر في سنة وفاته، ولعل النقد الموجه لهذا الكتاب هو ندرة الحديث فيه عن الأحداث التاريخية التي جاءت مقتضبة بدرجة كبيرة.

ويحتل كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي مكان الصدارة بين الكتب الموسوعية بما يحويه من الحوادث الكثيرة ذات الدلالة الاجتماعية والاقتصادية التي تميز بها عن غيره من المصادر، كما تميز المقريزي-أسوة بمؤرخي عصره- بالاستقصاء-أي حرصه على تقصي الحقائق-فأعطانا تفصيلات جدّ مهمة عن الفترة التي قضاها قراسنقر في بلاط المغول، والمحاولات التي قام بها الفداوية لاغتيال قراسنقر، غير أنه لم ينس أن يدس بعض المعلومات المتعلقة بقراسنقر والمرتبطة برؤى منامية، التي وإن لم يثبت صحتها فهي قد تعطي دلالة معينة لتفسير الحدث التاريخي، إلا أنه يجب تناول معلوماته بمزيد من الحذر والنقد كون كتابه كُتب في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بما يشي ببعده زمنياً -ولو بدرجة محدودة- عن فترة قراسنقر.

كذلك فإن كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف باسم «الخطط المقريزية» هو بمثابة موسوعة عمرانية جغرافية تاريخية اقتصادية اجتماعية سياسية، تناول فيه بلاد مصر، فعالج مدنها وآثارها ومعالمها الرئيسة، واصفاً كلاً منها وصفاً دقيقاً؛ متتبعاً تاريخ كل أثر إلى أيامه، وقد ضمن هذا الكتاب-منفرداً- المنشآت العمرانية التي شيدها قراسنقر من مدارس ودور وحمامات وأسبلة وغيرها.

ويحتل كتاب «عقد الجمان للمؤرخ بدر الدين العيني أهمية كبيرة في تاريخ سلاطين المماليك بصفة عامة، والعصر المملوكي البحري بصفة خاصة، وقد ضمن كتابه تفصيلات جدّ ثرية عن قراسنقر خلال مراحل حياته، وتدرجه في نيابات السلطنة، بحيث إننا لا نبالغ القول أنه ذكر -كابن الدواداري- بعض المعلومات التي لا نجد لها صدقاً بين المصادر المملوكية الأخرى، وسلك في إيراد المعلومات منهجاً وصفاً سردياً، وما يسري على المقريزي من الحذر والنقد يسري كذلك على العيني.

كما عُدَّ كتاب ابن تغري بردي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» من الكتب الموسوعية المهمة التي خدمت موضوع الدراسة من خلال رصد دور الأمير قراسنقر ومشاركته في الأحداث السياسية سواء داخل حدود الدولة المملوكية أو في مملكة المغول، غير أن ما ينطبق على المقرئ سابقاً يسري على ابن تغري بردي في بعدهما الزمني عن قراسنقر، فكلاهما من أهل القرن التاسع الهجري، ويجب تحري الدقة والنقد في تناول أحداث تلك الفترة.

ومن المصادر كتب الطبقات والتراجم، ولهذه الكتب أهمية خاصة في إكمال بعض أوجه القصور في بعض المصادر التاريخية؛ إذ تختص بالترجمة لحياة العديد من الأمراء والأعيان وأرباب الوظائف الكبرى في الدولة، والتي من خلالها يمكن تعرف طبيعة الأوضاع السياسية عن طريق دراسة مدى مشاركة تلك الشخصيات وإسهامها في الحياة السياسية، كذلك كشف الكثير من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية، ومن أهم تلك الكتب التي أفادت البحث كتابي «أعيان العصر وأعيان النصر» و «الوافي بالوفيات» للمؤرخ الصفدي الذي زودنا بمعلومات قيمة عن حياة قراسنقر منذ مولده إلى وفاته، بيد أنه كان على عكس ابن الدواداري مادحاً له، فأفاض كثيراً في ذكر مناقبه دون ذكر أي مثالب له.

كذا كتاب ابن حجر «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» وكتاب ابن تغري بردي «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي» اللذين ضمنا كتابيهما ترجمة مقتضبة عن قراسنقر، تناولت تاريخ حياته باختصار.

المحور الأول: الأمير قراسنقر (المولد والنشأة):

هو الأمير شمس الدين^(٦) أبو محمد قراسنقر^(٧) بن عبد الله الجوكندار^(٨) المنصوري، من كبار أمراء السلطان المنصور سيف الدين قلاوون؛ اشتراه زمن إمارته^(٩) قبل أن يلي السلطنة عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م.

تمتع الأمير قراسنقر بالعديد من الصفات الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة والوظيفية أُنْتُبِت المصادر في ذكرها؛ فكان أمرد^(١٠)، جسيماً، بشوش الوجه، جليلاً، شجاعاً، مهاباً، صاحب رأي وتدبير وسماحة نفس^(١١)، جواداً كريماً؛ يُغْدَق على ممالিকে الأموال الكثيرة والخيول المسومة والحوائن^(١٢) الذهبية والكلالوت^(١٣) والطرز المزركشة^(١٤) والأطلس والسمور، وغيرها من الأشياء الفاخرة^(١٥)، و«لا يستكثر على أحد شيئاً مع حسن الشاكلة، وعظم المهابة، والسعادة الطائلة»^(١٦)، كما وُسِم بأنه «كثير العزم، كبير الحزم، من رجالات العلم ودهاتها»^(١٧)، أهله مكره في أن يتصدى لجميع المحاولات التي دبرها منافسوه من الأمراء للنيل منه «بطرق خفية المسارب، دقيقة المسالك، بعيدة المرامي والمضارب»^(١٨)، زد على ذلك أنه كان «حسن التآني» غير متعجل في إتخاذ قراراته^(١٩)؛ فكانت أولوياته تنصب أولاً في بلوغ أهدافه بشتى الطرق^(٢٠) وهو ما جعل أحد المؤرخين يسميه بأنه كان «سفاكاً للدماء، نقمة على المفسدين»^(٢١).

زد على ذلك مكانته التعظيمية بين الأمراء؛ فَقَبِلُ كان أكبر أمراء الممالك قدراً، وبعُدُ كان أعظم أمراء المغول مكانة «أقام عندهم محترماً»^(٢٢) لدرجة تُشْعِرُ «كأنه ما رُبِّيَ إلا فيهم»^(٢٣)، حتى لُقِبَ «بملك الأمراء»^(٢٤).

كذا تحدثنا المصادر على أن حكماً ونواباً للسلطنة المملوكية مثل بيبرس الجاشنكير، والأمير سالار، وغيرهما، كانوا «يخافونه ويدارونه ولا يخالفون أمره»^(٢٥)، ناهيك عن مخاطبته في الدبلوماسية المملوكية «بالجناب العالي الأميري الشمسي قراسنقر، ذو الصفات الكاملة، والسيرة العادلة، وأنا الجميلة، والهمم الجليلة، والمحاسن الجزيلة»^(٢٦)، كما مدحه الناصر محمد بقوله: «الأمير شمس الدين في منزلة الملك المنصور»^(٢٧)، وكان يخاطبه في مراسلاته بـ«المقر العالي الأبوي الشمسي»^(٢٨)، لذا ليس بغريب أنه شرع في تدبير أمور

دولة الناصر بحيث صار «تَبَعاً له فيما يراه»^(٢٩)، مفوضاً إياه قائلاً: «البلاد كلها في تصرفك، وتحت حكمك أينما أردت توجه»^(٣٠).

اكتنف الغموض مكان وتاريخ مولد الأمير قراسنقر حيث ضنت علينا المصادر في تحديد تاريخ مولده؛ في الوقت الذي أطنبت في تحديد تاريخ وفاته في عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، بعد أن بلغ من العمر أرذله؛ وعقب ابن حبيب وابن تغري بردي على وفاته بأنه «جاوز السبعين سنة»^(٣١)، وذكر الذهبي أنه «جاوز الثمانين من عمره»^(٣٢)، في حين ذهب ابن الوردي وابن كثير إلى أنه «جاوز التسعين»^(٣٣)، وعليه فأرجح الآراء تكشف عن تاريخ مولده في أربعينيات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، يُدعم ذلك غبطة المصادر له كون جميع من في طبقته من الأمراء المماليك قد لحقتهم الوفاة مبكراً إلا أنه كان «أسعد منهم لأنه عاصرهم وقاسمهم سعادة أيامهم وعمر بعدها العمر الطويل»^(٣٤).

تضاربت المصادر في ذكر مكان مولد قراسنقر فمن فريق اكتفى بالزعم أنه من نصارى بلدة قارة أو قارة النبك^(٣٥)، وتم سببه وبيعه في أراضي الدولة المملوكية إلى أن اشتراه المنصور قلاوون قبل أن يجلس على تخت السلطنة^(٣٦)، إلى فريق آخر ذهب إلى أنه جركسي الأصل تم استقدامه وغيره من المماليك الجراكسة إلى الدولة المملوكية كما هي عادة سلاطين وأمراء المماليك، ولطموحه الكبير تدرّج في سلك الإمارة منذ صغره فبدأ ساقياً^(٣٧)، ثم انخرط ضمن طائفة الأوشاقية أو الأوجاقية^(٣٨) لدى المنصور قلاوون^(٣٩)، الذي أنعم عليه برتبة مقدمي الألوف فصار أمير مئة ألف مقدم بمصر^(٤٠).

أما عن أسرة الأمير قراسنقر فقد شابها الغموض أحياناً لعدم ورود تفاصيل عن حياته الخاصة؛ وقد ميزت المصادر بين حياته داخل الأراضي المملوكية، وحياته

عقب هروبه إلى الدولة المغولية، فداخل الأراضي المملوكية لا نعلم من هي زوجته تحديداً؛ إلا أن المصادر تكشف لنا عن صهره في حادثة مؤداها أن الناصر محمد عقب جلوسه على العرش للمرة الثانية (٦٩٨هـ-٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م)، سعى إلى التنكيل ببعض أمراء الممالك؛ فدبر مكيده للقبض عليهم في وليمة أعدها لهم مسبقاً، وكان من بين الحضور الأمير جركتمر بن بهادر صهر الأمير قراسنقر^(٤١).

ومن تلك الزوجة أنجب قراسنقر ثلاثة من الأولاد؛ محمداً وفرجاً وعلياً، تمتعوا بمكانة مرموقة في حياة أبيهم حينما كان أسيراً لإنعامات السلاطين، ونالوا جميعاً رتبة الإمارة، ومات أكبر أبنائه محمد بالسم في حياة أبيه - كما سنذكر لاحقاً - على حين عَمَّرَ ولداه الآخران حتى عصر أولاد الناصر محمد، واللافت للنظر أنه حينما هرب الأب إلى الدولة المغولية لم يؤاخذهم الناصر محمد بجريرة أبيهم، بل زاد في ترقيتهم، فعقب وفاة قراسنقر في عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م أنعم على الأمير فرج برتبة أمير عشرة^(٤٢)، ورُقِّي الأمير علي من أمير خمسة^(٤٣) إلى إمرة طبلخانة^(٤٤)، وردَّ عليهما ممتلكات أبيهما بعد أن كانت تحت المصادرة.

وعقب هروبه إلى الدولة المغولية تباينت المصادر في تحديد زوجته التي أنعم عليه بها خدابنده خان المغول؛ فتارة تذكر المصادر أنه تزوج من الخاتون بنت أبغا^(٤٥)، وتارة تروي أنه تزوج من بنت قطلوشاه^(٤٦)، وتارة ثالثة تزعم أنه تزوج من ابنة هولاكو خان^(٤٧)، وأياً كانت زوجته فأغلب الظن أنه كان زواجاً سياسياً للاستفادة من خبرته بإطلاع المغول على دقائق الدولة المملوكية.

صفوة القول أن قراسنقر تمتع بالعديد من الصفات الأخلاقية والوظيفية التي مكنته من أن يتبوأ مكانة مرموقة داخل البلاط السلطاني، مما جعل نجمه يظهر على مسرح الأحداث منذ عصر المنصور قلاوون وبنيه كما سيتم تناوله.

المحور الثاني :- الأمير قراسنقر من عهد قلاوون إلى نهاية حكم الناصر محمد في فترة حكمه الثانية (٦٩٨هـ-٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م).

بدأ نجم الأمير قراسنقر يظهر في سماء الدولة المملوكية، مشاركاً في صنع أحداثها مع مطلع عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م؛ حين أرسله السلطان المنصور قلاوون إلى بلاد الشام لمقابلة الأمير سنقر الأشقر لتأكيد دخوله في طاعة المنصور، فأنجز مهمته على أفضل ما يكون^(٤٨).

في عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م حظي الأمير قراسنقر بثقة المنصور قلاوون الذي منحه نيابة السلطنة بمدينة حماة^(٤٩)، ثم نقله إلى نيابة حلب وأعمالها، وهي إحدى النيابات الكبرى ببلاد الشام^(٥٠)، وهي كما وصفها القلقشندي «**عقيلة المعقل، وعصمة العواصم، وواسطة عقود الممالك**»^(٥١)، بيد أن مهمته كانت جسيمة حيث إن المغول قد أحدثوا بها دماراً هائلاً حين دخلها هولأكو عام ٦٥٧هـ/١٢٥٨م، وهدم قلعتها وتركها أثراً بعد عين؛ لذا أوكل المنصور إليه مهمة إكمال عمران حلب، وتحديد إصلاح ما تهدم من قلعتها وجامعها عقب توليه نيابتها؛ فكان عند حسن ظن سيده «**فأعاد ذلك إلى أحسن ما كان عليه**» بعد أن أنفق عليهما أموالاً طائلة، وكان الانتهاء من عمليات العمران في عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م^(٥٢)، والجدير بالذكر أن قراسنقر أعاد تجديد القلعة مرة ثانية بعد ما يقارب تسع سنوات مع مطلع عهد الأشرف خليل الذي قام بافتتاحها عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م، ونقش اسمه عليها بعد أن ظلت خراباً يباباً على مدار ثلاثة وثلاثين عاماً^(٥٣).

أثار قُرب الأمير قراسنقر من المنصور قلاوون غيرة كبار الأمراء في بلاطه فسعوا إلى النيل منه ونصب المكائد له؛ بغية عزله عن نيابة حلب، وتزعم هذا الاتجاه الأمير طرناي^(٥٤) الذي قام بتأليب الحلبيين لتقديم الشكاوي ضد قراسنقر، ولاقت

تلك الشكاوي هوى في نفس المنصور الذي قرر الذهاب إلى حلب للتحقيق فيها بنفسه، وقد ذهبت جميعها أدراج الرياح بعد أن تحقق المنصور من كذبها، وزادته تلك المكائد الواهية ثقة في نائبها^(٥٥).

كانت منطقة الثغور الإسلامية المتاخمة لحلب تشغل بال المنصور قلاوون الذي حاول جاهدا ضمها إلى حدود الدولة المملوكية، وهو ما تسنى له في فترة نيابة قراسنقر لحلب؛ حيث أرسل حكام «قلعة الكختا» -عقب مقتل نائبها-^(٥٦) إلى قراسنقر في عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م يطلبون منه ضم بلدتهم وقلعتها ضمن حدود السلطنة المملوكية؛ فجهز قراسنقر جيشه وتسلمها منهم، وأرسل إلى المنصور يخبره بذلك، فأرسل نواباً عليها من قبله، وأمر بعمارتها وتحصينها، بحيث باتت من أعظم الثغور الإسلامية المتاخمة مع الروم^(٥٧).

توفي المنصور قلاوون وجلس ابنه الأشرف خليل على كرسي السلطنة عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وأقر الأمير قراسنقر في نيابة حلب دون تغيير منذ أن تولاهَا في خلافة والده المنصور^(٥٨)، غير أن قراسنقر لم يسلم مُجدداً من دسائس الأمراء للنيل منه وعزله عن حلب، وترغم هذا التيار ابن السلعوس وزير الأشرف خليل؛ الذي أخذ يؤلب الأشرف عليه، إلا أن قراسنقر بدهائه وكرمه في بذل المال حاول جاهداً أن يتحاشى غضب سلطانه، وهو ما نجح فيه بالفعل حيث سكن غضب الأشرف عليه إلى حين^(٥٩).

أورد الصفدي^(٦٠) رواية ذكر فيها سبب حقد ابن السلعوس على قراسنقر مؤداها أن ابن السلعوس كان يُمنّي نفسه بالرياسة منذ أن كان صبياً، وكان يتظاهر بذلك بين أبناء التجار حتى سخروا منه، وأطلقوا عليه لقب «الصويحب» أو «الصاحب»، وقَدِمَ مرة إلى حلب وقراسنقر نائبها -وقد بلغه ما يقال عنه من الحمق - فسخر

منه أمام حاشيته قائلاً: «ما هذا إلا أحمق»، ورغم أن الصفدي يحدثنا من أن كلمة قراسنقر كانت على سبيل المزاح، إلا أن ابن السلعوس أخذته العزة بالإثم، واستشاط غيظاً وغضباً وأغلظ في الكلام، فضربه قراسنقر «على أكتافه وأخرق به وأهانته»، فأسرها في نفسه إلى أن تمكن من دولة الأشرف بتسلمه الوزارة عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م فأراد أن يُصفي حساباته القديمة مع قراسنقر.

زاد إصرار الوزير ابن السلعوس على عزل قراسنقر من نيابة حلب فانتهز عودة الأشرف خليل منتشياً من فتح قلعة الروم عام ٦٩١هـ/١٢٩١م وزين له مرة ثانية عزل قراسنقر، وفي تلك المرة استجاب الأشرف، وقام بعزله من نيابة حلب التي مكن لنفسه فيها أعواماً عديدة، ونقله معه إلى مقر الحكم بقلعة الجبل بالقاهرة^(٦١)، حيث أنعم عليه بإمرة مئة فارس تعويضاً عن عزله عن ولاية حلب^(٦٢).

أغلب الظن أن الأشرف خليل أبدى ندمه على عزل قراسنقر من نيابة حلب خاصة بعد أن ظهرت القلاقل بها، فأراد استرضاءه بأية وظيفة يطلبها، ولكن قراسنقر بدهائه ودبلوماسيته قبل الأرض بين يدي السلطان مخاطباً إياه قائلاً: «نظرة واحدة من وجه السلطان أحب إلي من حلب وما فيها»^(٦٣)، وتكمن عبقرية قراسنقر أنه أدرك أنه لا سبيل للتمكن في دولة الأشرف إلا باكتسابه إلى صفه وتهميش دور وزيره ابن السلعوس الذي دأب على وضع العراقيل في طريقه بغية التخلص منه، ولا يمكن النظر إلى عبارة قراسنقر على أنها ود لشخص السلطان، فحبل الود انقطع تماماً بين الأشرف وقراسنقر حينما قام بعزله عن نيابة حلب التي قضى بها ما ينيف على العقد من الزمان.

على أية حال أمام حالة الرضا من الأشرف خليل على قراسنقر طلب منه أن يُنعم عليه بوظيفة أمير جاندار^(٦٤)، ولعل رغبة قراسنقر في طلب هذه الوظيفة لأنها أتاحت

له القرب من الأشرف، والتحكم فيمن يقابله حتى ولو كان وزيره ابن السلعوس، وصرح قراسنقر بذلك للأشرف على سبيل الدعابة - بعد أن صار يمازحه - بأن ابن السلعوس لو طلب مقابلة السلطان فسيقول له : «إن السلطان في هذا الوقت مشغول»^(٦٥)، وبالفعل لبى الأشرف رغبة أميره وعينه في تلك الوظيفة^(٦٦)، ولم يعدم قراسنقر وسيلة في حجب ابن السلعوس عن مقابلة الأشرف عدة مرات، وهو ما جعله يستشيط غضباً من قراسنقر.

زادت مكانة الأمير قراسنقر لدى الأشرف، وبدأ يصحبه معه خلال تجريدات^(٦٧) الجيش المملوكي وتحركاته إلى بلاد الشام مثلما حدث في عام ٦٩١هـ/١٢٩١م حين خرج قراسنقر برفقة كبار أمراء الدولة مصاحبين للجيش المملوكي صوب جبال الكسروان^(٦٨)، ثم عظمت مكانته أكثر حين أصدر الأشرف مرسوماً^(٦٩) بتعيينه في رتبة «مقدم»^(٧٠) الممالك السلطانية^(٧١).

على العكس من إنعامات وهبات الأشرف لأmirه انضم قراسنقر لزمرة كبار الأمراء الناقمين على الأشرف وابن السلعوس معاً -على رأسهم بيدرا ولاجين- الذين دبروا اغتيال السلطان خلال رحلة صيد في البحيرة، وقاموا بتقطيعه إرباً إرباً^(٧٢)، فما هي الأسباب التي دعت قراسنقر للموافقة على اغتيال الأشرف رغم حالة الرضا التي كانت بينهما ؟

يروى لنا الصفدي^(٧٣) رواية فريدة -ذكر أنه نقلها عن ابن فضل الله العمري- ربما يلتمس فيها العذر لقراسنقر لاشتراكه في عملية الاغتيال مؤداها أن السلطان خرج للصيد في «تروجة» صحبة أمرائه الكبار، وقُدِّم للأشرف إناء به لبن ومعه رقاق فأكل وشرب منه، ثم أرسل للأمراء إناء اللبن بعد أن وضع السم به، ولما وصل الإناء للأمراء امتنع الأمير بيسري لعلّة في بطنه، ورفضه لاجين بحجة صيامه، أما

قراسنقر ففطن أنه مسموم، وسقى كلباً منه فمات لوقته، حينها أيقن الأمراء أن الأشرف كان يخطط للتخلص منهم.

حقيقة لا ندري مدى صحة تلك الرواية، ومدى حبكتها الدرامية التي ساقها الصفدي، وأغلب الظن أن الصفدي كان يبحث عن عذر منطقي لتبرير اشتراك قراسنقر في قتل الأشرف، فوجد ضالته في قصة اللبن المسموم رغم أن صاحب مؤامرة الاغتيال الرئيسي الأمير بيدرا كان غائباً عن المشهد، ناهيك من جعل قراسنقر يلعب دور البطولة في اكتشاف وجود السم بالإثناء بفطنته، ومما يزيد الأمر ترجيحاً أن الصفدي في ترجمته المطولة للأمير قراسنقر لم يتناوله إطلاقاً بسهام النقد بل كال له المديح مراراً وتكراراً.

إذا كنا نبحث بالفعل عن سبب منطقي لإشتراك قراسنقر في اغتيال الأشرف فقد أورد كل من بيبرس الدوادار والعيني نصاً غاية في الأهمية كشفنا فيه سبب نقمة الأمراء على السلطان قائلين: «فالأمير لاجين في قلبه ما فيه من الإهانة التي نالته والنكبة التي أصابته، والأمير قراسنقر وهو واجد لعزله من الممالك الحلبية وإحضاره في غير شيء إلى الديار المصرية، وغيرها من الأمراء الذين كانوا مطلعين على سريرته، وما منهم إلا من هو متغير الخاطر والنية لتأخرهم وتقدم صغار الخاصكية»^(٧٤)، أما الأمير بيدرا المتهم الأول بقتل الأشرف وصاحب الضربة الأولى في قتله؛ فالثابت فعلياً من خلال جلّ المصادر الملوكية أن السلطان كان يُضمر له سوء لدرجة أن الأمراء كانوا يحذرونه من تنكيل الأشرف به^(٧٥).

بناءً على نص المؤرخين -سابق الذكر- نجد أن قراسنقر بالفعل أضمر السوء للأشرف حينما عزله عن نيابة حلب التي مكّن لنفسه بها منذ ولاه إياها المنصور

قلاوون سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، ولاحقاً عبّر قراسنقر للناصر محمد عما يجيش بصدره نحو حلب، وسبب ارتباطه بها كونه «قد طال مقامه بها، وألف سكنى حلب»^(٧٦)؛ لذا كان طبيعياً أن يصيبه الغضب لأنه بين عشية وضحاها وجد نفسه في بلاط السلطان بالقاهرة دون جريرة ارتكبتها تُوجب عزله عن حلب، زد على ذلك المكائد والمضايقات التي تعرض لها من الوزير ابن السلعوس داخل قلعة الجبل بالقاهرة، لذا كان طبيعياً أن ينضم إلى باقي الأمراء الناقمين على الأشرف الذين خططوا لاغتياله خلال رحلة صيده. ويتبادر إلى أذهاننا تساؤل هل اشترك قراسنقر عملياً في قتل الأشرف خليل؟

مما لا شك فيه أن بعض كبار الأمراء اشترك فعلياً في عملية الاغتيال والبعض الآخر اكتفى بمشاهدة الأمراء، وهم يتناولون الأشرف «بالسيوف فقطعوه قطعاً قطعاً»^(٧٧)، وقد اعترف بيدرا صراحة بعملية القتل حين سُئل عن ذلك قائلاً: «نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم وها هم كلهم حاضرون»، وأورد أسماءهم صراحة وكان من بينهم الأمير قراسنقر^(٧٨)، كما يؤكد ابن حبيب وابن كثير مشاركة قراسنقر فعلياً في تلك الجريمة بقولهما: «قتله بيدرا نائب مصر ولاجين نائب دمشق وقراسنقر نائب حلب»^(٧٩)، ويوافق عديد من المؤرخين رأي ابن حبيب وابن كثير؛ بيد أنهم كانوا أكثر إسهاباً لحادثة الاغتيال حيث نجدهم يفضوا اشتباك هذه القضية بوصف عملية القتل وصفاً دقيقاً بأن الأمير بيدرا قام بضرب الأشرف على يده فقطعها، وضربه في كتفه برفق، فسخر منه لاجين قائلاً: «يا بيدرا من يريد ملك مصر والشام تكون ضربته هكذا»، وضرب الأشرف على كتفه فخلعه، وسقط على الأرض، ثم أتى الأمير بهادر فأدخل السيف من أسفل مقعدته حتى أخرجه من حلقة، ثم «تناوب الأمراء ضربه بالسيوف» و«تناوبه قراسنقر»^(٨٠)، وزاد ابن الفرات أن قراسنقر وبقية الأمراء حضروا إلى جثة الأشرف وفعلوا بها «فعلة ردية واحداً بعد

واحد، وأظهروا ما في قلوبهم»، وأن سيوفهم أخذته «من كل جانب وهبروه حتى صار كوم لحم»^(٨١)، مما يرجح اشتراك قراسنقر عملياً في قتل الأشرف.

على النقيض من روايات المصادر يأتي الصفدي كعادته في الدفاع عن قراسنقر مؤكداً أنه «لم يباشر قتله» وأن كل ما فعله قراسنقر أنه «نزع خاتمه من يده، وأخذ حياصته بيده، وفعل ما تقتضيه شماتة المشتفي»^(٨٢).

على أية حال عقب مقتل الأشرف خليل جلس أخوه الناصر محمد على كرسي السلطنة في فترة حكمه الأولى عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، وكان عمره آنذاك يقارب تسع سنوات^(٨٣) وأخذته والممالك الأشرفية حمية الانتقام من قتلة أخيه؛ فأصدر أولى مراسيمه بمصادرة أملاك جميع الأمراء الذين شاركوا في اغتيال الأشرف، ووصلت المراسيم إلى بلاد الشام، ووضعت قيد التنفيذ فتمت مصادرة أملاك وحواصل^(٨٤) بيدرا، ولاجين، وقراسنقر، وطرنطاي، وسنقرشاه، وغيرهم، في الوقت الذي شرع فيه الممالك الأشرفية بتعقب باقي الأمراء المشاركين في قتل الأشرف فقاموا «بقتلهم شر قتلة»^(٨٥)، وبدأوا بالرأس المدبر الأمير بيدرا فقتلوه أبشع قتلة.

حالما وصلت الأخبار إلى لاجين وقراسنقر بقتل بيدرا، وأن الممالك الأشرفية جادون في البحث عنهما هربا واختفيا في القاهرة «فهرب لاجين في طريق، وقراسنقر في أخرى»^(٨٦)، وانفرد العيني بكيفية هروبهما؛ بأنهما ظلّا يسيران حتى وصلا إلى الساحل ليلاً، ووجدا أن جميع المراكب التي تُستخدم في عبور الناس موجودة في برّ مصر، فخلع لاجين ملابسه وسبح ناحية إحداها، واجتمع بالمراكبي، ووعده بألف دينار من الذهب نظير نقلهما إلى برّ مصر، وأعطياه ما معهما من الفضة و«كلواته زركش» وحياسة ذهب على سبيل الرهن حتى يرجع إليه غلاميهما^(٨٧) بالذهب، ووافق المراكبي على المخاطرة – رغم كثرة الطلب عليهما

من قبل المماليك الأشرفية - وأوصلهما إلى برّ مصر، واتفق الاثنان على مكان مخبأيهما^(٨٨)، فاخترى لاجين في منارة جامع أحمد بن طولون^(٨٩)، واختفى قراسنقر في داره بحارة بهاء الدين بالقاهرة، ويضيف العيني بأنه كان ينتقل من بيت إلى بيت حتى هدأت الأمور^(٩٠).

أخذ لاجين وقراسنقر يتقصيان الأخبار من مخبأيهما، ويبحثان عن وساطة أحد كبار الأمراء لدى الملك الناصر بغية الصفح عنهما، ووجدا ضالتيهما في سيف الدين كتبغا نائب السلطنة، وهنا لعبت الرشوة دورها حيث أغدق قراسنقر ولاجين الأموال والهدايا على مملوكي كتبغا - بتخاص والأزرق - لطلب الشفاعة عند أميرهما كي ينظر في أمرهما، ولاقى ذلك قبولا لدى كتبغا الذي كانت لهما في قلبه منزلة عظيمة^(٩١).

الثابت أن انتهاج قراسنقر سياسة البذل والبرطلة (الرشوة) كونها قادرة على حل كثير من المشكلات، فأقرّ الصفدي أنه كان مع عظم مكانته «يداري بماله ويصانع حواشي السلطان حتى الكُتاب والغلمان»، وحينما سُئل عن الحكمة في بذله للمال أجاب قائلاً: «ما يعرف الإنسان كيف تدور الدوائر، وواحد من هؤلاء يجيء له وقت تُفْلِح منه كلمة تُعَمِّر ألف بيت وتُخَرِّب ألف بيت»^(٩٢)، وسرعان ما أتت تلك السياسة أكلها وقَبِل زين الدين كتبغا إجارتها في بيته تمهيداً للشفاعة فيهما لدى الناصر محمد^(٩٣)، ومن الطريف أن كتبغا «كان ينادي عليهما وهما عنده»^(٩٤).

لم تكن عملية إقناع الناصر محمد بالشفاعة في قتلته أخيه بالمهمة اليسيرة نظراً لحالة الغضب التي كان عليها المماليك الأشرفية عقب اغتيال سلطانهم، والتي كانوا يتحينون الفرصة للانتقام ممن شارك في عملية الاغتيال من الأمراء؛ واستغل كتبغا حداثة عمر الناصر محمد فأقنعه أن كبار أمراء المماليك يطلبون شفاعته في

الأميرين لاجين وقراسنقر، وأخذ يُعد له محاسنهما كونهما من «أكابر ممالك الملك الشهيد والد مولانا السلطان»، وأن ماضيتهما في خدمة الدولة المملوكية جد كبير ؛ فالأمير لاجين كان نائباً للسلطنة بالشام، وقراسنقر نائباً للسلطنة بحلب، غير أن إقناع كتبغا اصطدم بعاطفة الأخوة لدى الناصر الذي رد عليه قائلاً : «يا أمير هؤلاء هم الذين قتلوا أخي»، فعاجله كتبغا بقوله : يا خوند كذب أعداؤهما عليهما، والذي تحققنا منه يبرئهم، وأشهد لهم، وفي بقاء هذين الأميرين نفع عظيم للمسلمين»؛ لما لوقع اسميهما من عظيم الأثر في نفوس أعداء الدولة المملوكية.

وهكذا قلب كتبغا الحقائق وبراً لاجين وقراسنقر من قتل الأشرف خليل مستغلاً صغر سن السلطان الناصر من ناحية، ولاستخدام سياسة البذل والبرطلة على كبار أمراء الممالك لغض الطرف عن لاجين وقراسنقر من ناحية أخرى.

استعمل كتبغا الحيلة لإزالة جميع الرواسب والضغائن التي يحملها الممالك تجاه لاجين وقراسنقر، فطلب وساطة الأمير بكتاش الناصري أمير سلاح ليقوم بتلطيف الأجواء من ناحية الممالك تجاه لاجين وقراسنقر، ونجح بالفعل في مهمته، وزالت الوحشة بين الجميع، بيد أنها كانت «كنار تحت الرماد».

حالما تحقق كتبغا من صفاء النوايا أخرج لاجين وقراسنقر من بيته وأحضرهما بين يدي الناصر فقَبَلَا الأرض وأفاض عليهما بالخلع والتشريف، وأمرهما وعظم شأنهما «وصار كل منهما إلى داره، وهو آمن»، وحمل الأمراء التقدّم والهبّات والتحف إليهما كما جرت العادة^(٩٥).

بالرغم من العفو الذي أنعم به الناصر على لاجين وقراسنقر والخلع التي أغدقت عليهما، فإنهما أنهما لم يأمنّا على نفسيهما لإدراكهما عظم الجرم الذي ارتكباه في

حق الأشرف خليل، لذا كانا يتوخيان الحذر في تحركاتهما داخل القاهرة؛ وقد تأكد لديهما ذلك الشعور حينما كانا يتجولان في قلعة الجبل ذات مرة فعلت ضحكاتهما، فاستشاط ممالك القلعة غضباً، وصرخ بعضهم في وجهيهما «إي والله يا أشقر، يحق لك أن تضحك، قتلت أستاذنا بسيفك، ثم تضحك»، فأيقنا أنهما لا أمان لهما وسط هذا المناخ الممزوج بالكرهية تجاههما، واعترف أحدهما للآخر بقوله: «يا أمير: تحقق أننا وأنت مقتولون مع هؤلاء الممالك»^(٩٦).

انتَهز الأمير زين الدين كتبغا صغر سنّ الناصر محمد فتأمر عليه، وقام بخلعه من السلطنة، وجلس على كرسي الحكم، وتلقب بالملك العادل، وظل قراسنقر ينعم بالإمرة في عهده، بل وندبه لمهمات الأمور الكبار مثلما حدث في عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م حين كلفه باستقبال المغول «الأويراتية»^(٩٧) الذين وفدوا على الدولة المملوكية مستأمنين، فسافر من القاهرة إلى بلاد الشام، وأحسن استقبالهم، وقام باصطحابهم إلى قلعة الجبل بالقاهرة لمقابلة العادل كتبغا^(٩٨).

تعرضت الدولة المملوكية للعديد من الكوارث في ظل حكم العادل كتبغا، وبات أصدقاء الأمس أعداء اليوم؛ فقراسنقر ولاجين اللذان كانا طريدين خائفين في المدينة يترقبان قتلتهما الوشيك على يد الممالك الأشرفية- لولا إجارة كتبغا لهما آنذاك- لم يحفظا الجميل له إذ سرعان ما قفزا من سفينته الغارقة، بل وحملوا لواء الثورة ضده فتربصا به في الدهليز^(٩٩) بمنزلة العوجاء^(١٠٠) على طريق دمشق إلا أنه استطاع الفرار، فشغل كرسي السلطنة، وجلس عليه لاجين، وتلقب بالملك المنصور في عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م^(١٠١).

كان على قراسنقر أن ينتظر عطايا رفيق دربه السلطان لاجين، فجاءه الإنعام سريعاً حيث خلع عليه بناية السلطنة بمصر في عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م^(١٠٢)، ويبدو

واضحاً أن لاجين كان أعلم بصفات رفيقه وطموحه الشديد، فتوجس منه خيفة، لذا أبعده عن النيابات الكبار في بلاد الشام حتى يأمن على نفسه من الدسائس والمؤامرات، وفضل إبقاءه تحت المراقبة في قلعة الجبل بالقاهرة إلى حين.

لم يستمر هذا الوضع طويلاً، ومُجدداً ظهرت المكائد والدسائس والمؤامرات من قبل كبار الأمراء حال تولية قراسنقر لنيابة السلطنة بمصر؛ فلم يعجب ذلك الأمير منكوتر وأخذ يلح على السلطان لاجين في عزله عن تلك النيابة العامة واعتقاله ومصادرة أملاكه، وما زال «بالسعايات والوشايات التي توغر الصدور، وتهيج الشرور، حسداً له ورغبة في منصبه»^(١٠٣)، حتى استجاب لطلب خشداشه- زميله منذ الصغر- وأقدم في عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م على عزل قراسنقر رفيق دربه من نيابة السلطنة بمصر بعد أن مكث بها عدة أشهر، بل واعتقله «وأُحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام وضيق عليه»^(١٠٤).

الطريف ما روته المصادر من أن السلطان لاجين لم يحفظ جميل قراسنقر-رفيق دربه- الذي كان سبباً في نجاته من القتل خلال فترة الأشرف خليل؛ حيث قام الأشرف - آنذاك- بالقبض على مجموعة من الأمراء، وأمر بإعدامهم، وكان من بينهم حسام الدين لاجين، وأوكل الأشرف إلى قراسنقر مهمة إعدام وخنق لاجين، الذي بمجرد أن وضع وتر الخنق على عنقه حتى أخذ في استجداء عطفه، وسرعان ما تعاطف معه قراسنقر، وتباطأ في تنفيذ حكم الإعدام عسى أن تلحقه شفاعاة أحد كبار الأمراء، وهو ما حدث بالفعل حيث أطلق سراحه بوساطة الأمير بيدرا آنذاك^(١٠٥).

وأغلب الظن أن نجاة لاجين من حادثة الشنق على يد قراسنقر كانت سبباً رئيسياً في تأكيد المصادر أن لاجين ما كان ليُقدم على المساس به جسدياً بتعذيبه أو إعدامه،

وخير شاهد على ذلك ما رواه الصفدي من أن لاجين أرسل في طلب القاضي شرف الدين بن فضل الله العمري عدة مرات لمقابلته في قلعة الجبل بالقاهرة فلم يُلبَّ الطلب على الفور، بعد أن بات ما فعله السلطان مع رفيقه مثار حديث الخاصة والعامة في القاهرة، وحالما وصل القاضي إليه في نهاية المطاف استنكر عليه لاجين تأخره، وسأله عن سبب عدم قدومه لمقابلته مسرعاً، فرد عليه القاضي مستنكراً: «كيف أجيء وقد فعلت مع قراسنقر ما عملت بعد أن كنتما مثل الروحين في الجسد»، فأقسم له لاجين بأنه رغم حبسه فإنه لن يمسه بسوء، فطلب ابن فضل الله أن يذهب لقراسنقر في محبسه ليبشره بذلك بعد أن ساورته الشكوك، وظن أنه هالك لا محالة، ووافق السلطان، وسرَّ القاضي لذلك، وقابل قراسنقر في محبسه وبشره بوعده السلطان؛ إلا أنه سقط في موجة من البكاء متوهماً أن لاجين سيقطله لا محالة، مما اضطر القاضي شرف الدين أن يعود مرة أخرى إلى لاجين وحلفه على كتاب الله، فأقسم لاجين بأنه «ما يؤذيه، ولا يمكن أحداً من أذيته»، فلما عرف قراسنقر ذلك تهلت أساريره، وعَقَّب للقاضي ابن فضل الله قائلاً: «يا شرف الدين: الآن طاب الحبس»^(١٠٦).

وقبل اتهام لاجين بنكران الجميل بتنكيله بصديق عمره علينا أن نحقق في الأسباب التي أوردتها المصادر المملوكية التي أوجبت عزل قراسنقر ومصادرته واعتقاله؛ فتروي المصادر أن قراسنقر «أظهر من الحمق والكبر فيها ما غيّر به خواطر العسكر عليه وعلى أستاذه»^(١٠٧)؛ لاجين الذي وسمه «بالطمع وكثرة جباية الأموال من سائر الوجوه»، إضافة إلى خشيته من حدوث إتفاق بين الأمراء البرجية الذين خرجوا من الحبس وبين قراسنقر للانقلاب عليه^(١٠٨).

زد على هذا وذاك ورود شكاوي وقصص كثيرة ضد مماليكه إلى دار العدل تُظهر تعديهم على عامة الناس، على أن السبب الرئيسي الذي أدى لعزله تمثّل في

كاتبه شرف الدين يعقوب الذي تمكن من بيته وزاد ثراؤه «فعضمت نعمته، وكثرت سعادته، وأسرف في اتخاذ الممالك والخدم»، إضافة إلى أنه كان مولعاً باللهو والطرب واجتماع الندماء في قصره، فيغدق عليهم الأموال والإنعامات الكثيرة، وكان سبب تفشي أمره ووصول خبره إلى لاجين أن قلبه تعلّق بامرأة من بعض أرباب البيوت، وذات مرة أسرف في الشراب حتى وصل إلى حد السكر، فأرسل يطلبها، فلم تستطع الحضور في تلك الليلة، فأرسل من أحضرها مجبرة هي وزوجها معاً، فقام زوجها بتوبيخه، وأغلظ له في الكلام، فضربه يعقوب وأهانته، فرفع الزوج القصة للسلطان لاجين ذكر فيها ما حدث من كاتب قراسنقر في حقه وحق زوجته، فاستشاط غضباً، وأرسل في طلب أستاذه قراسنقر، وأغلظ له الكلام، قائلاً له: «لأبد من تأديب كاتبك وخروجه من عندك»، الغريب في الأمر أن قراسنقر استدعى كاتبه، وأعطاه القصة فقرأها وأنكرها، ولم يكثر بذلك لا هو ولا أستاذه، فازداد حنق لاجين عليه، وأخذ يُعدّد للأمراء مثالب الكاتب وظلم قراسنقر ومماليكه في حق رعيته حتى اتفق الجميع على عزله والقبض عليه^(١٠٩).

أرادت بعض المصادر أن تُجمل ما حدث بين لاجين وقراسنقر في حادثة يغلب عليها الطابع الميثولوجي، فأرجعوا ما حدث بينهما إلى رؤيا منامية وقعت للأمير قراسنقر مؤداها: أنه في أعقاب اغتيال الأشرف خليل وهروب الاثنين واختفائهما -مع معرفة كل منهما بمكان الآخر- رأى قراسنقر رؤيا منامية للأمير لاجين، وأرسل إليه في مخبئه يطلب مقابلته ليقصّها عليه، فاخفى لاجين داخل صندوق، ثم حُمِلَ إلى قراسنقر في داره في حارة بهاء الدين بالقاهرة؛ حيث التقاه وأخبره أنه رأى رؤيا تخصه، ومتوجس خيفة منه إن قصّها عليه، فسيغدر به، فأقسم له لاجين بعدم خيانتة، هنالك أخبره قراسنقر بنص الرؤيا قائلاً: «رأيت كأنك قد ركبت وبين يديك خيول

معقودة الأذناب، مصفورة المعارف، مجللة بالرقاب الذهب على عادة الملوك، ثم نزلت وجلست على منبر، وأنت لابس خلعة الخلافة، واستدعيتني وأجلستني على ثالث درجة من المنبر، وتحدثت معي قليلاً، ثم دفعتني برجلك، فسقطت من المنبر، وانتبهت عند سقوطي، وهذا يدل على قُربي منك ورميك لي»، وتُعقّب تلك المصادر على تلك الرواية بأن هذا ما حدث بالفعل^(١١٠)، غير أن تلك الرواية يغلب عليها الطابع الخرافي في تفسير الظواهر التاريخية، وهي محاولة استشرافية تنبؤية من قراسنقر لبيان ما سيحدث له - مسبقاً - مع لاجين، أراد بها المؤرخون إظهار قراسنقر من أرباب الكرامات والمكاشفات، وقد اعتادت المصادر على إقحام مثل تلك الروايات لتغليظ الأحداث بالتشويق والإثارة.

على أية حال أصدر السلطان لاجين أوامره بإخلاء إحدى القاعات القريبة منه في قلعة الجبل، ووضع فيها قراسنقر ليكون تحت الإقامة الجبرية، على أن تُلبى جميع طلباته؛ ويُقدّم له أفخر أنواع الأطعمة، والأشربة، والفواكه، والحلوى، دون انقطاع، «فكان مكرماً في حبسه»^(١١١)، وكانت المراسلات لا تنقطع بينهما، وبين الحين والحين كان قراسنقر يسير إليه يستعطفه ويُذكره برؤياه المنامية التي بشره فيها بالسلطنة، ويستحلفه أن يطلق سراحه، ويرسله إلى أي مكان يشاء، ويُذكره بقسمه والأيمان المؤكدة بينهما - وقتذاك - وكان لاجين يبتسم في كل مرة يسمع فيها هذا الكلام منه أو من الرسول الذي يحمل الرسالة معقياً «سَلِّمَ عليه وقل له إن شاء الله بقي القليل»^(١١٢).

تطورت الأحداث ليلة مقتل السلطان لاجين الذي أرسل السلام لقراسنقر كعادته، وزوده بأطيب أنواع الفاكهة، وبلغه برسالة فحواها أنه يشتهي أكل البازلاء مع اللحم المقدّد، وأنه لن يأكلها إلا وقراسنقر معه؛ وهو ما يشي بقرب إصدار العفو العام عن

صديقه، وتهللت أسارير قراسنقر فرحاً، وفي اليوم الموعد اعتذر لاجين لقراسنقر بأنه صائم، وأنه لا يحب أكل البازلاء وهو صائم، ووعده أن يأكل معه في الجمعة التي تليها، فأرسل إليه قراسنقر أنه لا يبتغي سوى رؤياه ولو ساعة واحدة فقط قبل الموت؛ فردّ لاجين عليه برسالة بأنه لن يجتمع معه إلا في يوم القيامة، فكان من غريب الأمر أن الذي قُتل هو لاجين والذي أطلق سراحه هو قراسنقر!!^(١١٣).

أطلق سراح قراسنقر عقب مقتل السلطان لاجين بعد أن مكث في سجنه ما يقارب سنة وشهرين، وعاد الناصر محمد إلى عرش السلطنة للمرة الثانية في عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، فأطلق سراحه من الاعتقال، ثم خلع عليه بإرساله نائباً إلى قلعة الصبيبة^(١١٤) وبانياس وأعمالها^(١١٥)، ولم يطل مقامه بها إذ سرعان ما أرسل إلى الناصر محمد يتضرر من وجوده بها؛ فسأدته الأقدار في ذلك الوقت إذ توفي الملك المظفر محمود صاحب حماة، فخلع عليه الناصر بنيابة السلطنة بحماة^(١١٦)، فخرج من الصبيبة في عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م ليباشر مهام نيابته الجديدة التي بمجرد أن وطأتها قدمه استولى على جزء كبير من تركة صاحبها المتوفي وأسرته، وهذا ما دعا المؤرخ أبا الفدا - المعاصر لتلك الأحداث - أن يسمّه بالظلم الكبير^(١١٧).

لم يعدم قراسنقر وسيلة في استخدام البذل والبرطلة والهدايا للتقرب من السلطان الناصر واستجدائه لعودته إلى نيابة حلب؛ لذا بمجرد أن علم بمجيء الناصر إلى غزة حتى جَهّز هو وأخوة المؤرخ أبي الفدا هدايا قيمة «من خيل المظفر صاحب حماة وقماشه»، وأرسلها بصحبة المؤرخ أبي الفدا لتقديمها للناصر محمد الذي طابت نفسه بتلك الهدايا^(١١٨).

مكث قراسنقر في حماة فترة قصيرة إلا أنه لم يحسن السيرة في أهلها فارتكب من الموبقات ما جعلهم ينقمون عليه؛ فتروي المصادر أنه أجاز أحد العتاة الفاسدين، ويدعى

عثمان الذي كان من «خازندارية»^(١١٩) قراسنقر، وأنه - عثمان - تسلط على أهل حماة فنهب أموالهم، وهتك أعراض نسائهم، وسفك دماءهم، حتى قبض عليه، وحُكم عليه من قاضي حماة بإراقة دمه، إلا أن قراسنقر أجاره بعد أن ارتشى منه الأموال التي نهبها من أهل البلدة، واستصحبه معه إلى حلب وأكرمه، ولم يردّ الأموال إلى أصحابها، ووقف حائلاً دون المساس به، مما زاد من نقمة أهل حماة على قراسنقر^(١٢٠).

لم تلبث الأقدار أن ساعدت قراسنقر للمرة الثانية حين مات الطباخي نائب السلطنة بحلب، فأصدر الناصر تقليداً في عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م بعودة نيابته للأمير قراسنقر^(١٢١)، وذكر ابن تغري بردي أنه جمع بين النيابتين حلب وحماة^(١٢٢)، وقد أورد القلقشندي نص وثيقة التقليد التي كتبها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي المليئة بعبارات التفخيم والتعظيم لشخص قراسنقر الذي يُعد أكثر دراية بها، معبراً عن ذلك بقوله: «وأن نعيد أمرها إلى من طالما حسن عدله بقعتها، وحصن بأسه قلعتها، وأطارت مهابته سمعتها، وأطالت سيرته سكون رعاياها في مهاد الأمن وهجعتها، وأعاد وجوده أحوال مجاوريتها من العدا إلى العدم، وأباد سيفه أرواح معانديها، فلو أنكرته أعناقهم لم يكن بالعهد من قرم»^(١٢٣).

في هذا التوقيت عزم المغول على اجتياح بلاد الشام بقيادة غازان خان، وبدأ يُعدّ العدة لمهاجمة حلب، فتشاءم الحلبيون، وانتشر الخوف والفرع فيما بينهم، وتركوا ديارهم حتى باتت المدينة خاوية على عروشها، بل وهرب منها قراسنقر بصحبة جيشه متوجهاً إلى حماة ريثما يأتي الجيش المملوكي بقيادة الناصر من مصر، غير أن الظروف كانت غير ملائمة للجيش المغولي بعد أن هطلت الأمطار بغزارة، وكثرت الأوحال، فأرجأوا الاجتياح إلى حين، وسرعان ما عادوا أدراجهم إلى موطنهم، وتبعاً لذلك عاد قراسنقر بصحبة جيش حلب إلى المدينة مرة أخرى^(١٢٤).

طرق غازان خان بلاد الشام مرة ثانية في عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م فاستنفر الناصر جميع الجيوش ب尼亚بات السلطنة بالممالك الشامية استعداداً لمواجهة المغول؛ الذين تقابل معهم في معركة شقحب «مرج الصفر»، وانتصر فيها المماليك انتصاراً حاسماً، وكان للأمير قراسنقر دور فعال بقيادة جيش حلب حيث شغل ميسرة الجيش المملوكي خلال تلك المعركة^(١٢٥).

هدأت الأوضاع نسبياً في بلاد الشام عقب معركة مرج الصفر التي انتصر فيها المماليك، وقلّ ذكر قراسنقر بين ثنايا المصادر المملوكية قبل أن يعاود الظهور على مسرح الأحداث على استحياء في عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م حين توجه بجيش حلب للإغارة على بلاد سيس^(١٢٦)، غير أن اختياره لقواد جيشه كان غير موفق؛ فاختر قائد «ضعيف العقل، قليل التدبير، مشغلاً بالخمير»، فكان طبيعياً أن تكون العواقب وخيمة؛ حيث مُني الجيش المملوكي بهزيمة قاسية، وعادت فلول الجيش المهزوم إلى حلب^(١٢٧).

في نفس العام-٧٠٥هـ/١٣٠٥م- قام قراسنقر باستقبال أحد الشيوخ الموفدين من خان المغول خدابنده، وكان الهدف هو سعيه في الصلح بين مملكة المغول ودولة المماليك، فأرسل قراسنقره بخبره إلى الناصر يستطلع رأيه، فطلب حضوره على وجه السرعة إلى قلعة دمشق^(١٢٨).

لعل أبرز ما قدمه قراسنقر في خدمة الدولة المملوكية ضد المغول يتجسد في عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م؛ حين تزعم لواء المقاومة ضد المغول في معركة قوية هي معركة البليخ، زاد من أهميتها أن أحداثها تمت بدون مساندة الجيش المصري أو الجيش الشامي، وكان بطلها الجيش الحلبي بقيادته، فما هي قصة تلك المعركة التي أفاض بذكرها المؤرخ العيني دون المصادر المملوكية الأخرى؟

مقدمات تلك المعركة حدثت حينما وقعت الفتنة بين عرب آل مهنا وبين عميرة بسبب إمراة من عرب آل فضل، كان عميرة طلبها للزواج، وبعد أن وافق آل فضل على الزواج نكثوا بالاتفاق-على غير عادة العرب- وزوجوها لرجل آخر، هنالك شرع عميرة في التربص بعرب آل مهنا بغية الانتقام منهم، فأخذ يعميت فساداً في المناطق المتاخمة للدولة المغولية، ولما وصلت الأخبار إلى الناصر محمد سلطان مصر أرسل إلى نائب الشام يأمره بالقبض عليه، فقبض عليه وأودع السجن حتى مات في حبسه، فأراد ابنه أحمد بن عميرة أن ينتقم لموت أبيه، فدخل في معية خدائنده خان المغول، وطلب منه عشرة آلاف فارس للهجوم على بلاد الشام، وكانت البداية مدينة الرحبة، فخرجت له فرقة عسكرية من المماليك بقيادة أحد المماليك الشجعان يدعى عبد الرحمن، فقام بتأديب أحمد بن عميرة، وأصابه بسهم في ركبته، وهرب طلباً للنجاة^(١٢٩).

عاد القائد عبد الرحمن بعد هزيمة أحمد بن عميرة فدخل حلب، والتقى قراسنقر الذي أعجب بشجاعته النادرة، إلا أنه أنكر عليه عدم التخلص من ابن عميرة كونه سيعاود الكرة مرة أخرى، وحدث ما توقعه قراسنقر إذ اجتمع أحمد بن عميرة مع سوتاي أحد حكام المغول على الموصل، وتحالف معه، واتفقا على الإغارة على البلدان الواقعة على أطراف الدولة المملوكية، ونهب ثرواتها، وأسر رجالها، وسبى نساءها، وبدأ القصاد والجواسيس^(١٣٠) يُرسلون لقراسنقر مستجدات الأخبار عن الجيش المغولي، فأعطى أوامره على الفور إلى جميع القلاع المملوكية بأخذ الحذر والاستعداد لغارات المغول المحتملة، وبدأ الزحف المغولي على مدن الأطراف، فطرح قراسنقر الأمر للرأي والمشورة؛ هل يرسل إلى نواب السلطنة بالشام لتجميع الجيش والقدم لمواجهة المغول؟ أم يتم اتخاذ القرار الأخطر، وهو مواجهة المغول فقط بالجيش الحلبي وفرقة القائد عبد الرحمن؟ واستقر الرأي على الأمر الثاني، وهو المخاطرة بمواجهة المغول وقطع الطريق عليهم، خاصة بعد أن قدم على قراسنقر جواسيسه من

الأراضي المغولية يطلعونه أن المغول دخلوا المدن، ونهبوها، وأسروا الرجال، وسبوا النساء، واستولوا على الأموال، لذا أخذت الحمية قراسنقر بضرورة استرداد سبايا المسلمين من النساء^(١٣١).

أخذ قراسنقر وجيشه في تعقب سوتاي قائد الجيش المغولي من بلد لأخرى، فبات خط سيرهم لديه أولاً فاولاً، ثم طلب القائد عبد الرحمن من قراسنقر بأن يأخذ مجموعة من الأفراد لكشف معسكر سوتاي على أن يقوموا بأسر أحد جنوده واستجوابه؛ لمعرفة جميع المعلومات عن جيشه، وأي الطرق سيسلكونها؛ حتى يسهل هزيمتهم، فأذن له على أن يصطحب ابنه معه، وقام عبد الرحمن ورفقته بتتبع سوتاي من بلد لأخرى؛ يرصدونهم دون أن يغيّبوا عن أعينهم حتى عسكروا في بلد عين الذهب بالقرب من البليخ، وكان بالبلدة عين للمياه يرتوي المغول منها ويسقون خيولهم، فعسكرت فرقة الكشف فوق تل بالقرب من المياه، لا يخالجهم شك أنه لابد لشخص من المغول أن يأتي منفرداً ليماً قربته بالماء، وحينئذ يقومون بأسره، بيد أن الحسرة أصابتهم عندما وجدوا أن المغول يأتون لملء قريهم بالماء جماعات لا تقل عن عشرة أو عشرين فرداً، وقبل أن يدب اليأس في قلوبهم لحوا جندياً مغولياً منفرداً يأتي ليماً قربته، فوضعوا خطتهم على الفور، وكلفوا واحداً منهم بغلق فمه حتى لا يصيح طلباً للنجدة وتضيع خطتهم هباء، وبالفعل هجموا على الجندي، وقاموا بتقييده، وحملوه إلى الأمير قراسنقر لاستجوابه^(١٣٢).

في هذا التوقيت أصاب قراسنقر القلق من تأخرهم لدرجة أنه ركب مع اليزك^(١٣٣) في طليعة الجيش لاستطلاع الأخبار، وما إن رآهم حتى تهللت أساريه، وزادت فرحته برؤية الأسير المغولي، وبدأ في استجوابه عن معسكر سوتاي، وعدد جيشه، وخط سيره، والمدن التي يقصدونها، وتجلت هنا أروع صور الشجاعة داخل المعسكر المملوكي، فالقائد عبد الرحمن وابن قراسنقر يعلمون تماماً أن عدد الجيش المغولي

ضخم جداً، لذا طلبوا من الأسير أن يخبر قراسنقر بأن عددهم ثلاثة آلاف فارس فقط، وأن خيولهم منهكة جداً، وكانت تلك الإجابة كافية لتشجيع قراسنقر على اتخاذ قراره بملاحقة المغول لاسترداد نساء المسلمين وغنائمهم^(١٣٤).

هنالك برزت عبقرية القائد عبد الرحمن الذي اقترح على قراسنقر أن ينظم جيشه كما هي عاداته إلى ميمنة وميسرة في مواجهة سوتاي على أن يقوم هو وخمسمة فارس بعمل كمين مفاجئ لهم، وبالفعل رتب قراسنقر جيشه، وحانت اللحظة الحاسمة بالقرب من بلدة البليخ، ولما رأى قراسنقر وجنوده غبار خيل المغول عرفوا أعدادهم الحقيقية، وكانت ضخمة جداً - عكس ما ذكره الأسير - إضافة إلى أعداد ضخمة من النساء والأطفال يَصْحَنَ وَيَنْتَحِبْنَ؛ هنالك تجلت شجاعة قراسنقر في إلهاب الحماسة في قلوب جنوده الذين أصابهم الرعب من هول حشود المغول، فخطبهم قائلاً: «لم يبق إلا القتال والثبات، ونحن في مكان لا ملجأ فيه إلا إلى الله تعالى»، ثم استثار غيبتهم ليلهب عزيمتهم قائلاً: «يا معشر المسلمين: انظروا إلى نساء إخوانكم المسلمين وأولادهم، كيف يساقون، وهم في الذلة؟ وهذه أبواب السماء قد فتحت فبيعوا أنفسكم لله تعالى»^(١٣٥).

فوجيء المغول بوجود الجيش المملوكى بقيادة قراسنقر، بيد أنهم استحقروا أعدادهم، ودخلوا معهم في معركة حامية الوطيس، كان قراسنقر يتقهقر خلالها من كثرة تدافع المغول، وحينما أيقن المغول من النصر خرج القائد عبد الرحمن بفرقته واستغلوا عنصر المفاجأة، وألحقوا بالمغول هزيمة مذلة، وولوا الأدبار، وقام قراسنقر بأسر رجالهم والاستيلاء على غنيمتهم، وأعادوا نساء المسلمين إلى بلدانهم، وعاد قراسنقر وجيشه إلى حلب في يوم عظيم بعد معركة البليخ الكبيرة مع المغول، ثم أرسل رؤوس الأسرى إلى الناصر محمد بالقاهرة الذي سُرَّ كثيراً، وأرسل خطاب شكر إلى قراسنقر^(١٣٦).

استغل قراسنقر انتصاره على المغول أحسن استغلال، فأرسل مُسرِعاً مندوباً من قبله إلى صاحب سيس يطلب منه دفع الجزية المقررة عليه، وإلا سيناله ما نال سوتاي، وبالفعل قام بتجهيز الأموال المقررة عليه، وأرسلها إليه بعد أن تناهى إلى علمه الهزيمة التي مُني بها قائد المغول، وبات اسم قراسنقر مثلاً للرعب بين مملكة المغول، فكانوا يحدثون أنفسهم قائلين: «لا نأمن أن يجيء إلينا قراسنقر صاحب حلب ويجرى بيننا وبينه أنحس مما جرى على سوتاي»^(١٣٧).

المحور الثالث:- دور قراسنقر في عودة الناصر محمد للحكم والقبض على المظفر بيبرس الجاشنكير:

عاد الأمير قراسنقر للظهور بين ثنايا المصادر الملوكية مع مطلع عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، ولعب دور البطولة في عودة الناصر محمد إلى سلطنته للمرة الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م)، فما هي علاقته بالناصر آنذاك؟ وما هي الأسباب التي دعت للوقوف في صف الناصر محمد؟ وما هو دوره في القبض على المظفر بيبرس الجاشنكير؟

حقيقة اتسم موقف قراسنقر بالغموض تجاه سلطانه الناصر محمد حين خلع نفسه من السلطنة، واستقر بالكرك، وجلس المظفر بيبرس الجاشنكير مكانه على تخت السلطنة، وبدا كأنه يقوم بدراسة المكاسب التي سيجنيها من كل طرف في حال إعلان ولائه لهذا أو ذاك؛ لذا زاد حنقه على أمراء الشام جراء تسرعهم بإعلان المظفر سلطاناً دون مشاورته وأخذ رأيه^(١٣٨)، وهو ما جعل قراسنقر يتزعم حلفاً ثلاثياً من نواب السلطنة بحلب وحماة وطرابلس؛ اتفقوا فيه على مراسلة الناصر محمد في الكرك لإرجاعه إلى عرشه أو الموت دونه على ظهور خيولهم، وبالفعل خرج الابن محمد بن قراسنقر بكتاب الحلف الثلاثي للناصر، وذهب لمقابلته في الكرك، وأطلعه

على ما كان من مناصرة أبيه والأمراء له، إلا أن الناصر شكر صنيعه والأمراء، وطلب منهم التريث إلى حين مجيء اللحظة الحاسمة^(١٣٩)، غير أنه حدثت بعض الأمور التي استوجبت من قراسنقر الوقوف كلية في صف الناصر وتأييده بكل قوة تمهيداً لعودته إلى عرشه مرة أخرى.

أولى تلك الأمور كان ناصر الدين محمد بن قراسنقر الذي ما زال بوالده حتى أقنعه بضرورة الولاء للناصر وكسب صفه، ويبدو أن موقف الابن وصل إلى المظفر بيبرس الجاشنكير فقرر التخلص منه في سرية تامة دون علم قراسنقر^(١٤٠)، لذا استمال فخر الدين الطنبا أستاذار^(١٤١) قراسنقر ففسد السم له فمات، وعلم قراسنقر بخيوط الجريمة فانتقم لولده بقتل أستاذاره، ثم شرع في التحايل على بيبرس بإيهامه أنه على طاعته، لدرجة أن المظفر بيبرس ظن «أن قراسنقر ما في نفسه منه شيء»، وأن ما فعله بابنه بات طي النسيان، وكان ذلك أولى الأسباب الرئيسية التي رجحت كفة قراسنقر للوقوف في صف الناصر^(١٤٢).

ثاني تلك الأمور هو الاجتماع الذي حدث بين قراسنقر والأمير سنقر شاه الظاهري للتشاور فيمن يتم إعلان الطاعة له، الناصر أم المظفر بيبرس؟ وكان ردّ الأمير سنقر شاه لصديقه حاسماً - كموقف ابنه محمد - قائلاً: «**المصلحة عندي أن تدخل في طاعة ابن أستاذك**»^(١٤٣).

لذا اجتمع أمراء النيابات الشامية عند قراسنقر للتشاور حول عودة الناصر للحكم عقب مستجدات الأمور التي حدثت، فصمت الأمراء إجلالاً لقراسنقر مخاطبين إياه: «أنت أحق بالكلام... وكلنا نسمع منك، ولا نخالفك»، فأخذ يتغزل في الناصر محمد، ويعدد مناقبه وشجاعته في استرداد الشام من المغول، وأنه «مقدام عند الشدائد، ثابت عند تراكم الأهوال وتصادم الرجال»، فاستشعر الأمراء

ميوله ناحية الناصر، وأكد قراسنقر دعمه للناصر قائلاً: «إن ابن أستاذي أحب إلي من خشداشي»^(١٤٤)، وكان ذلك بمثابة الدعوة لجميع أمراء الشام بالوقوف خلف الناصر تمهيداً لعودته للحكم مرة أخرى.

كانت تحركات قراسنقر في حشد الدعم للناصر لإرجاعه إلى عرشه في قلعة الجبل بالقاهرة تتسم بالسرية التامة؛ لدرجة أن المظفر بيبرس اقتنع بأن معظم أمراء الشام في صف الناصر، إلا أنه لم يداخله شك قط في اثنين من الأمراء، ولم يتبادر إلى ذهنه مطلقاً شقهما عصا الطاعة وإعلانهما العصيان والتمرد ضده، وهما قراسنقر نائب السلطنة بحلب، وجمال الدين الأفرم نائب السلطنة بدمشق^(١٤٥)، لذا بُهت حينما وصلت إليه الأخبار بوجود قراسنقر في صف الناصر محمد، واستجاب لنصيحة الأمير سلار باستمالة قراسنقر بكل السبل بجعله على نيابة حلب وأعمالها مع منحه امتيازات بعدم دفعه أية أموال للمظفر حتى إذا ما تمكن منه قضى عليه^(١٤٦)، وعليه بادر المظفر بإرسال تقليد حلب إلى قراسنقر مصحوباً بخطاب رقيق الكلمات ذكر فيه محاسنه قائلاً له: «أنت خشداشي، ولو علمت أن هذا الأمر يصعب عليك ما عملت شيئاً حتى أرسلت إليك وأعلمتك به، لأن ما في المنصورية أحد أكبر منك»، وقبل قراسنقر خلعة التقليد واعترف بالمظفر بناء على ترتيب وموافقة من الملك الناصر له^(١٤٧) إلى أن تحين اللحظة الحاسمة باجتماع الأمراء في دمشق في انتظار موكب الناصر.

في ذلك الوقت خرج موكب الناصر محمد من الكرك متجهاً صوب دمشق حيث نقطة إلتقائه مع قراسنقر وباقي الأمراء للزحف نحو قلعة الجبل بالقاهرة، ولم يجد المظفر سوى أعمال الوقيعة بين الناصر وقراسنقر؛ فبينما الناصر على مشارف دمشق إذ ورد عليه مملوك قراسنقر محملاً بخطاب منه، وأخبره أن ناصر الدين ابن قراسنقر قد مات مسموماً على يد أستاذاره، وصعق الناصر حزناً عليه، وحالما فتح

الكتاب امتنع لونه، وتغير مزاجه، وأمر في الحال بالعودة إلى الكرك بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من دخول دمشق، وبهت الأمراء من المفاجأة، وطلبوا تفسيراً من الناصر، فإذا به يخبرهم بأن قراسنقر طلب منه أنه في حال استلام هذه الخطاب عليك بالعودة فوراً إلى الكرك، لأن جواسيسه أخبرته أن المظفر خرج بجيش قوامه أربعة آلاف فارس ليحولوا بينه وبين الكرك، وعليك الرجوع ودخول القلعة حين وصول الأمراء من النيابات الشامية إليه، إلا أن الأمراء أقسموا له بأن هذا الخطاب تم تزويره على لسان قراسنقر، مؤكدين له أن عسكر مصر لن يقف ضده حتى لو كان على مشارف القاهرة^(١٤٨).

كان على الناصر أن يتأكد من مصداقية الخطاب، فسأل مملوك قراسنقر عمن أعطاه الخطاب؟ فأكد له أن قراسنقر سلمه له يداً بيد، هنالك كتب الناصر خطاباً يستفسر فيه من قراسنقر عن مصدر المعلومات التي كتبها في خطابه بشأن تحركات الجيش المصري، وأعطى الخطاب لمملوك قراسنقر على أن يصاحبه أحد مماليك الناصر إلى أن يصل إلى حلب، وحينما وصل الرد لقراسنقر اصفرّ لونه وضرب كفاً بكف، واتهم مملوكه بإعطاء كتابه للأفرم نائب دمشق حتى عرف مضمونه، إلا أن مملوكه أقسم بعدم خيانتته، فطلب منه قراسنقر أن يقص عليه خط سيره منذ أن خرج بالكتاب، حتى اجتمع بالأفرم الذي طلب منه النزول لمالكيه للأكل والشرب، هنالك علم قراسنقر أن الأفرم تحايل عليه قائلاً: «المصيبة من هاهنا، فأكلت عنده وشربت وسكرت، فأخذ الكتاب الذي كتبتة للناصر من جرابك، وأنت سكران لا تدري، وكتب بضد ما كتبت أنا»^(١٤٩).

ظل الناصر في حيرة من أمر قراسنقر حتى جاءه القاصد من طرفه، ومعه كتاب منه يخبره بتفاصيل عملية التزوير التي جرت على يد الأفرم، وأن مضمون كتابه

الصحيح كان يحثه على الإسراع في الخروج من الكرك طلباً لدمشق، وأن توقيعات خطوط أمراء الشام المؤيدين له كانت ضمن الكتاب، وأن جميع الأمراء في طريقهم إلى دمشق، لذا كان بديهياً أن يدب الرعب في أوصال الأفرم نائب دمشق؛ الذي طلب ابن فضل الله الكاتب، وأمره أن يكتب كتاباً جديداً يضاهي كتاب قراسنقر على أن يقابل كل معلومة بضدها، ودخلت الحيلة على الناصر، وعاد سريعاً إلى الكرك^(١٥٠).

وعليه ذهب قراسنقر بجيش حلب إلى مدينة دمشق في رمضان سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م لتقديم فروض الولاء والطاعة، فدخلها في أبهة من الملك بصحبة خمسين من مماليكه^(١٥١)، وكان اللقاء حاراً؛ حيث تلقاه الناصر «وترجل له، وعانقه، وقبل صدره، والتقيا بالميدان الكبير، وبه استتب أمره، واستتب له الملك»^(١٥٢). أخذ قراسنقر بعد هذا اللقاء فعلياً في استمالة جميع الأمراء ونواب السلطنة بالممالك الشامية لإعلان الولاء للناصر، وتأليبهم على المظفر بيبرس الجاشنكير^(١٥٣).

إلا أن معسكر المظفر أصابه الهلع بعدما تنامى إلى علمه أن قراسنقر دخل في طاعة الملك الناصر، ولنترك المؤرخ ابن الدواداري المعاصر لتلك الأحداث ليرو لنا وقع الصدمة في معسكر بيبرس الجاشنكير جراء علمهم بوجود قراسنقر في موكب الناصر بدمشق؛ حيث اجتمع الأمير برلغي - أخو المظفر بيبرس - في منزلة الخطارة^(١٥٤) بصحبة الجيش؛ فورد عليه أحد البدو المكلفين بنقل الأخبار من بلاد الشام، وأخبره أن الناصر محمد قدم في موكبه إلى دمشق، وأن الأمير قراسنقر كان بصحبته وجيش حلب، هنالك جُن جنون برلغي وثارت ثورته، وهدد البدوي بالشنق مكذباً إياه قائلاً: «تكذب يا قَوَاد، الأمير شمس الدين ما جاءه»، فأقسم البدوي قائلاً: «يا خوند، وحياة رأسك، رأيته بعيني هاتين، وأشار بإصبعه إلى عينيه»، وللمرة الثانية ثار برلغي مكذباً البدوي، بل وأمر بتوسيطه، والبدوي في حالة بكاء ونحيب مكرراً قوله: «رأيته بعيني وهو مع الملك الناصر في قلب الحلقة»، وفي المرة الثالثة

أمر بإعدامه كونه غير مُصَدِّق دخول قراسنقر في طاعة الناصر، وبالفعل تم تجريد البدوي من ثيابه وضربه تمهيداً لتوسيطه إلى أن تدخل أحد الأمراء، وطلب التريث؛ للتأكد من صحة أخباره «فإن صدق لا توسطه»، والبدوي في حالة صياح، وليس له قول سوى القسم برؤية قراسنقر بصحبة الناصر مردداً: «وحياة الأمير : ما كذبت، فإن كنت كذبت وَسِطَنَ وَأنت في حل من دمي»، وبالفعل استقر الأمر على وضع البدوي في الأغلال ريثما يتم التأكد من صحة أخباره^(١٥٥).

لم يطل المقام طويلاً إذ سرعان ما وردت الأخبار على يد البريدية^(١٥٦) مخبرين بأن الأمير قراسنقر نائب حلب وغيره من نواب السلطنة ببلاد الشام قد دخلوا في طاعة الملك الناصر، وأن الجميع متجهون صوب مصر لخلع المظفر. كان لوقع تلك الأنباء صدى سيئ في معسكر المظفر إذ سرعان ما أقسم «راح الشام ورب الكعبة»^(١٥٧)، ثم توالى هروب الجنود ليلاً من معسكره متجهين صوب الناصر «حباً له»، وهو ما دعي برلغى أن يرسل إلى المظفر بيبرس «بفساد حال العسكر»^(١٥٨).

وهنا يتبادر إلى الأذهان تساؤل لماذا تلك الثورة العارمة من دخول قراسنقر بالذات في طاعة الملك الناصر؟ حقيقة تعطينا المصادر شذرات توضح أن لقب ملك الأمراء الذي أُطلق على قراسنقر لم يكن من فراغ؛ حيث كان له سطوة على نفوذ نواب السلطنة بالشام، فكانوا طوع أمره؛ وخير دليل على ذلك أن الناصر حينما استطلع موقف صاحب حماة من إعلان الطاعة له جاءه الرد قاطعاً «أني مع الأمير قراسنقر نائب حلب حيث كان»^(١٥٩) و«موافق له في كل ما يرى»^(١٦٠)، وكذا الحال مع باقي الأمراء الذين أقروا بأن قراسنقر هو «أكبر الأمراء وأخبرهم بالأحوال»^(١٦١)، لذا كان طبيعياً أنه بمجرد أن أعلن قراسنقر موقفه من الناصر قائلاً: «أني مملوك السلطان في كل ما يرسم به»^(١٦٢)، أن يحذو أمراء الشام حذوه ويدخلوا في طاعته، بل إن الناصر نفسه في اجتماعه مع أمرائه أقسموا له

صراحة «فوالله ما كنا نخاف إلا من قراسنقر و...، وبعد هؤلاء معنا فلا نبالي من أحد»^(١٦٣)، وهذا ما جعل المظفر بيبرس وأخاه في ثورة عارمة من انضمام أمير بحجم قراسنقر إلى الناصر.

دخل الناصر محمد إلى القاهرة، وجلس على عرش السلطنة للمرة الثالثة في عام ٥٧٠٩/١٣٠٩م، وهرب المظفر بيبرس، وكان على الناصر أن يسدد ثمن وعوده لقراسنقر بمنحه «كفالة الممالك والنيابة العامة المصرية»^(١٦٤)؛ حينما التقيا سويا في مدينة دمشق، إلا أن الأخبار بدأت تصل لقراسنقر من داخل قلعة الجبل بكرهية المماليك الأشرفية له، وشاع قولهم عنه: «هذا الذي قتل أستاذنا الملك الأشرف، ودمه الآن على سيفه، قد صار اليوم حاكم المملكة!!»^(١٦٥)، فأوجس في نفسه خيفة ورأى الخروج من مصر أفضل على وجه السرعة^(١٦٦)، على حين ذهب فريق من المصادر المملوكية أن الناصر اعتذر لقراسنقر بلباقة عن نيابة مصر متعللاً بأن: «الشام بعيد عني وما يظبطه غيرك»، لذا أصدر مرسومه الأول بتقليد قراسنقر نيابة السلطنة بدمشق^(١٦٧).

قام القاضي كمال الدين بن الأثير بكتابة تقليد الأمير قراسنقر في عام ٥٧٠٩/١٣٠٩م^(١٦٨) بنيابة السلطنة بدمشق^(١٦٩)؛ ومُنح من خلاله سلطات واسعة في إدارة «أعمالها، وعساكرها، وممالكها، وقلاعها، وبلادها، ورعاياها، ونخائرها، وأموالها، وثغورها، ورجالها، وكبيرها وصغيرها، ومأمورها، وأميرها، وكل ما يتعلق بها، ويُنسب إليها»، نظير كفاءته وحسن تدبيره؛ «فالملك بمثله يُصان، وبمحاسنه يُزان»^(١٧٠).

وبينما استعد قراسنقر للذهاب إلى دمشق لتولي نيابتها إذ أصدر الناصر محمد تكليفاً إضافياً له بالقبض على المظفر بيبرس خلال ذهابه من قلعة الجبل بالقاهرة إلى

دمشق^(١٧١)، وعهد بخدمته إلى جمال الدين والد المؤرخ ابن الدواداري؛ وهو ما جعل ابنه ينفرد بالمعلومات الواردة بين ثنايا مؤلفه مقارنة بالمصادر الملوكية الأخرى؛ نظراً لأنه رآها رأي العين «وليس الخبر كالعيان»، ساعده على ذلك صلته الوطيدة بقبائل العربان الموجودين في شبه جزيرة سيناء، والذين كانوا يقومون بأعمال الخفارة^(١٧٢) على هذا الطريق، لذا أوكل إليهم مهمة معرفة أخبار المظفر «منزلة بمنزلة، وماء بماء»^(١٧٣).

امتلئ قراسنقر لمرسوم الناصر، وبدأ رحلته على طريق الدرب الشامي، وأخبار المظفر ترد عليه من عرب العايد^(١٧٤) بكرة وعشيا وقتما نزل بأي منزلة على سائر هذا الطريق، وحينما وصل إلى مدينة رفح^(١٧٥) عميت عليهم الأنباء، وانقطع عنهم خبر المظفر مدة يومين، فتسلل الخوف إلى قراسنقر من فقدان أثر المظفر، فاستنجد بوالد المؤرخ قائلاً له: «والله ما أعرف تحصيله إلا منك» بناء على أوامر الناصر محمد، إلا أن ثقة والد المؤرخ ابن الدواداري في دور قبائل عربان العايد كانت كافية لبث الطمأنينة في نفس قراسنقر، متيقناً أن المظفر «ما يفوتنا بمعونة الله وسعادة مولانا السلطان»^(١٧٦).

اقترح والد المؤرخ ابن الدواداري على قراسنقر أن يفترقوا إلى ثلاث فرق تسلك ثلاثة دروب، على أن تقوم أية فرقة بالقبض عليه حال رؤيته، بشرط أن يصاحب كل فرقة مجموعة من أدلاء عرب العايد لتعريفهم بالدروب، والمسالك، وعيون المياه، في صحراء شبه جزيرة سيناء، وبالفعل حالما سلك قراسنقر دربه رأى نجاب^(١٧٧) المظفر بيبرس، فتم إحضاره بين يديه، واستفسر منه عن مكانه؛ فأخبره أن أحد مماليكه ألقى القبض عليه، ونهب جميع ممتلكاته الخاصة، وحدد لهم مكان احتجازه^(١٧٨).

ذهب قراسنقر إلى المكان الذي حدّده النجّاب فوجد أميره ممسكاً بالمظفر بيبرس، ممعناً في إذلاله، مستولياً على جميع ما معه من الأموال، والأقمشة، وسيفه الخاص، وحياصته المذهبة، ونهب كل محتويات خزانته الخاصة، وحينما رأى قراسنقر المظفر ترجل عن فرسه، وعانقه، وشرع الاثنان في البكاء، ثم قام قراسنقر بتوبيخ مملوكه نظير معاملته السيئة للمظفر، وألزمه برد كل ما استولى عليه من متعلقاته، فوضعها في أماكنها الخاصة على ظهور الهجن^(١٧٩).

هنالك أثار رؤية منظر المظفر على تلك الهيئة مشاعر قراسنقر فقطع رحلته إلى بلاد الشام لتولي مهام نيابة السلطنة بدمشق، وبات أكثر تفاؤلاً بأن عزم على التوجه بصحبة المظفر بيبرس إلى قلعة الجبل بالقاهرة للتشفع فيه عند الناصر محمد، فيقوم بالعفو عنه، ومنحه نيابة صهيون؛ وحالما وصل إلى منزلة الزعقة كتب «مطالعة» إلى الناصر محمد يخبره فيها بالقبض على المظفر، وأرسلها بصحبة ابنه علي ومملوكه بيخان^(١٨٠).

ألزم الناصر والد المؤرخ ابن الدواداري أن يكون بصحبة الوفد القادم إلى قلعة الجبل بالقاهرة، على أن يقوم بتجهيز منزلة بلبيس^(١٨١) بكافة ما تحتاجه من الأطعمة والأشربة والفواكه لاستقبال الأمير قراسنقر في حال ورود بطائق الحمام الزاجل بالاستعداد لهذا الأمر^(١٨٢).

قام الأمير علي ابن قراسنقر بتوصيل مطالعة أبيه للناصر محمد، وقفل راجعاً إلى أبيه مرة أخرى، وفي منزلة بلبيس فوجيء الابن بالتجهيزات التامة، فتعجب ابن قراسنقر من كثرة الأشياء^(١٨٣)، ومتى جُهِزَتْ؟! فأخبره والد المؤرخ ابن الدواداري بأن جميع التجهيزات ببلبيس مهيأة لاستقبال قراسنقر «ملك الأمراء وحضوره» من منزلة الخطارة صحبة المظفر، غير أن المفاجئ في الأمر أن قراسنقر عَزَفَ عن

الحضور إلى قلعة الجبل، وأثر العودة لتولي نيابة السلطنة بدمشق، تاركاً المظفر يلاقي مصيره المحتوم^(١٨٤)، ويبدو واضحاً أن قراسنقر وصلت إليه معلومات من عيونه وجواسيسه تخبره أن الناصر يضرر له السوء، وينوي الغدر به أيضاً، لذا تخلى عن المظفر، وعاد أدراجه سريعاً إلى بلاد الشام.

هنالك أصدر الناصر مرسوماً جديداً للأمير سيف الدين أسندمر بتسليم المظفر بيبرس من قراسنقر، وتكفل والد المؤرخ ابن الدواداري بتوصيل أسندمر إلى منزلة الخطارة حيث يتسلم المظفر من قراسنقر؛ الذي بمجرد أن رآهم اجتمع مع أسندمر في اجتماع مغلق لمدة ساعة من الزمن، لدرجة أن المظفر أيقن بالهلاك، فشرع يُصلي صلاته الأخيرة، وعقب الاجتماع تقابل أسندمر، وعانق المظفر، ثم أمر قراسنقر بتقييد ممالك المظفر، وإرسالهم إلى الناصر محمد على خيل البريد وسط صراخهم ونحيبهم، وهنالك تركهم قراسنقر، وذهب إلى الشام، في الوقت الذي أخذ الأمير أسندمر المظفر بيبرس إلى قلعة الجبل بعد أن جرّده من سيفه وحياسته وجميع متعلقاته التي تركها قراسنقر معه إجلالاً وتعظيماً له^(١٨٥).

يخبرنا ابن الدواداري أن قراسنقر أسف على الطريقة التي تم القبض بها على رفيقه، لدرجة أن قراسنقر حينما أمسك المظفر، وتوجه به من منزلة الزعقة^(١٨٦) إلى العريش^(١٨٧) بكى كثيراً عندما سمع أحد النجّابة الخاصكية ينشد غناء عن الفراق على آلة الربابة^(١٨٨).

الثابت أن الشكوك والأوهام بدأت تساور الأمير قراسنقر ناحية الملك الناصر؛ بعد رؤية المظفر بيبرس مقيداً بواسطة الأمير أسندمر مما جعله يثور ملقياً كلوته من على رأسه إلى الأرض غاضباً قائلاً لفرّاشه: «الدنيا فانية، يا ليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم»^(١٨٩)، وبات خائفاً يترقب بطش الناصر به في أي لحظة؛ خاصة

أن الناصر أسرّ في نفسه من ناحية قراسنقر كونه لم يحضر مع المظفر بيبرس كما أمر، لذا أصدر مرسوماً آخر بحضور الأمير قراسنقر بصحبة المظفر بيبرس إلى قلعة الجبل، وعزم في نفسه على القبض عليه أيضاً؛ إلا أن فطنة قراسنقر وتيقّنه أنه مقبوض عليه لا محالة منعتة من التوجه صوب مصر، وهذا ما دعاه إلى الإسراع بمغادرة الحدود المصرية متجهاً صوب دمشق ليأمن على حياته^(١٩٠).

حقيقة تروي المصادر أن قراسنقر أبدى ندمه الشديد لمساعدة الملك الناصر في القبض على رفيقه المظفر بيبرس؛ ولام نفسه على عدم قبوله نصيحة رفيقه الأمير بهادر؛ الذي أشار عليه بأنه في حال القبض على المظفر فعليهما أن يأخذه ويتوجها به إلى بلدة صهيون، ثم يذهب كل منهما إلى مقر نيابته، ثم يقومان بالضغط على الملك الناصر بأنه «متى تغيّر عما وافق عليه الأمراء بدمشق، قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك»، فكلما تذكر قراسنقر ذلك داخله الأسف لما رآه من هوان في حق المظفر وما حلّ به، بالرغم من أنه كان من الأسباب الرئيسية في زوال دولته وإرجاع الناصر لكرسي السلطنة!!^(١٩١).

على أية حال باشر الأمير قراسنقر مهام عمله - على مضض - في نيابة السلطنة بدمشق منذ أن خلع عليه بها الناصر محمد في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، فلم تشهد فترة إقامته بها أية إنجازات تذكر «فما لاقى بها، ولا لاقت به» على حد تعبير الصفدي^(١٩٢)، عدا استغلال بعض الأمراء المنقوم عليهم مكانته المقربة - على حذر - من السلطان لطلب الوساطة في عفوه عنهم؛ مثل الأمير سلار الذي طلب شفاعته في عام ٧١٠هـ/١٣١٠م، وأن يُرسل هو وأهله وأخوته وأولاده إلى القدس ليعقيم بها^(١٩٣)؛ بالإضافة إلى محاولة الأمير أسندمر الضغط على قراسنقر لإجبار المؤرخ أبي الفدا - وكان مقيماً مع قراسنقر بدمشق - أن يستصحبه معه إلى نيابته الجديدة في حماة

«طوعاً أو كرهاً»، إلا أنه رفض ذلك باعتبار أن السلطان رسم له الإقامة بدمشق؛ ورفض أبي الفدا نابع من حالة الكراهية المستحكمة من الأمير أسندمر تجاهه^(١٩٤).

أتت الرياح بما لا تشتهي سفن قراسنقر إذ بدأ عامة دمشق تنقم عليه جراء ظلمه وتعامله بالرشوة^(١٩٥)، فكتبوا إلى الناصر محمد الكثير من الشكاوي ضده، كدليل على تجبره، فأيقن الناصر في قرارة نفسه أن الشام انتهى أمره على يد قراسنقر ما بقي على تلك السياسة التعسفية مع الرعية^(١٩٦).

فالثابت أن كل صغيرة وكبيرة تصدر من قراسنقر لم تكن غائبة عن الناصر؛ بدليل ما رواه المقرئ من أن الناصر لم يطمئن إلى نوايا قراسنقر بعد ذهابه إلى دمشق، لذا أرسل أحد أمرائه ليكون عيناً على تصرفاته، وبالفعل وصلت الأخبار بما لا يليق في حقه إلى الناصر فقبض عليه وسُجن بقلعة دمشق^(١٩٧) ثم أعيد مرة أخرى بعد شفاعة الأمراء فيه.

لاحقاً أرسل الناصر خطاباً شديد اللهجة إلى قراسنقر مع ابنه الأمير علي عدد فيه مثالبه، وحذره من أكل أموال الناس بالباطل، مخبراً إياه أن هناك «من يطالعنا وبكل ما تعملونه»، واتهمه بمحاباة مماليكه بحلب، واستقدامهم إلى دمشق، وتعيينهم فيها، وأعمالها بالبذل والبرطلة، وأنهم يستغلون العباد، وألزمه بعزلهم عن وظائفهم، وتولية من تتوافر فيه الكفاءة، ويقوم على تنفيذ حقوق الناس، وتوعده الناصر إن لم ينفذ ذلك فسيكون حسابه عسيراً حين قدوم السلطان الشام، متعجباً في الوقت ذاته من شخصية بحجم قراسنقر بلغت من العمر أرذله، ولديها من الأموال ما يفوق الخيال، ويُقدم على ظلم رعيته^(١٩٨).

لم يتوقع قراسنقر هذا الخطاب شديد اللهجة من الناصر، واستنكر نقده اللاذع، وهو الذي أجلسه على سرير الملك بعد أن جعل أمراء الشام طوع أمره، فصاح متعجباً

«فهذا جزائي منه أن يكتب لي كتاباً مثل هذا»، فحذره ابنه من تناثر كلامه، وإلا حدث ما لا يحمد عقباه^(١٩٩).

بدأت تسيطر على قراسنقر حالة الخوف والشك، وأخذ ابنه يهدئ من روعه، ويطيب خاطره، بأنه أكبر ممالك الناصر محمد، وأنه ما قام بنقد تصرفاته إلا بغية العدل بين الرعية، وأن جواسيسه منتشرة في دمشق تطالعه بكل صغيرة وكبيرة^(٢٠٠).

الظاهر من واقع الحال أن الناصر قرر التخلص من كبار أمرائه دون سبب وجيه؛ فأقدم أولاً على القبض على نائب السلطنة بحلب الأمير أسنذر بعد أن سيطر على القلاع التابعة له حتى لا يحتمي بها، كما أعطى أوامره للجيش - بعد الفراغ من أسنذر - أن يعرج على دمشق ويقوم بالقبض على قراسنقر^(٢٠١)، وبالرغم من أن الناصر لم يصرح بالقبض على أمرائه فإن إطلاعهم على تحركات الجيش المريبة جعلتهم يتخوفون من القبض عليهم، وهذا ما دعا نائب حلب يرسل إلى قراسنقر بأن «هؤلاء العسكر ما خرجت إلا إلي وإليك»، فطلب منه قراسنقر التريث حتى يتم التأكد من صحة الأخبار^(٢٠٢).

رأى كبار أمراء الناصر أن الحكمة تقتضي أن يهادن قراسنقر ويعدده، ويمنيه، ويجزل له العطاء، ويمنحه ما يريد تمهيداً للفتك به^(٢٠٣)؛ لذا في عام ٥٧١١/١٣١١م أصدر الناصر مرسوماً جديداً بنقل قراسنقر إلى نيابة حلب - للمرة الثالثة - بناء على طلبه^(٢٠٤)؛ الذي برره بأنه «قد طال مقامه بها، وألف سكنى حلب»^(٢٠٥)، مستعظفاً إياه بأنه «ثقل جناحي في حلب بكثرة علائقي بها، وعلائق ممالكي»^(٢٠٦).

يمثل هذا التوقيت تحديداً نقطة فاصلة في حياة الأمير قراسنقر حيث زاد استتعاره ببطش الناصر محمد به؛ لذا «نفذ يده من طاعة السلطان»، غير أنه لم يجهر بذلك، وانفرد الصفدي بأن قراسنقر كان له عيون وجواسيس على

المنازل^(٢٠٧) ما بين مصر وبلاد الشام، وكانت له خطة محكمة في التحايل على ما يخرج من الناصر محمد من قلعة الجبل من مراسيم وأخبار؛ فجعل له عيوناً في مدن طفس والصنمين^(٢٠٨) وبيسان^(٢٠٩)، فإذا وصل بريدي من مصر التقت عيونه ببيسان، وأرسلوا إليه البطائق^(٢١٠) على جناح الحمام الزاجل^(٢١١) يخبرونه بخبره، فإذا ما وصل البريدي إلى طفس التقاه مماليكه ونوابه، وقاموا بواجبات الضيافة من مأكّل ومشرب؛ بغية تأخيرهِ حتى وصول خبره لقراسنقر، حتى إذا ما وصل إلى الصنمين فعلوا معه مثلاً كان في طفس، فإذا ما خرج منها استصحبه أحد مماليك قراسنقر حتى يوصله إليه على أن يلازمه كظله، ولا يسمح له بالإنفراد بأي شخص كان، فإذا ما قابله قراسنقر لازمه هو الآخر، وبدهائه فتح ما معهم من المراسيم دون علمهم، والتي «وجد فيها اللطافات بإمساكه»^(٢١٢)، ثم أعادها مرة أخرى إلى مكانها، على أن يبدو طبيعياً أمامهم، وفي طيات نفسه يدبر للخلاص من هذا الأمر.

على أية حال أرسل الناصر تقليد نيابة حلب صحبة سيف الدين أرغون الدوادار^(٢١٣) الذي كان متوجهاً لمقابلة قراسنقر في مدينة دمشق مصحوباً بخطاب منه، ويذكر الصفدي أن مكان اسم النائب في التقليد كان خالياً، وأن الناصر أعطى لأرغون حق التصرف في اختيار من يتولاها قائلاً له: «هي لك إن اشتهيت تأخذها، وإن أردتها لغيرك فهي له»، فأخذ قراسنقر يحتاط على نفسه، ومنع أرغون من الانفراد بأي من مماليكه - كما هي عادته - خشية الوهم من الترتيب لقتله، بل وجعل عليه عيوناً تراقبه ليل نهار» كأنه تحت الترسيم^(٢١٤)، لدرجة أنه حينما أراد زيارة بعض الأماكن في دمشق صَحَبَهُ حتى قضى مأربه، ورغم هذا الاحتياط فإن الشائعات انتشرت بين عامة الناس بدمشق كالنار في الهشيم مؤداها أن قراسنقر مقبوض عليه لا محالة من قبل أرغون، الذي أعطى تعليماته إلى أمراء المماليك بمحاصرة قراسنقر في كل مكان وألا يغيب عن ناظرهم^(٢١٥)، وتم تفسير تحركات المماليك المريبة وطوافهم حول قلعة دمشق

ليلاً بأنها استعداداً لساعة الصفر، غير أنهم لن يقدموا على تلك الخطوة إلا في حال ورود مرسوم صريح من الناصر بإلقاء القبض عليه حتى لا تعم الفتنة أرجاء المدينة.

حالما شعر قراسنقر بتلك التحركات المريبة، استدعى الأمراء جميعهم عند أرغون وخاطبه قائلاً إنه «بلغني أن بعض الأمراء يركب في الليل ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هارباً»، وهذا الأمر لا يتم إلا تحت إشرافك؛ وأخذ في سبّه لأنه كان وحاشيته سبباً في انقلاب الناصر على أمرائه المقربين^(٢١٦)، وطلب منه «إن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض عليّ، فما يحتاج إلى فتنة فإنني طالع للسلطان، وهذا سيفي خذه»، إلا أن أرغون أخبره وطمأنه من صفاء نوايا السلطان له وأنه ما جاء «إلا بتقليد نيابة حلب حسب سؤالك، وحاش الله أن يكون السلطان يرى الأمير بهذه العين»^(٢١٧)، وفتح له خطاب الناصر فإذا به «حال وقوفك على هذا الكتاب تروح إلى حلب فقد وليناك عليها، وعند وصولك إليها يصل تقليدك»^(٢١٨)، إلا أن قراسنقر رفض مغادرة دمشق إلا بعد أن يأتيه مرسوم جديد من الناصر بتحركه إلى حلب، وعليه أرسل مملوكه الخاص برسالة إلى الناصر بالقاهرة يُعلمه فيها بما حدث، ويستعطفه بكبر سنه، وأنه لا يستطيع أن يتحرك بدون مماليكه، ويستفسر من الناصر إذا كانت هناك وشاية قد حدثت في حقه استوجبت القبض عليه فلا حاجة لكل تلك الترتيبات، وسوف آتي القاهرة وحدي، وجاء رد الناصر في مرسوم ثان بتأكيد نقله إلى حلب بجميع مماليكه ومتعلقاته^(٢١٩)، فاستعد ومماليكه للسفر إلى حلب لتولي مهام نيابته.

انتشر خبر نقل قراسنقر إلى حلب بين الأمراء داخل أوساط قلعة دمشق فكان يوماً «عندهم أعظم من الأعياد برواحه عنهم»^(٢٢٠)، وقاموا بسبه وشتمه، ولولا مرسوم الناصر لقاموا برجمه^(٢٢١). وفي مستهل عام ٧١١هـ/١٣١١م جهز قراسنقر متعلقاته وأرسلها أولاً إلى حلب ليلاً، ثم خرج مسرعاً في الصباح بصحبة مماليكه

وأرغون متوجهاً إلى حلب، وجراء خوفه ووهمه جعل مماليكه يحيطون به خلال سفره في ثلاث حلقات لحمايته^(٢٢٢)؛ إلا أن الأخبار بدأت تتوافد عليه بأن مجموعة من عساكر الجيش المصري في انتظاره في حلب فزادت شكوكه وتمكنت منه الأوهام، فأخبر أرغون أنه لن يدخل حلب وبها عسكر مصر، فأرسل أرغون إلى الجيش المصري المرباط في حلب بالخروج منها^(٢٢٣).

رفض الجيش المصري الخروج من حلب إلا بمرسوم من الناصر محمد يطلب منهم ذلك، هنالك أخذ قراسنقر يذكر مماليكه بما جرى لبعض الأمراء والسلاطين من الغدر على يد الناصر مثل المظفر بيبرس والأمير سلار وأسندمر، وكيف بات مماليكهم في فقر شديد بعد قتلهم، لذا طلب منهم تجهيز أنفسهم بعدة الحرب، تمهيداً لدخول حلب، فإذا ما أضمر الجيش المصري السوء اشتبكوا معهم في قتال، بيد أن تلك الأوهام زالت بمجرد أن رأى الجيش المصري على غير هيئة الاستعداد الحرب، وزاد سروره حينما أرسل إليه الناصر يضع الجيش تحت إمرته بحكم مباشرته لنيابته القديمة^(٢٢٤).

في عام ٧١١هـ/١٣١١م انقلب بعض كبار الأمراء على الناصر محمد جراء سياسة الاعتقال والتصفية التي انتهجها ضد الأمراء، فأرادوا الاجتماع على كلمة واحدة، ورسموا خطتهم للقبض عليه ووضعه تحت الإقامة الجبرية دون موته، على أن يعلن بكتمر الجوكندار سلطاناً عليهم، وبالفعل كاتبوا بعضهم البعض إلا أنهم رفضوا إدراج قراسنقر ضمن خطتهم لأنه «خائف ولا نأمن أن يعرف بحالنا إلى السلطان ويتوجه إليه»^(٢٢٥)، وأغلب الظن أن اكتشاف خيوط تلك المؤامرة من قبل الناصر ومعاقبة أصحابها بعد اعترافهم كان نقطة سوداء في حياة قراسنقر، فالمرجح أن اسم قراسنقر كان مطروحاً من اعترافاتهم، خاصة أنه من بين الأسماء التي اعتمدها هؤلاء الأمراء في بادئ خطتهم قبل أن يغضوا الطرف عنه في نهاية المطاف.

بدأ قراسنقر في مباشرة مهام نيابته الجديدة «على خوف شديد»^(٢٢٦)، وسرعان ما اجتمع بمماليكه، وأقر أمامهم بشيخوخته، وأنه عازم على أداء فريضة الحج، متمنياً أن يقضي ما بقي من عمره بجوار ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرسل رغبته إلى الناصر محمد في خطاب طلب فيه دستوراً للسفر لأداء فريضة الحج، ووافق السلطان على منحه الدستور^(٢٢٧)، إلا أنه استنكر عليه عدم إخباره مسبقاً حتى يقوم بعمل التجهيزات اللازمة له في مكة وعلى طول منازل طريق الحج، بل كان رافقه لأداء الفريضة سوياً، وعليه أصدر الناصر أوامره الطارئة إلى نائب السلطنة بمصر أن يحمل على الهجن إلى مكة ألف أردب شعير، ومئة قنطار بقسماط، وألف علبة حلاوة، وخمسمئة رأس من الغنم على شرف الأمير قراسنقر، كما أعطى أوامره إلى نائب السلطنة بالكرك بعمل جميع الترتيبات بالمثل خلال مرور ركب الحاج بقيادته، وحينما وصل إليه ما فعله الناصر بحقه من التجهيزات تشاءم وتطير، واعتبرها مجرد شرك ومكيدة للنيل منه، إلا أنه أخذ يحدث نفسه بكل ثقة قائلاً: «إِنِّي أَدْعِي أَنِّي أَدْرِي أَهْل الْأَرْضِ، وَأَمْكُرُ مِنْ كُلِّ مَآكِرٍ»^(٢٢٨).

طلب قراسنقر من الناصر أن يكون خط سير رحلته إلى الحجاز بعيداً عن مدينة دمشق لكرامية أهلها له، وأن يكون خروج الركب من مدينة الكرك، ووافقه الناصر، ووضع جميع البلدان تحت تصرفه، وبدأ في تجهيز نفسه ومماليكه لهذه الرحلة الطويلة، وأرسل إلى مهنا أمير العرب يطلب مرافقة ابنه سليمان في تلك الرحلة، فوافق والتحق سليمان مع مجموعة من العربان الأدلاء بالركب، وبدأ قراسنقر ومماليكه -الذين بلغ عدتهم سبعمئة مملوك مدججين بالسلاح- الرحلة إلى بلاد الحجاز^(٢٢٩).

أوصى قراسنقر مجموعة من مماليكه بحلب ألا تنقطع عنه الأخبار، وأن تصل إليه باستمرار ساعة بساعة على أيدي النجابة، وسلك طريق الحاج المعتاد حتى وصل إلى بركة^(٢٣٠) زيزاء، ثم بدأت التجهيزات التي أمر بها الناصر تنهال عليه من نائب الكرك

في المنازل، وكلما عظمت الإنعامات، توجس خيفة داعياً: «اللهم اعطنا خير هذا العطاء، واكفنا شره»^(٢٣١).

وعند منزلة بركة زيزاء حدث ما لا يحمد عقباه حيث بدأت مكاتبات «المناصحين» ترد إليه على أيدي النجابة تخبره أن الناصر قام بتجهيز جيش قوامه خمسة آلاف فارس، وأعطى الأوامر له بالتحرك من القاهرة صوب دمشق، ناصحة له: «خذ حذرك: فإن ما خرجت هذه التجريدة إلا بسبب القبض عليك، فخذ خلاصك، ولا تقع كما وقع غيرك، فوالله إن وقعت له شوى لحملك وأطعمك»^(٢٣٢).

أثارت تلك المكاتبات الاضطراب عند قراسنقر ومماليكه، إلا أنه -بكل منطقية- أخبرهم أنه لا يعلم مدى صحة تلك الأخبار من زيفها، ولم يلبث قليلاً إلا ووردت عليه مجدداً مكاتبات «مناصحيه وعيونه» في قلعة الجبل بالقاهرة تحذره من أن الناصر أرسل حوالياً خمسمئة مملوك من القاهرة للحجاز لإلقاء القبض عليه بالحجاز حتى ولو كان «متعلقاً بأستار الكعبة، فخذ خلاصك والسلام»^(٢٣٣).

عقد قراسنقر اجتماعاً طارئاً مع مماليكه وسليمان بن مهنا أمير العرب، وأطلعهم على الأخبار التي وردت إليه، فسأله سليمان عن كيفية الخروج من ذلك المأزق؟ فخطب فيه قراسنقر صفات المروءة عند العرب، وأنه ما استقدمه معه إلا «لعلمي بغزارة مروءتك، وزيادة كرمك، وشدة شجاعتك، ومثلك لا يضيع نزله، ولا يخيب سائله»، وكان هذا رجاء منه بإجارته وحمايته، ولم يبخل عليه سليمان، فطيب خاطره، ووعد بحمايته من أي مكروه؛ نظراً للصداقة المتينة التي تربطه بوالده مهنا، وأكد له أن مهنا «لو أعطي ملء الأرض ذهباً على أن يتركك لما تركك، ولا يتخلى عنك»، فوقعت الطمأنينة في قلبه، ثم دار بالركب عائداً إلى حلب عبر طريق السماوة قائلاً: «أنا ما بقيت أحج، ورمى هو وجماعته ما لا يحصى من الزاد» الذي قام بتجهيزه من أجل الحج^(٢٣٤).

في هذا التوقيت كان أمراء الجيش المملوكي المجرد إلى الشام للقبض عليه قد توقفوا في غزة حين ورد عليهم خبر رجوع قراسنقر عن قصد الحجاز، وتشاوروا فيما بينهم، فاستقر الرأي على التريث حتى يتم التأكد من خبر رجوع قراسنقر؛ الذي تأكد لديهم بالفعل حين ورد عليهم كتاب من عرب «بني مهدي» يخبرهم بأن قراسنقر رجع بالفعل، واستجار بعرب بني مهنا من آل فضل؛ فأرسل أمراء الجيش إلى الناصر محمد يخبرونه بما حدث من الأمير قراسنقر وأرفقوا كتابهم بمطالعة بني مهدي ليتأكد الناصر من ذلك^(٢٣٥).

أصدر الناصر مراسيمه إلى قرطاي الحاجب بحلب بألا يسمح لقراسنقر بالدخول إلى البلدة، فلما اقترب قراسنقر من بلدة «تل الفرس» على مشارفها منعه قرطاي من دخولها^(٢٣٦)، وأرسل إليه قائلاً: «ما لك عندنا دخول إلا بمرسوم من مولانا السلطان»، فصدم قراسنقر من موقف حاجبه، وعلم أن مملوكه الخاص «جركس» تم اعتقاله في قلعة حلب^(٢٣٧)، فطلب منه إطلاق سراحه وإرساله بصحبة أولاده وحريره وأمواله وخزائنه بأقصى سرعة إلى حين ورود مرسوم الناصر محمد بشأنه، فسخر منه قرطاي قائلاً: «وما عسى أن تفعله أنت وهو»^(٢٣٨).

عسكر قراسنقر ومماليكه بالقرب من حلب، واتخذ قراره الحاسم بالهجوم على حلب، حتى إذا ما أتى الجيش المصري دخل في أرض العرب، أما الجيش الحلبي فمعظمهم كان من طائفة أجناد الحلقة^(٢٣٩) الذين لا يقاتلون بنفس كفاءة طوائف المماليك الأخرى، وهو كفيل بهم؛ لذا بمجرد أن أشرق الصباح كان قراسنقر في سبعة مملوك على أبواب حلب، وأرسل إلى قرطاي مهدداً متوعداً: «لئن لم تطلقوا مملوكي جركس، ولم تسلموا إلي بقية خيلي وجمالي التي في حلب نهبت حلب وأحرقتها ولا أبالي»، إلا أن قرطاي استخف به، مؤكداً أنه لن يدخلها إلا بمرسوم من الناصر، ثم أرسل إليه قضاة حلب ليثنوه عن غرضه، وعبثاً

حاول القضاة إثناء قراسنقر عن دخول المدينة حتى لا تصبح مسرحاً للسلب والنهب والفوضى، إلا أنه أغلظ لهم القول مستنكراً اعتقال مملوكه والاستيلاء على أمواله وتركاته، وأقسم لهم مجدداً: «لئن لم يطلقوا مملوكي، ومالي لدخلت في دماء أهل حلب»، ومجدداً أصر قرطاي على عناده بعدم تلبية طلبه^(٢٤٠).

في هذا التوقيت وصلت إمدادات العرب بقيادة الأمير مهنا، فكان ذلك بمثابة طوق النجاة لقراسنقر الذي أخبره بما جرى من منعه من دخول حلب، وتحرير مملوكه جركس، وعودة أملاكه، فما كان من مهنا إلا أن أرسل ابنه سليمان لمقابلة قرطاي مهدداً: «لئن لم تخرج كل شيء للأمير شمس الدين قراسنقر، وتطلق مملوكه، تركت حلب كجوف حمار»، فبلغ سليمان رسالة والده، إلا أنه تأخر بالداخل، فأرسل مهنا ابنه الآخر فضل برسالة أخرى للحاجب تطلب منه مرسوم الناصر الذي تم به اعتقال المملوك جركس، وإلا عليه أن يطلق سراحه فوراً^(٢٤١).

وروى ابن الدواداري أن مهنا احتال على قرطاي بأن أرسل له حاجبه الخاص برسالة يطلب فيها إرسال جميع متعلقات قراسنقر مع أسرته ومملوكه؛ لأن الناصر محمد عفا عنه وطلب مقابله بالقاهرة لتوليته نيابة السلطنة بمصر، وأن تلك الأخبار في طريقها للوصول إليه، فدخلت عليه الحيلة، وندم على ما فعله مع قراسنقر، واعتذر له، وأرسل إليه «مملوكه مع جميع ماله وما كان له بحلب»^(٢٤٢).

على حين ذهب ابن تغري بردي إلى أن قراسنقر احتال على السلطان الناصر نفسه بأن أرسل إليه يستعطفه في نيابة السلطنة بصرخد، وانخدع الناصر لتلك الحيلة فأرسل له تقليد النيابة بالفعل بصحبة أحد كبار الأمراء، حينها طلب قراسنقر نقل جميع متعلقاته من حلب بناء على هذا التقليد، وبالفعل تمكن من الحصول على أمواله ومماليكه دون التوجه إلى صرخد^(٢٤٣). وحالاً لتلك المعضلة وبعد التهديد

والوعيد وضع مهنا حلاً بأن يطلق سراح المملوك، ويحصل قراسنقر على أملاكه كاملة بضمانة مهنا وبالإشهاد على نفسه، فكان حلاً أرضى جميع الأطراف.

كانت لقراسنقر بحلب تركة ضخمة؛ حُمِلت على ألفي بعير، وسيقت أمامها الأبقار والأغنام والخيول، وبلغ عدد مماليكه حوالي ألف فارس مدججين بالسلاح والرماح، ومنهم زراقيين وغيرهم، وخرج أهل حلب جميعهم لوداعه في بكاء وعويل، نظراً لأن كل فرد من مماليكه وحاشيته «صار له بحلب الأهل والأصهار والأصحاب والجيران والمعارف»، فكان موكباً مهيباً يتقدمه قراسنقر، وضربت فيه الطبلخانة، ودُقت بوقاته، ونشرت صناعقه^(٢٤٤).

المحور الرابع : الأمير قراسنقر وعلاقته بعرب آل مهنا:

تجلت مشاعر حب الأوطان حينما أجهد قراسنقر بالبكاء، وهو يغادر البلدة التي قضى بها معظم حياته، ثم توجه مرة ثانية إلى ديار آل مهنا؛ فخرج إليه أميرها وأكابر القوم، واستقبلوه أفضل استقبال، وأنزلوه بالقرب من شاطئ نهر الفرات^(٢٤٥).

الثابت أن قراسنقر كان يبحث عن يثق به ويجيره من بطش الناصر؛ فلم يجد غير عرب آل مهنا يضع بهم ثقته؛ لما عرف عنهم من جبرتهم لمن يطلب إجارتهم؛ وأغلب الظن أن مهنا حفظ جميل قراسنقر حينما كان نائباً على حلب، وأطلعه آنذاك على خطاب موجه إليه من الناصر بالقبض عليه، ولم ينفذ الأمر نظراً لقدم صداقتهما^(٢٤٦)، غير أنه توجس خيفة من أخي مهنا واسمه محمد الذي كان غائباً وقت دخول قراسنقر عليهم، وحالما عاد، ورأى قراسنقر في ديارهم خاطب أخيه قائلاً: «أبشر يا مهنا بالإنعامات والاقطاعات من السلطان»، ففطن قراسنقر لكلمته، وأحس بالخطر؛ فاستجار بزوجة مهنا؛ التي نصحت زوجها ألا يسلمه للناصر؛ حتى لا يُعير بين قبائل العرب بأنه غدر بمن أجاره^(٢٤٧)، وعليه أقسم مهنا بإجارة قراسنقر، ومن ثم وضع

نفسه - إلى حين - في دائرة المغضوب عليهم لدى الناصر؛ مما ستكون له عواقب وخيمة على آل مهنا، وقد أدرك مهنا هذا، ووجه كلامه لقراسنقر قائلاً: «لكنك يا أمير شمس الدين: أرميت روحك في النار الحمرا وأرميتنا معك»^(٢٤٨).

نصح مهنا قراسنقر بالإقامة عنده إلى أن يكاتب الناصر محمد يُخبره بأنه أصابه المرض أثناء سفره إلى الحجاز فعدل عن السفر، وعرج على ديار مهنا طلباً للراحة^(٢٤٩)، إلا أن قراسنقر أصر على موقفه بأنه لم يعد آمناً على حياته في دولة الناصر، وطرح لأول مرة فكرة العبور إلى مملكة المغول رغم وسمه لها «ببلاد الكفر»^(٢٥٠) والدخول في طاعة خدينده، معترفاً لمهنا بأن صاحب بلاد سييس عرض عليه في وقت سابق أن يتولى أي القلاع شاء في مقابل أن يترك الدولة المملوكية، غير أنه رفض لأنه «ما من الواجب أن تضيع خدمتي، وقدم هجرتي في هذا البيت»^(٢٥١). إلا أن مهنا استحقق تلك الفكرة كونها من وجهة نظره «تبدل الإيمان بالكفر»، وما زال به مهنا حتى أقنعه بأنه سيرسل ابنه للناصر في طلب شفاعته، ويطلب منه عودته لنيابة حلب مرة أخرى^(٢٥٢)، ووافق قراسنقر على عرض مهنا.

فاجأ الناصر محمد الجميع بأن أرسل الأمير سيف الدين طقاي حاملاً «الأمان» للأمير قراسنقر، وعاتبه على ما جال بخاطره من حالة «الوهم الهذيانى الذي لم تكن له صحة»، واعتماده على مجموعة من الجهلاء ينقلون إليه الأخبار دون صحة؛ ثم استثار عزيمته مخاطباً إياه: «أنت رجل كبير، ونحن برأيك نقتدي في الأمور الكبار»، ثم منحه مجدداً تقليد نيابة السلطنة بحلب «على عادته ومستقر قاعدته»، وطلب منه دخولها دونما خوف أو وهم، مخاطباً إياه «فأنت تعلم محلك عندنا وعظم منزلتك، ونحن أقمنك مقام أنفسنا في جميع الممالك الشامية»^(٢٥٣).

كانت كلمات الناصر كالسم في العسل للأمراء الكبار -على رأسهم قراسنقر- غير أن خطته الحقيقية التي أراد تنفيذها بدقة أنه وجه الجيش المصري إلى الشام، وأعطى أوامره في الباطن لقواده بأنه في حال دخول قراسنقر حلب يُقبض عليه فوراً، ثم يواصل الجيش سيره إلى طرابلس لإلقاء القبض على الأفرم، ثم يتوجه إلى حمص، ومنها إلى سلمية لاعتقال مهنا وأولاده، وأخيراً الختام بمدينة دمشق للقبض على الزردكاش، ولم ينس الناصر أن يحذر قادة الجيش من ألا يفلت منهم أحد^(٢٥٤).

وعليه أرسل الناصر -في الظاهر- لجميع الأمراء خطابات بها من كلمات الثناء والمدح ما يرضيهم ويطيب خواطرهم كل على حدة، غير أن قدوم الأخبار من قبل عيون ومناصحي قراسنقر ثمانية على جناح الحمام الزاجل تلزمه الحذر؛ لأن طقطاي حامل كتاب الأمان والتقليد لقراسنقر، في نفس الوقت أيضاً يحمل أوامر موجهة من الناصر إلى الجيش المملوكي المرابط في الشام بإلقاء القبض عليه بمجرد أن تطأ أقدامه مدينة حلب^(٢٥٥).

وصل المملوك طقطاي بكتاب الترغيب من الناصر لقراسنقر، وجرى اجتماع ثلاثي بين (قراسنقر ومهنا وطقطاي) تبلور في إقناع قراسنقر بالامتنثال لأوامر الناصر، وقبول الخلعة والتقليد، والتخلص من الأوهام التي لحقت بعقله، على إثر ذلك اختلى قراسنقر بالأمير مهنا حينما صادف طلب الناصر هواه؛ فأطلعه مجدداً على بطاقة الحمام الزاجل التي وردت من مناصحيه تحذره من بطش الناصر به، واستجار به للمرة الثانية، وبيّن له أنه متى ما لحقه سوء «كان عيبه عليك وعاره لازم لك»، فأقسم له أمير العرب بإجارته ومساعدته في جميع الأحوال وعدم التخلي عنه^(٢٥٦).

خرج قراسنقر للأمير طقطاي بقراره النهائي، وهو قبول خلعة السلطان بكل ودّ، أما عودته إلى نياحة حلب مرة أخرى فهي مستحيلة؛ كونها مغامرة تقوم على المقامرة

بحياته؛ ولو تم القبض عليه فسيناله عذاب الناصر قبل أن يقتله؛ معبراً عن ذلك بقوله : «أنا بقيت رجل كبير ولا لى قدرة على التعذيب، ولو علمت أنني إذا مثلت بين يديه قتلني في ساعتى وأراحني لما والله تأخرت»^(٢٥٧)، فوجود قراسنقر في السلطنة المملوكية على مدار ثلاثة عقود جعله أعلم بوسائل التعذيب التي ينتهجها السلاطين في النيل من أمرائهم^(٢٥٨)، وهذا ما كان يخشاه من الوقوع تحت طائلة الناصر، وربما كان سبباً في احتفاظه بأنبوب فيه قطرات من السم، ووقتما يظفر به الناصر؛ يتجرعه فتزهر روحه قبل أن يتمكن منه^(٢٥٩).

لذا اقترح قراسنقر على مهنا أن يطلب وساطته لدى الناصر في أن ينعم عليه بنيابة قلعة الروم - إحدى النيابات النائية - بدلاً من حلب التي قضى فيها ما يقارب سبعة وعشرين عاماً، والتي «ضجرت منها» على حد قوله^(٢٦٠).

وكالعادة جهز مهنا كتاباً للناصر محمد مصحوباً بهدية ضخمة من بعض الأشياء التي كانت تسلبه لُبُّه من الخيول الشهباء، والممالك الحسان، وأخذ في مستهل رسالته «يستمطر سحاب كرمه الهامع، بلفظ كالدرر تشنف بحسنه المسامع»، وجدد طلبه بالعفو عن قراسنقر ومنحه نيابة قلعة الروم بدلاً من حلب^(٢٦١)، وبالفعل خرج ابنه موسى قاصداً الناصر في قلعة الجبل لتسليمه كتاب والده، وقبل الناصر محمد شفاعته وهديته^(٢٦٢).

دافع المؤرخ ابن الدواداري عن الناصر محمد ونفى عنه كلية نظرية المؤامرة من قبله تجاه قراسنقر، فأخبرنا أن الناصر انزعج من تتالي الأخبار عليه بحالة «الوهم» التي تمكنت من قلوب أمرائه، دون أن يتكلف أحدهم عناء التأكد من صحة أخبار المناصحين والعيون، وأن ما كان يضره الناصر لهم «بخلاف ما توهموه»^(٢٦٣).

حافظ الناصر محمد -ظاهرياً- على الشعرة الباقية مع نائبه «**المتوهم**» قراسنقر؛ فأرسل خطاباً آخر إلى مهنا أمير العرب، رداً على الخطاب الذي أرسله من قبلُ بصحبة ولده يطلب شفاعته وتوليته نيابة قلعة الروم، يخبره -وكانما فاض به الكيل- بأنه فعل كل ما يمكن لاسترضاء قراسنقر فأعطاه تقليد حلب نيابته المفضلة، غير أن ذلك لم يلق قبولاً لديه، وعليه تقدم الناصر محمد بعرض جديد لقراسنقر مُرغِباً إياه بأن يتولى نيابة السلطنة بمصر «**لبركته وحسن تدبيره وسياسته**»، وكون شخص في مكانته «**لا ينبغي أن يكون بعيداً عن نظرنا**»، وأقسم السلطان له مرة أخرى في وثائق الأيمان المكتوبة «**أنه عندنا العزيز الغالي**»، ونصح مهنا بأن يرسله إلى مصر معزراً مكرماً منشراح الصدر «**ليشاركنا فيما نحن فيه من مصالح المسلمين**»^(٢٦٤).

عطفاً على هذا الخطاب وتلك الايمان التي قطعها الناصر على نفسه؛ حاول مهنا أمير العرب طمأنة قراسنقر وإقناعه بالذهاب إلى قلعة الجبل بين يدي السلطان؛ إلا أن الوهم قد تمكن منه، وسيطرت عليه الشكوك بأنه مقتول لا محالة على يد الناصر كونه مجرد مملوك جركسي بيع في صِغَرِهِ بثمن بخس بلغ ثلاث مئة درهم، وشرع في استعطاف مهنا ثانية لإجارتته؛ مخبراً إياه بأنه إذا لم يُجره فسيُقتل، وسيظل دمه في عنقه يطارده أبد الدهر، وطلب من الأمير مهنا بأن تُجهز الخيول ليمتطيها سفيراً إلى القاهرة وسط حالة من بكائه ونحيبه؛ فرق قلب مهنا له وبكى، وأقسم أنه لن يسمح بسفره، وأنه في حمايته؛ معترفاً ومُقرأً في طيات نفسه بأن الناصر ما طلبه إلا لتعذيبه وقلته^(٢٦٥)، وكان طبيعياً أن يدخل مهنا ضمن دائرة المغضوب عليهم من الناصر؛ وهو ما أكدّه المؤرخ أبو الفدا بقوله أن الاثنين «**اتفقا على المشاققة والعصيان**»^(٢٦٦).

كما أكد- ذات المؤرخ- أن الجيش المملوكي في حماة كان في مهمة لإرجاع قراسنقر عن شقاقه وعصيانه، فإن استجاب للطاعة يُخير في الإقامة في أي مكان يختاره، وإن لم يستجب باتت مهمة الجيش القبض عليه في أي مكان كان^(٢٦٧).

علي أية حال انتشر خبر خروج قراسنقر من حلب بين نيابات السلطنة ببلاد الشام كالنار في الهشيم، ونظراً لارتباط النواب به فقد أصابهم الاضطراب خوفاً من أن يفعل الناصر بهم مثل فعله بقراسنقر؛ لذا سارع الأمير الأفرم بالكتابة إلى مهنا يعلمه «إني أيضاً واصل إليك بجماعة من أصحابي وأزلامي»، وباتت ديار آل مهنا موئلاً لقدم الأمراء المتخوفين من بطش السلطان^(٢٦٨).

الجدير بالذكر أن قراسنقر هو الذي زَيّن للأفرم الخروج عن طاعة الناصر والانضمام إليه في ديار آل مهنا، والطريف هنا ماترويه المصادر من وجود لغة الفراسة والشفرة بين الأمراء، فذكرت أن قراسنقر أرسل مع أحد مماليكه رسالة عبارة عن هدية للأفرم، فلما مَثَّل المملوك بين يدي الأفرم أعطاه هدية قراسنقر، وكانت تفاحة، ثم مئزر أسود اللون، ثم نصفية على الترتيب المذكور، فلما سألته الأفرم عن الرسالة الشفهية، أجاب المملوك بأنه لا توجد مشافهة، فطلب منه الانتظار، فأجاب المملوك بأنه لا يوجد لديه دستور بالجلوس لانتظار الردّ، فمنحه الأفرم خلعتة وأعطاه نفقته وسافر لوقته، حينها سأل الأفرم أحد أمرائه المقربين منه - وكان حاضراً - عن رأيه في هدية قراسنقر؟ فاستحقرها وأخذ يذم في قراسنقر وحقارة هديته، إلا أن الأفرم أعطاه درساً في الفطنة والفراسة من خلال مضمون الرسالة التي فك رموز شفرتها بأن قراسنقر أرسل إليه قائلاً: «إذا أردت أن تستنشق الهواء الطلق مثلما تشم هذه التفاحة فسر إلى في سواد الليل مثل لون هذا المئزر، وإلا ستكون تلك النصفية هي كفنك»، وخرج الأفرم لوقته يطلب قراسنقر في ديار آل مهنا^(٢٦٩).

بينما قراسنقر على تلك الحالة من التأهب إذ وصلت الأخبار إلى الأمير مهنا عن طريق القصاد تخبره بأن الأمير جمال الدين الأفرم في طريقه إليهم، وقد خرج عن طاعة الملك الناصر هو الآخر، فركب مهنا وقراسنقر وأكابر أعيان العرب لاستقباله

حيث سيطرت عليهم حالة من الحزن والبكاء والشكوى من نوايا السلطان تجاههم؛ ورأى الأفرم أن يهرب بصحبة قراسنقر إلى الدولة المغولية تحاشياً لموتهما المنتظر على يد الناصر؛ خاصة أن المناصحين كاتبوا الأفرم عن ألوان العذاب التي يذيقها الناصر للخارجين عن طوعه، وأقسم لهم أن «ما يقع منا له أحد إلا ويتنوع في تعذيبه قبل قتله»، وأن الناصر أرسل الجيش المملوكي بالفعل إلى الشام من أجل قراسنقر والأفرم^(٢٧٠).

جلس الأمراء الثلاثة قراسنقر ومهنا والأفرم - ولحق بهم الأمير بدر الدين الزردكاش - قبل عبور الحدود المملوكية للتشاور في وضعهم المزري بعد أن زادت هوة الخلاف بينهم وبين الناصر محمد؛ فاقترح الأفرم إرجاء الدخول في طاعة خان المغول مؤقتاً؛ على أن يقوم الأمراء المغضوب عليهم بتكوين حلف عسكري ضد الناصر من مماليكهم وأمراء العربان وممن يدخل تحت طاعتهم من نواب السلطنة ببلاد الشام - بعد إغرائهم ببذل المال - ثم يقومون بالزحف نحو دمشق، فإذا ما تم لهم ذلك توجهوا صوب غزة - قفل الديار المصرية - وعسكروا بها، وأمسكوا كل من تسول له نفسه الخروج من مصر إلى الشام، فإذا ما يئس الناصر من فعلتهم دخل معهم في صدام عسكري؛ وعلي حد قوله : «نموت على ظهور خيلنا، ولا نموت في العذاب الأليم»^(٢٧١)، واقترح مهنا أمير العرب في محاولة أخيرة أن يتوسط لهم عند السلطان على أن يمنح قراسنقر البيرة، والأفرم الرحبة، والزردكاش بهسنا؛ إلا أن رد الناصر كان سريعاً بمنح ثلاثتهم مدن الصببية وعجلون والصلت فقط لا غير^(٢٧٢) وهو ما لا يتناسب مع مكانتهم الكبيرة في الدولة المملوكية فكان طبيعياً أن يُرفض هذا العرض السلطاني.

ألقي الأمير قراسنقر بأخر أوراقه للناصر محمد حيث رأى أن عرب بني مهنا قاموا بدورهم على أكمل وجه، فأجارهم مهنا، وسهر على راحتهم، ولم يبخل عليهم

بأي شيء، والأولى هو رجوعهم وأميرهم مهنا إلى مدينة الرحبة، على أن ينزل هو والأفرم في مشهد على بالقرب من المغول، ويقومون بمراسلة الناصر محمد للمرة الأخيرة - مستخدمين المغول كورقة ضغط - بالعفو عنهما، ومنحهما البيرة وقلعة الروم، فإن قبل العرض ظلاً فيهما إلى حين وفاتهما، وإن رفض فالحلّ الوحيد أمامهما هو الدخول في طاعة خان المغول، ولاقى هذا العرض استحسان الأمراء، فأرسلوا مطالعة أخرى بمطالبهم للسلطان في قلعة الجبل بالقاهرة^(٢٧٣).

أغلب الظن أن عرض قراسنقر لاقى هوى لدى عرب بني مهنا؛ الذين وإن حفظوا الجميل لقراسنقر ورفيقه إلا أن طول مدة إقامتهم مع العرب أصابهم بالضجر والضيق «لأنه ما يلائم العرب صحبة الأتراك وقشف البادية وخشونة عيشها»^(٢٧٤)، وهذا ما شعر به قراسنقر حين عرض اقتراحه على الأمراء، لذا لم يجد مهنا حرجاً أن يعترف له أن وجودهم بين ديار العرب أمر غير مقبول قائلاً له: «أنتم ما تضمكم إلا الحاضرة والمدن»^(٢٧٥).

ويكفي مهنا مروءة تحديه الناصر محمد بسبب قراسنقر، حين وفد عليه قائد الجيش المصري يلومه على تعكير صفو العلاقة بينه وبين الناصر بسبب إخفائه قراسنقر، وأن هذا الأمر سيتسبب في الوبال على العرب، ورد عليه مهنا بأنه ليس في دياره-وكان قد خبأه في مكان آمن-موقناً في قرارة نفسه أنه فتح طاقة من الغضب المنتظر ضده من الناصر^(٢٧٦).

يبدو واضحاً مدى تأثير مهنا في قرارات قراسنقر حيث أخذ يُعَدُّ له مناقب خان المغول خدابنده بأنه «ملك كريم محسن إلى من يجيئه ويقصده»^(٢٧٧)، واقترح عليهم أن يكتبوه لاستقبالهم في دولته، فوافقوا على ذلك، فأرسل قراسنقر لوقته أحد مماليكه برسالة إلى خدابنده قصّ عليه فيها ما وقع بينه وبين الناصر، وكيف

أنه جنى عليهم بغير ذنب اقترفوه، مستعطفاً إياه قائلاً: «فإن كان الملك الأعظم يتصدق على الممالك بأمان شريف، بأن يحضر إلى تحت ظله الشريف، ويعيش تحت ركابه، أسوة من شملتهم صدقاته»^(٢٧٨).

انتهز خدابنده الفرصة لوقته وأراد إثبات حسن نواياه تجاه الأمراء الهاربين، فأرسل إليهم أحد السلاحدارية «في البريد طائر طيران»، حاملاً رسالة شفوية وأخرى مكتوبة، وفي المشافهة أخذ «يطيب خواطرهم ويستميلهم ويرغبهم» في الدخول في طاعته^(٢٧٩)؛ قائلاً لهم: «أنكم عديتم إلى نحو بلادي، ودستم أرضي، وطلبتم بابي، فأهلاً بكم وسهلاً»^(٢٨٠)، أما الرسالة المكتوبة فاللافت للنظر فيها مخاطبته قراسنقر «بالوالد»، كما وعدهم فيها بأن من ترك في بلده شيئاً فسيعوضه بضغفه؛ فإن ترك «غنماً أعطيته عوضه فرساً، ومن خلى درهماً أعطيته دينار»^(٢٨١)، ثم سلمهم تقليد الأمان «مئة يمين».

حافظ قراسنقر على الشعرة التي تربطه بالناصر محمد فانتظر موافقته على العرض الذي أرسله سلفاً؛ إلا أن الرياح أتت بما لا تشتهي سفنه؛ إذ سرعان ما وصلت الأخبار من عيونه ومناصحيه أن الناصر جُن جنونه من وجود قراسنقر ورفيقيه على الحدود المغولية، فجرد ألف مملوك مدججين بالعتاد والسلاح وزودهم بالخيول والهجن، وأمر بإدراكهم والقبض عليهم قبل تخطي حدود الدولة المملوكية؛ بل الأدهى أنه أمر الجيش المملوكي بالشام بالخروج مدداً ثانياً لهؤلاء الممالك؛ رغبة منه في القبض على قراسنقر؛ هنالك كانت القشة التي قصمت ظهر البعير حيث اتخذ قراسنقر ورفقته القرار الحاسم الذي لا رجعة فيه وهو دخول الأراضي المغولية تحت طاعة خدابنده خان المغول^(٢٨٢)، بعد فشل المفاوضات الدبلوماسية كافة بين الناصر والأمراء الهاربين الذين ما زادوا خلالها «إلا عتواً ونفوراً» على حد تعبير أبي الفدا المؤرخ المعاصر لتلك الأحداث^(٢٨٣).

سار الجيش المملوكي طلباً لقراسنقر على حدود الدولة المملوكية، ويخبرنا أبو الفدا المؤرخ الذي كان مصاحباً له أنه تحرك من سلمية إلى القسطل إلى قديم إلى عرض إلى قباقيب حتى وصل الرحبة، إلا أن قراسنقر ورفقته تحركوا إلى ناحية رومان، ثم إلى عانة، ثم إلى الحديثة، وعند تلك المنزلة لم يستطع الجيش التحرك خلفه؛ لأن دخول تلك البلاد يحتاج إلى مرسوم بالمرور، وهو أشبه بجواز السفر^(٢٨٤).

حانت لحظة عبور قراسنقر نهر الفرات ليتجاوز حدود الدولة المملوكية ويدخل في نطاق الدولة المغولية فسيطرت عليه حالة من البكاء « كالمراة الثكلى »، فودع ابنه الأمير عليّ، وأرسل مع ابنه الآخر فرج اعتذاراً أخيراً للناصر محمد مرفقاً بهدية من أثقاله وخيوله وأمواله^(٢٨٥)، كأنما يستجدي عطفه للمرة الأخير في العفو عنه، وهناك أراد مملوك قراسنقر الخاص «بيخان» أن يصاحبه حيثما ذهب؛ إلا أنه رفض أن يعبر معه أحد؛ موضحاً لهم أن الناصر لن يُقدم على إيذائهم؛ لأنه يريد شخصياً دون غيره، وحمل أمواله وخزائنه، واستعد للتوجه نحو نهر الفرات^(٢٨٦).

المحور الخامس : الأمير قراسنقر وهروبه إلى الدولة المغولية:

يبدو أن فكرة اللجوء إلى خان المغول لم تكن وليدة عصر الناصر محمد، بل سبقه العديد من الأمراء زمن المنصور قلاوون، وزمن الناصر محمد في فترة حكمه الثانية، ولنا أن نتساءل هل قراسنقر هو صاحب فكرة العبور إلى الدولة المغولية؟ الثابت أن فكرة الدخول للمغول سمعها قراسنقر من الناصر محمد نفسه الذي طلب من أمرائه في سلطنته الثانية في عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م أن يبعدوا عنه سطوة الأمير بيبرس الجاشنكير؛ مهدداً إياهم: «إما أن تردوه عني وإلا أسير إلى بلاد التتار فأقيم بينهم حتى أموت»^(٢٨٧).

وإذا كان مهنا أمير العرب قد طرح لقراسنقر ورفقته فكرة الدخول في طاعة خدابنده - بعدما انقطعت به السبل مع الناصر- متغزلاً في صفاته الجميلة ونصحهم بمكاتبتة- كما سبق ذكره- فإن الأمير أسندمر يُعد هو أول من زين فعلياً لقراسنقر فكرة الدخول في طاعة خدابنده بعدما بدأ الناصر التنكيل بهم مطلع سلطنته الثالثة؛ حيث أرسل له محذراً في عام ٧١٠هـ/١٣١٠م - وهو نائب على دمشق- أن جيش الناصر قادم للقبض عليه، «فإذا مسكوني يرجعون إليك»، وطلب منه في هذا التوقيت أن يذهب سويماً إلى نائب البيرة، وكان صديقهما، ومن هناك يقومان بمكاتبة خدابنده والدخول في طاعته، ويبدو أن كلمات أسندمر لاقت قبولاً لديه، فعلق قائلاً: «والله كل ما يقوله أسندمر صحيح، فإن أخذوه أخذوني لا محالة»، إلا أن مماليكه في دمشق خففوا من وهمه، وهونوا أمر أسندمر بأنه يبغى حدوث فتنة بين الأمراء على السلطان، وأن الناصر لو أراد القبض عليه لفعل، لذا لم يكن بمقدوره- آنذاك- إلا النصح لأسندمر بالتزام الحذر ريثما تتبين الأمور^(٢٨٨).

غير أن الرياح أتت بما لا تشتهي سفن قراسنقر؛ إذ سرعان ما قام الجيش بمحاصرة أسندمر والقبض عليه، وإرساله إلى قراسنقر وهو بدمشق لتجهيزه مقيداً إلى الناصر في مصر، فلما وصله الخطاب جُنَّ جنونه «و غاب صوابه، وأظلمت الدنيا في عينيه»، وجمع أمراءه وأعلمهم أنه الشخص التالي في لائحة الناصر، وعزم في قرارة نفسه أنه إذا ورد إليه أسندمر فسوف يطلق سراحه، ويهرباً سويماً للدخول في طاعة خدابنده، محملاً الناصر تبعات هروبه، واستصوب مماليكه هذا الرأي وعزموا عليه^(٢٨٩)، إلا أن تتابع الأحداث لم تمكنه من تنفيذ قراره آنذاك.

ثم جاء مهنا أمير العرب، وحسن له فكرة الدخول ومكاتبة خربندا متغزلاً في صفاته، وكان ذلك بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، واتخذ قراسنقر ورفقته قرار العبور عملياً إلى الدولة المغولية؛ ومثلما كان خروج قراسنقر من حلب يوماً مشهوداً؛ كان دخوله في عام ٧١٢هـ/١٣١٢م إلى الدولة المغولية كذلك، لكن شتان بين مشهد أول يغمره الحزن والبكاء والنحيب، ومشهد آخر تُرسم فيه السعادة والأفراح؛ فكان في استقباله وأمرائه حوالي عشرة آلاف فارس من المغول، اقتادوهم من الحدود إلى داخل مملكة الأرذو، وعقب ابن الدواداري بحسرة على تلك اللحظة التاريخية قائلاً: «وانقطع أملهم من بلاد الإسلام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٢٩٠).

أصرَّ عرب آل مهنا على تكملة دورهم بتوصيل قراسنقر ورفقته إلى أول حدود الدولة المغولية، وهي مدينة سنجار التي نودي فيها بخروج كل أهلها حاملين الشموع وإلا فاضت أرواحهم عقاباً لهم، فخرج الجميع رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً، ونثروا عليهم الدراهم والدنانير في يوم مشهود^(٢٩١).

واصل قراسنقر ورفقته خط سير رحلته لمقابلة خدابنده؛ فعرجوا على مدينة ماردين، فتلقاهم حاكمها بأمر من خدابنده ومنحهم ستين ألف درهم، ومئة مكوك من الشعير يومياً، وخمسين رأساً من الغنم، وظلوا في ضيافته لمدة تسعة أيام تهيأوا خلالها للمسير لمقابلة خان المغول^(٢٩٢).

يذكر العيني أن قراسنقر توجس خيفة من صاحب ماردين من أن يتكلم في حقه بما لا يليق عند خربندا فقرر تصفيته، فدس له السم أثناء مجلس الغناء واللهو والشراب الذي أعده له ورفقته؛ ولسخرية القدر شرب الملك وابنه من الكأس المسموم فقضي عليهما^(٢٩٣)، ولم ينس ابن الدواداري كذلك أن يُشير إلى حادثة السم باقتضاب متهماً قراسنقر أيضاً بدس السم له^(٢٩٤).

زادت وسائل الترفيه من خان المغول لقراسنقر ورفقته كلما توغلو داخل أراضيهم لحثهم على المثل بين يديه والاستقرار في مملكته آمين مطمئنين «فوجدوا منه ما أنساهم مصيبتهم»^(٢٩٥)، فمروا على مدن ميافارقين، وتبريز - تذكر أيضاً توريز- ونودي فيها-كسنجار- أن يخرج كبيرهم وصغيرهم ومعهم الشموع، وتخرج المغاني بأنواع الملهي؛ بحيث أمسى قراسنقر ورفقته حديث الناس في المدينة^(٢٩٦).

واصل الركب رحلته حتى دخل مدينة بغداد في يوم مشهود؛ خرج فيه سكانها عن بكرة أبيهم-كما هي العادة- ولبس الأمراء المغول الملابس الرسمية، وسار قراسنقر في موكب مهيب يتقدمه مئة من الممالك الزرايين الذين يلعبون بالنفط^(٢٩٧)، ومن خلفه مئة من الممالك يلعبون بالرماح كراً وفرّاً، ونزل كبار أمراء المغول من على خيولهم تعظيماً لقراسنقر، بل فرشوا الأرض تحت أقدام فرسه بالثياب النسيج والكمخا^(٢٩٨) والخوبي، وغير ذلك، حتى وصلوا إلى قصر الخلافة، فأقاموا لهم مائدة ضخمة بها ما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة، وأغدقت عليهم الهدايا الثمينة من أهل بغداد طوال مدة إقامتهم بها التي استمرت ثلاثة أيام^(٢٩٩).

في عام ٧١٢هـ/١٣١٢م أعطي خدابنده أوامره لوزيره بأن يعطي قراسنقر ورفقته على قدر إقطاعاتهم في الدولة المملوكية بمثلها في دولته، فمنح قراسنقر مدينة مراغة من إقليم أذربيجان، والأفرم همذان، والزردكاش نهاوند، عدا الخلع والإنعامات التي غمرتهم^(٣٠٠).

لاحقاً كان استقبال قراسنقر في بلاط خان المغول خدابنده خيالاً حيث لبس الممالك الزي الرسمي، وألبسوا الخيول البركستوانات الأطلس الخوذ الذهب البهادرية، ونشروا السناجق^(٣٠١)، ودقوا الطبلخانة، ونعرت البوقات، ولعب

الزَّرَّاقِينَ بالنار حتى ثار الدخان عالياً، وأمامهم الفهود والصقور، ولما اقتربوا من خان المغول نزلوا من على خيولهم، وقاموا بتقديم التحية والطاعة له، ثم أمر بركوبهم على خيولهم مرة أخرى على أن يكون قراسنقر على يمينه والأفرم على يساره والزردكاش أمامهم صحبة جوبان نائب خان المغول، وجميعهم غير مصدقين وجودهم بجوار خان المغول كأنهم في رؤيا منامية «لما دخل في قلوبهم من وحشة الإسلام»، لذا عدّهم ابن الدواداري ممن «غضب الله - تعالى - عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وبئس القرار»^(٣٠٢).

التقى خدابنده بقراسنقر «وأكرمه ومن معه وأنزلهم منزلاً يليق بهم»^(٣٠٣)، وأجلسهم عن يمينه ويساره، وأقام لهم وليمة ضخمة من لحم الخيل والخراف، بحضور سفراء العديد من الدول المجاورة كبلاد الكرج وكوكب وأزبك وغيرها، وسأل خدابنده كل واحد منهم سؤالاً عما يريده ويتمناه ليختبرهم، فلما أجابه قراسنقر أنه يريد «امرأة كبيرة القدر أتزوجها»، اعتبره أرجحهم عقلاً؛ كونه دخل مملكة المغول مستوطناً إياها ومستقراً بها، ولن يفكر في العودة إلى موطنه مرة أخرى، لذا عظمت مكانته عنده فوق رفيقيه، وأجزلوا له العطاء، وزوجه من ابنة قطلوشاه، وغيروا اسمه إلى أقسنقر لأنهم يكرهون السواد ويتطيرون منه^(٣٠٤)، ثم أمر بالعرض العسكري للجيش المغولي أمامهم، بيد أنه كان على حد تعبير ابن الدواداري «كالقش بغير ترتيب، وهم عدّة بلا عدّة»^(٣٠٥)، ثم ما لبثوا أن انتقلوا إلى منازلهم المجهزة والقريبة من منزل خدابنده.

في اليوم التالي زادت عطايا خان المغول لقراسنقر من القماش الفاخر المنوع، وأقام لهم وليمة كبيرة كالعادة، وخلع على جميع من برفقته من الأمراء والمماليك والغلمان؛ فمنح كل مملوك حوالي ستمئة درهم، وأعطى الأمراء القماش الفاخر أسوة بقراسنقر، واستمر في رغد من العيش طوال سبعة أيام^(٣٠٦).

أمام هذا الاستقبال المبهر كان على قراسنقر ورفقته أن يردوا وبقوة ليسلبوا خدابنده لُبَّهُ؛ فكانت هداياه لخان المغول تفوق الوصف؛ حيث قدم له ثلاثين نوعاً مختلفة من الخيول، وعشرة من الحجورات، زُينت سروجها بالذهب؛ بحيث بدت تحت ضوء الشمس كأنها شعلة من نار تخطف الأبصار، ويتقدم الهدية مئة من مماليكه يحمل كل واحد منهم القماش السكندري من صنع دار الطراز بمصر^(٣٠٧). تلك الهدية جعلت المؤرخ ابن الدواداري - كعاداته - يتحامل على قراسنقر ويَسِمُهُ بأنه «كان طماعاً خسيساً محصلاً»، وأن هديته لخان المغول ما هي إلا وسيلة لتحقيق أمانيه ببلوغ الملك والسلطنة داخل الدولة المغولية^(٣٠٨).

لاقت هدايا قراسنقر هوى في قلب خدابنده، وأعجب بها كثيراً، فقربه إليه في مجلسه، وأغدق عليهم الخلع كعاداته وسط حضور من كبار أمراء المغول ونساء البلاط، ثم دارت كؤوس الخمر، وشرب قراسنقر ورفقته منها، ثم أحضر لهم قراسنقر جوقة مغاني-فرقة موسيقية- من الجواري الحسان اللاتي غنين بالطار والزمر حتى أذهبن عقل الحضور^(٣٠٩).

استمر ابن الدواداري في الإسهاب في الحديث عن دور قراسنقر المحوري في الدولة المغولية؛ فيخبرنا أنه بعد تمكنه من القبول عند خدابنده تحدث معه بحديث لا يخلو من اللباقة والكياسة والدهاء في أن المغول قاموا بفتح الكثير من البلدان، ثم خربوها ودمروها، وقتلوا أهلها، وسلبوا أموالهم، ووضح له أن تحت أيديهم الكثير من الخيرات من غلال ومواشٍ وأنعام يَبْدُ أنهم لا يحسنون استغلالها؛ لذا طلب صراحة من خان المغول أن يفوضه في تدبير أمور المملكة، واعداً إياه بوصول ملكه «إلى آخر مغرب الشمس، فتكون ملك المشرق والمغرب»، وجراء هذه الخطبة لم يلبث خان المغول أن لبي رغبته، وخلع عليه «وبسط يده وأعلى كلمته ونفَّذَ أحكامه»^(٣١٠)، قائلاً له: «قد أقمتك مقام نفسي ومن خالفك مات»^(٣١١) و«فوضت

إليك جميع أمر مملكتي، افعل ما تراه من المصلحة»^(٣١٢)، ثم جعله «ملك الأمراء على العساكر وترتيب المملكة»^(٣١٣).

شرع قراسنقر في تدبير مملكة خدابنده على غرار خبرته في الدولة المملوكية ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمان؛ فبدأ في تحصيل الأموال بكل وجه ممكن، وصادر ضامني الأقاليم، إضافة إلى جذبه إعجاب الخان وحريم البلاط السلطاني بأفعاله المميزة، حيث استجلب لهم أمهر الطباخين لعمل أفخم أنواع الأطعمة والأشربة، ورتب لهم موظفين للشربخانة والطشتخانة والفرشخانة، وخصص لنساء القصر أفخر أنواع الحلوى والفواكه، واستجلب لهم المواشط من الأقاليم لظهورهن في أبهى صورة، وأنشأ لهن حمماً خاصاً متنقلاً يُنقل معهن حيث ذهبن، وصاغ لهن الحليّ فائقة الجمال، ناهيك من الملابس المزركشة والقماش الفاخر الذي سلب عقول «كبارهم وصغارهم»، زد على ذلك بعض الأعمال التي مكنته من الدولة كإقطاع الأقاليم لأمراء المغول على أن يجعل عليهم أستاذارية كالعيون يأتونه بكل صغيرة وكبيرة، وهو ما خلق له منافسين في البلاط المغولي مثل القائد جوبان الذي تميّز غيظاً منه، دون أن يمسّه بسوء لما لمسه من تمكّنه من الخان الأعظم وأمراء البلاط السلطاني وحريمه^(٣١٤)، ويكفي أن خدابنده وابنه أبوسعيد كانا يحضرانه في «الألطاع والأرغو»، وهي مجلس الحكم والمشورة لدى المغول^(٣١٥).

زاد حقد جوبان على قراسنقر كلما رأى تمكّنه في دولة خدابنده والحريم السلطاني، لدرجة أن خدابنده كان لا «يقطع أمراً دون أمره»، فأراد أن يوغر صدر الخان بغية الانقلاب عليه، وذكره بما كان -سلفاً- من أمر غازان مع بعض أمراء المماليك اللاجئين إليه، وكيف أنهم تركوه وعادوا إلى الدولة المملوكية، وكانوا شوكة في ظهره لدرجة أنه مات «مغبوناً منهم وفي قلبه لهيب النار»^(٣١٦)، كما نصحه بالألأ ينصت له، وحذره من زوال دولته على يديه^(٣١٧)، إلا أن خدابنده لم يكثر

لكلمات جوبان، وأخذ يدافع عن قراسنقر، مبيناً دوره الكبير في تدعيم دولته، وأنه جاء مستجيراً به، طالباً حمايته ورفقته، وأنهم خدموا الناصر محمد بكل أمانة حينما كانوا نواباً لمصر والشام إلا أن الناصر نكل بهم ولم يحفظ جميلهم، ثم أقسم لقائده بأنه لن يتخلى عن حمايتهم أو يخونهم حتى يجعلهم نواب الشام كما كانوا، وأمر جوبان ألا يتكلم بشأنهم مرة أخرى معه^(٣١٨)، إلا أنه في نفس الوقت التزم الحذر تجاه قراسنقر بأن جعل عليه عيناً -دون علمه- من أحد أمراء المغول موصياً إياه قائلاً: «عينك عليه ليلاً ونهاراً، وإياك أن تغيب عنه وإلا تروح روحك»^(٣١٩).

قام حريم البلاط المغولى بنقل حديث جوبان كاملاً إلى قراسنقر الذي أراد أن ينهي تلك القصة تماماً، فاختلى بجوبان، وأعطاه درساً قاسياً؛ فأخبره أنه ما هرب من الدولة المملوكية إلا نجاة برأسه من الموت بعد أن انقطعت به السبل كافة في علاقته بالناصر محمد - رغم أنه لم يثر أو يتمرد ضده - لذا لم يكن أمامه سوى أن يستجير بخان المغول، وفجر قراسنقر مفاجأة لجوبان حيث أخرج له عشرين كتاباً رسمياً تخصه وصلت إليه منه - زمن نيابته للسلطنة بطلب - مع عشرين قاصداً، وذكر له أسماء القصاد بالتحديد، وكان مضمونها اللجوء لأراضي الدولة المملوكية، والدخول في طاعة الملك الناصر محمد، فاشتراط عليه قراسنقر - وقتها - أن يأتي مع عشر من أقرب خواصه، وخمسة من الممالك وواحد من السلحدارية^(٣٢٠)، ووافق جوبان بشرط أن يتأنى في قرار العبور حتى يستولي على خراج الروم أولاً، ثم يدخل بلاد سويس فيقبض على صاحبها، ويستولي عليها، على أن يكون نائباً للناصر بها، ويرسل إليه التقليد صحبة الجيش المملوكي من قلعة الجبل بإدارتها، وأكد قراسنقر على كلامه بأن «هذه كتبك جميعها معي حاضرة»، وانهار جوبان ودخله الرعب من جهة قراسنقر، وأخذ يرسل إليه الهدايا الفخمة مختلفة الأشكال والألوان مثل الأكاديش قائلاً لقراسنقر «من اليوم تعاملنا، ومن هذا الوقت

تعارفنا، وأبقيني وأبقيك»، إلا أن ذلك الحديث وصل إلى خدابنده فأخذ يطيب خاطر قراسنقر وأخبره أنه ليس بغافل عن مكاتبات جوبان لصاحب مصر، وأن حسابه معه سيكون عسيراً في القريب العاجل^(٣٢١).

أغلب الظن أن قراسنقر لم يقطع صلته بالدولة المملوكية نهائياً، ولا نعلم هل كانت تراوده أحلام العودة يوماً ما إلى موطنه الأول أم هي أضغاث أحلام؟ فالمصادر تخبرنا أنه كان يبكي طويلاً بين يدي خدابنده شوقاً لأولاده ووطنه، وأنه ما استجار به إلا ليتمكنه من ملكه وأولاده مرة أخرى، مزيناً له اجتياح بلاد الشام - كما سيأتي - وأغلب الظن أن تلك الفكرة هي ما جعلته يمتلك جهاز مخابراتي من العيون والجواسيس المنتشرين داخل الأراضي المملوكية يأتونه بمستجدات الأخبار بكرة وعشياً^(٣٢٢)، فتخبرنا المصادر أن عيونه وجواسيسه كانوا يتقصون أخبار أولاده وكيفية معاملة الناصر لهم، وكيف أنعم عليهم بالإمرة والخلع، ولم يؤاخذهم بما جنته يد أباهم الذي حُرم من رؤياهم^(٣٢٣).

لا ندري حقيقة ما الذي دعا المؤرخ ابن الدواداري يظن أن قراسنقر ندم على فعلته بعد أن كان يمني نفسه بإضطراب دولة الناصر عقب هروبه، ثم إنقلابه في طيات نفسه على المغول ووصفهم **«بالملاعين الذين ليس لهم قول ولا دين»**^(٣٢٤)، وأغلب الظن أن هذا من باب الحرب النفسية لمؤرخ عاش في كنف السلطان الناصر، خاصة أن مظاهر الحفاوة والاستقبال التي لاقاها قراسنقر من المغول فاقت الخيال، بحيث صرف النظر عن العودة إلى دياره مادام الناصر على عرش السلطنة.

علي أية الحال تصاعدت الأحداث بشكل خطير حين قرر خدابنده الزحف نحو بلاد الشام، مستثيراً عزيمة قراسنقر ورفقته بأن قرار الاجتياح ما هو **«إلا لأجلكم ولأجل أهلكم وأولادكم»**^(٣٢٥)؛ لذا قطع قراسنقر له وعداً بأن **«يأخذ له البلاد من غير قتال ولا كلام»** بشرط ألا يخطو خطوة واحدة دون مشورته^(٣٢٦).

كانت أولى خطوات قراسنقر هي محاربة الجهاز الإعلامي للناصر محمد؛ حيث إن كل صغيرة وكبيرة داخل الدولة المغولية كانت تصل للناصر أولاً بأولاً؛ وهذا ما جعل قراسنقر يطلب من خدائمه أن ينشر الأخبار الكاذبة بعدم قدرة المغول على الزحف إلى بلاد الشام هذا العام، فتصل الأخبار للناصر فيستكين جيشه، ويصبح في حالة استرخاء، في الوقت الذي يأمر فيه بتجميع حشود الجيش المغولي لمباغثة بلاد الشام، وثاني خطواته أنه أمر بنشر الجواسيس داخل الأراضي المملوكية ليأتوه بكل جديد يتعلق بالجيش المملوكي وتحركاته، مستغلاً في ذلك صداقته مع قبائل العربان من آل مهنا^(٣٢٧).

وبالفعل أرسل خدائمه إلى سائر ممالكه لتجميع الجيش المغولي، وشرع قراسنقر وجوبان «يحرّبون الأحزاب، ويسببون الأسباب»، في الوقت الذي كان الناصر محمد يدس الأخبار-الكاذبة أيضاً- التي توهم عدوه بأنه غير مكترث لتعبئة المغول، وأنه عزم على أن يسقي خيوله من نهر الفرات بما يشي بمهاجمته مملكة المغول، وكان طبيعياً أن تصل تلك الأخبار إلى قراسنقر الذي أعلم خدائمه لوقته، فعقد مجلس الحرب والمشورة «وأجلس قراسنقر فوق جميع الأمراء، وخلع عليه خلعة سنية مكللة بالدر والياقوت وحياسة مجوهره»، وطلب منه المشورة قائلاً: «قل يا أبي فكلامك مسموع»^(٣٢٨)، فزين له قراسنقر مُجَدِّداً اجتياح بلاد الشام والاستيلاء على قلاعها «من غير حرب ولا قتال، ولا تعب ولا نضال»، وحدد له مدينة الرحبة هدفاً استراتيجياً معتبراً إياها قفل الشام وأن مفتاح دخوله في الاستيلاء عليها^(٣٢٩)، واعدأ إياه بالاستيلاء عليها لأن معه- على حد زعمه- خطاب مذيّل بتوقيع نائبها بتسليمها في حال نزول المغول عليها^(٣٣٠).

على أية حال استثارت كلمات قراسنقر عزيمة خان المغول الذي أمر بسحب المناجيق إلى شاطئ الفرات، وطلب من ملك ماردين وصاحب سبيس التوجه بعساكرهما إلى

حيث الوجهة المقصودة، ثم تحرك خدابنده بنفسه بصحبة قراسنقر ممنياً نفسه بالانتقام مما حل بالمغول في وقعة شقحب «مرج الصفر»، ويخبرنا ابن الدواداري أن بلاد المسلمين كان تلعن قراسنقر ورفقته و «تدعو عليهم بالخذلان، ويلعنوه ورفقته سرّاً وإعلاناً»^(٣٣١).

في هذا التوقيت اجتمع ملك ماردين بخان المغول وبحضور قراسنقر وأخبرهما أن جواسيسه بمصر أخبرته أن الناصر محمد أعلن التعبئة العامة للجيش المملوكي في مصر والشام؛ وكعاداته طلب خدابنده رأي قراسنقر الذي أكد بدوره أن قُصّاده وردت إليه بصحة ذات الأخبار، وهناك فترت عزيمة خان المغول، وانكسر قلبه، وظن أن الهزيمة سوف تلحق بجيشه لا محالة، خاصة أن المصادر تذكر أن خدابنده لم يكن «رجل حرب» بقدر ما كان «صاحب شراب ولذة ومنادمة»^(٣٣٢).

طرح خان المغول تساؤلاً على أمراء الجيش المغولي حول إمكانية قدرة الجيش المغولي على الدخول في مواجهة حربية مع الجيش المملوكي وخيل المغول هزيلة؟، فأجابوا مؤيدين فكرة قراسنقر بضرب الحصار حول الرحبة حتى تستريح الخيول من تعبها، وإلى أن يأتي الملك الناصر لنجدها، فالأمر متروك حينئذٍ له إما بعودة الجيش المغولي إلى دياره أو الاستمرار في المواجهة؛ مبيناً أن ذلك مكسباً للمغول في كلا الحالين؛ فلو تخاذل الناصر عن نجدة الرحبة فسيقومون بالاستيلاء عليها، ثم يدخلون حلب فبعلبك فحمص فدمشق، ثم يستعدون لغزو مصر، وإذا ما هبّ الناصر بالجيش لملاقاتهم سيصيبه عناء الإرهاق والتعب جراء السفر الطويل من جهة، ومن جهة أخرى سينفق الكثير من الأموال على جيشه جراء إعلان النفير ضد المغول، وتكون «كلفتهم أكثر من كلفتنا»، فإذا ما عزم المغول على الزحف عليهم في العام القادم كانوا وقتذاك أكثر قوة وراحة منهم^(٣٣٣).

اللافت للنظر أن خدابنده ونائبه جوبان اجتماعاً بالأمير الأفرم على انفراد، وطلب خدابنده مشورته في خطة رفيق دربه قراسنقر بحصار الرحبة، فصدّم منه حين أقسم له أن كل ما يقوله قراسنقر عار تماماً من الصحة؛ معترفاً صراحةً له أنهما لو وجدا أميرين من أمراء الشام في صفهما خلال مناوشتهما مع الناصر، أو أن نائب الرحبة تحالف معهما لما وفدا إلى الدولة المغولية من الأساس، وضحك جوبان لاتفاق الأفرم مع رأيّه بشأن قراسنقر؛ إلا أن خدابنده دافع بكل قوة عنه معتبراً خطته اجتهداً «إن أصاب فكان المراد، وإن أخطأ فيكون قد بذل كل ما بوسعه»^(٣٣٤).

على أية حال انتهى مجلس الحرب باعتماد خطة قراسنقر بالزحف نحو الرحبة وضرب الحصار عليها، هنالك وصلت الأخبار إلى نائبها بقدم المغول إليها فشرع في إرسال المكاتبين والمناصحين إلى نائب السلطنة بدمشق يخبره بمستجدات الأمور ليعلم الناصر محمد بالقاهرة، في نفس الوقت بدأ في تخزين الأقوات تمهيداً لحصار طويل، وشرع في تحصين القلعة وتقوية أبراجها، هذا والناصر محمد في حالة غضب كون الخيول في مراعيها، والخروج بها حالياً يُعدّ هزيمة متوقعة على يد المغول، لذا اقترح بعض الأمراء عليه إرسال حوالي ثلاثة آلاف فارس إلى حلب ليكونوا حائط صد مؤقت ضد المغول في حال ما عبروا إليها^(٣٣٥).

اقترح قراسنقر من قلعة الرحبة، وطلب الحديث مع نائبها طمعاً في استمالته؛ فأخذ في إقناعه بأنه ما هرب من الدولة المملوكية إلا بعد أن انقطعت جميع السبل بينه وبين الناصر الذي أهدر دمه، وأخذ يحصي له مناقب المغول الحسنى؛ بأنهم «أكثر الناس مروءة، وأقربهم للحق، منعكفين على هذا الدين، معتقدين فيه بيقين»، كذا لم تخل محادثته من الثناء على خدابنده بعظيم الكلمات، ثم أعقب خطاب الترغيب حديث آخر فيه التهديد والوعيد بأن المغول في استطاعتهم الاستيلاء على القلعة في ظرف ساعة من الزمن^(٣٣٦).

جاء رد فعل نائب الرحبة مخيباً لآمال قراسنقر؛ حيث سبّه بأبشع الألفاظ، معتبراً إياه «خارجاً عن الملة المحمدية، ومطروداً من باب الملك»، وأخبره أن تسليم القلعة دونها الحرب فقط، لذا بدأ المغول في نصب المجانيق على القلعة من جميع جوانبها، في الوقت الذي طلب فيه نائبها الاستبسال في الدفاع عنها قائلاً لهم: «قاتلوا عن حريمكم وأولادكم»^(٣٣٧).

تحركت فيالق الجيش المغولي بقيادة ملك ماردين وصاحب سيس وملك الكرج صوب سور الرحبة؛ وقاموا بضرب الحصار حولها في سبع حلقات دائرية أخرى عند منزلة قباقيب^(٣٣٨)، وأعطى خدابنده قراسنقر تقليداً عاماً بتوجيه العساكر المغولية، مانحاً له التصرف حيث شاء، فأعطى قراسنقر أوامره لعسكر الكرج - وكانوا ضخام الأجسام - بأن يكونوا في الحلقة الأولى لنقب سورها وقذفه بالأحجار^(٣٣٩).

حالما اقترب عسكر الكرج من سور الرحبة قُتل مقدم عسكرهم برمح أُطلق عليه من داخل القلعة؛ فأخذ جوبان الرمح من جثته، وذهب به إلى خدابنده وسلمه إياه ساخراً من قراسنقر ومكذباً وعوده قائلاً: «قد جاءنا مفاتيح القلعة ومعها هذه الهدية الحسنة»^(٣٤٠)، وليس بخاف علينا الكراهية الدفينة من ناحيته تجاه قراسنقر، ولو تمكن منه «ورفقه لما كان لهم عنده غير ضرب الرقاب»^(٣٤١).

تعجب خدابنده من مقاومة قلعة الرحبة - وهي صغيرة مقارنة بغيرها من القلاع المملوكية - وكيف سيكون حاله إذا ما هاجم أحد القلاع المملوكية الكبيرة؟ هنالك التفت إلى قراسنقر يلتمس منه الإجابة على تخوفاته؛ فجاء رد قراسنقر على سُخرية جوبان بقوة كلماته في خطاب وجهه إلى خدابنده مؤداه أن الإنسان لا يموت إلا إذا جاءه أجله حتى ولو كان في بطن أمه، وأن الخان الأعظم خرج لنية الحرب والقتال والمحاصرة وقتل الرجال، «ومن طلب عظيماً خاطر بعظيم»،

ثم تهكم على جوبان وفزعه من الرمح الكبير الذي أتى به بأن عليه ألا يتعرض للقتال ويخاف على نفسه، «ونحن ننوب عنه في جميع مايخشاه»، ضارباً المثل بنفسه وقد اشتعلت لحيته شيباً من كثرة حروبه وصراعاته أيام وجوده في الدولة المملوكية، ومع ذلك لم يصبه أي شيء، وهكذا قلب قراسنقر -بدهائه- صورته السلبية لدى خان المغول بقوة كلماته، فأقسم خدبنداه -كما وعده- أنه سيملكه إقليم الشام بأكمله، وعليه ألا يلتفت لأي كلمات تنال منه، وعليه كان ذلك آخر العهد بين قراسنقر وجوبان فلا «عادوا يتكالموا إلا مراياة لبعضهم البعض»^(٣٤٢).

وصلت أخبار ضرب حصار المغول على مدينة الرحبة إلى بلاد الشام، فأصاب الناس الفزع، وصاروا يهربون من المدن، فأخلت مدن حمص وحلب، وكثر ازدحام الناس عند أبواب مدينة دمشق، وجميعهم يريدون قصد القلاع الشامية أو التوجه صوب الديار المصرية، وارتفعت أسعار الحمالين، وعزَّ وجودهم، لدرجة أن المؤرخ ابن الدواداري ووالده أخرج أهله إلى قلعة صرخد لحمايتهم^(٣٤٣).

تواترت البطائق من الرحبة على جناح الحمام الزاجل تخبر بشدة الحصار والقتال حول أسوارها، وما زالت البطائق ترد باستمرار حتى انقطع ورودها، فأيقن الناصر أن الرحبة سقطت في يد المغول، وزاد الفزع لدى عامة الشعب، وباتوا ينتظرون قدوم الجيش المملوكي من مصر، الذي بمجرد وصوله إلى الشام، رفع المغول الحصار عن الرحبة وعادوا إلى بلادهم؛ وتبين أن سبب انقطاع بطائق الحمام الزاجل هو أن المغول ضربوا سبع حلقات من النشاب -الذين يضربون بالسهم - حول القلعة، ومتى ما خرج الحمام حاملاً البطائق، رصده النشاب بالسهم، فإن تجاوز الحلقة الأولى لم يسلم من الثانية، وهكذا^(٣٤٤).

تباينت المصادر المملوكية في ذكر الأسباب التي جعلت المغول يقومون برفع الحصار عن قلعة الرحبة؛ فذكر ابن الدواداري ثلاثة أسباب: أولاً أنه ربط رحيل المغول بالأمير قراسنقر -المغضوب عليه- حيث اعتبر قدومه ورفقته على خان المغول قدم شؤم وفأل سيئ؛ ثانيها طعنه في خدائده نفسه بوصفه أنه ليس رجل حرب بل انصبَّ اهتمامه على الأكل والشرب والطرب والنساء والملاهي، ولولا حث قراسنقر له لحصارها لما خرج من دياره^(٣٤٥).

ثالثها ما أورده من أن نائب الرحبة قام برشوة الوزير رشيد الدين أحد كبار دولة المغول وغيره ممن استمالهم ببذل المال ليطلعوه على كل صغيرة وكبيرة، وحقيقة أن قلعة الرحبة ما كانت لتستعصي على خدائده لولا استمالة إحدى محظيات خدائده وتدعى نجمة خاتون؛ وتعد المغنية الحظوى لديه والمقربة إلى قلبه، فاستطلع رأيها فنفرت من مدينة الرحبة وحصارها، وذكرته بالجلوس على متنزهات دجلة وملذاتها، وأخبرته أنها لو ظلت في الرحبة يومين لمانت لوقتها، بيد أن خدائده استكبر أن يأتي إلى حصار تلك القلعة الصغيرة، ويرحل دون السيطرة عليها، فذكرت له أن امرأة كانت ترضع ابنها في القلعة فضربها رمح أصابها ووليدها في مقتل، وأن الجامع الموجود تهدم جراء ضرب المناجيق، فاشتراط خدائده إعلان الطاعة بغية الرحيل عن الرحبة، فأرسلت الجارية إلى بدر الدين الأزكشي نائب الرحبة الذي رفع السناجق فوق القلعة وفتحوا بابها، وأحضروا المرأة ووليدها المقتولين بين يدي خان المغول الذي بكى من هول المنظر، ثم أرسل خلعة إلى نائب الرحبة، ومبلغ أربعمئة دينار لعمار ما تهدم من جامعها، ثم رحل عن الرحبة بعد تركه آلات المناجيق حول أسوارها^(٣٤٦)، وقد يبدو بالرواية الأخيرة شيء من المبالغة التي تظهر خان المغول المسلم بأنه حامي المسلمين والمدافع عن حقوق المستضعفين، والواقع أن سياسة المغول لم تتغير بدرجة كبيرة حتى بعد اعتناقهم الإسلام.

على حين ذهب أبو الفدا - المعاصر للأحداث - أن معسكر خدابنده وقع فيه «الغلاء والفناء، وتعذرت عليه الأقوات، وكثرت منه المقفرون إلى الطاعة الشريفة، وضجروا من الحصار»^(٣٤٧).

أما العيني فروى أن خدابنده وصلت إليه الأخبار أن ممتلكاته تم الاعتداء عليها في غيابه من قبل أحد المتقدمين الأتراك؛ الذي استطاع الاستيلاء على مدينة خراسان، وقام بقتل ابنه، لذا اضطر إلى رفع الحصار عن الرحبة قافلاً إلى حاضرة دولته للدفاع عن باقي ممتلكاته من غزو التركمان^(٣٤٨).

لم يلبث قراسنقر قليلاً بعد وقعة الرحبة حتى وصلت إليه الأخبار من عيونه في الأراضي المملوكية أن الناصر محمد قبض على أولاده وصادر أملاكهم، فتشاور مع الأفرم في حث خان المغول على حشد المغول للزحف نحو بلاد الشام، إلا أن الرياح أتته بما لا تشتهي سفنه؛ إذ سرعان ما وردت الأخبار بحدوث تمردات داخل الدولة المغولية تزعمها طقطاي الذي جهز جيشه واستعد للزحف لمواجهة خدابنده^(٣٤٩).

عقد خدابنده اجتماع مجلس حرب، وطلب قراسنقر ورفقته على الفور، وأخبرهم بما كان من أمر طرنتاي، فهوّن قراسنقر له أمر طرنتاي وجيشه وأنهم «عدة بلا عدة، ولا هم رجال حرب»، ووعد بأنه سيجد ما يسره إن فوضه لإدارة تلك المعركة، فذكره خدابنده بأنه أقامه مقام نفسه في إدارة دولته، قائلاً له «مهما رأيت من المصلحة افعل ولا تشاور»، وبناء على هذا التفويض العسكري شرع قراسنقر في تجهيز جميع كتائب الجيش المغولي من الموصل وسنجار وإربل، وانتقى منهم عشرة آلاف فارس مجهزين بالعدة والعتاد والدروع القوية، وألبس خيولهم البركستوانات، وجعل عليهم عشرة من المتقدمين كانوا شباباً «نشأوا جهلاً لا يعرفون الموت»، ثم جهز معه حوالي مئتين من مماليكه الزراقيين وأعطاهم آلات النفط، وحمّسهم قائلاً: «أنتم وحدكم آخذ بكم بلاد بركة، وأفتح بكم إلى آخر المشرق»^(٣٥٠).

أعطى قراسنقر خبرته العسكرية أيضاً لجيش خدينده، وزوده بحوالي خمسمئة مملوك من الزرايين «وعلمهم اللعب بالنفط وآلاته»، بحيث بدت تحركات الجيش المغولي «في دست عظيم لا يُعهد قَبْلُ مثله»، يقابله على الجانب الآخر جيش طقاي الذي لا يقل عنه عدة وعتاداً، والتقى الطرفان، وأدهش قراسنقر الجميع بشجاعته فعمل «عملاً عظيماً حتى أدهش الأبصار، ولعبت مماليكه بالنفط والنار»، ولحقت الهزيمة بطقاي وجيشه، وارتدوا فارين إلى بلادهم فقتبهم قراسنقر ومماليكه قتلاً وأسراً، وغنموا غنائم طائلة جراء تلك المعركة، وزادت مكانة قراسنقر في قلب خدينده فقربه إليه «وقبّل رأسه وعينه، وشكر له ذلك الصنيع»، وزادت الإنعامات والخلع عليه وعلى مماليكه^(٣٥١).

المحور السادس: الأمير قراسنقر ومحاولات اغتيال الفداوية له ووفاته:

أيقن الناصر أن وجود شخصية بحجم قراسنقر في بلاط المغول سيكون لها تداعيات سلبية على الدولة المملوكية؛ نظراً لمكانته ومعرفته بكل صغيرة وكبيرة عن الدولة المملوكية، وعلمه بأدق تفاصيل البلاط السلطاني؛ نظراً لما تولاه من نيابات كبار؛ وهي: مصر ودمشق وحلب والصبيبة وبانياس وغيرها من الوظائف المملوكية، وزاد يقينه وتأكدت مخاوفه أكثر حين قام طقاي بإرسال رسول من عنده إلى الناصر محمد في قلعة الجبل بالقاهرة يشكو إليه هزيمته المذلة على يد قراسنقر ورفقته، وموضحاً له أنه «لولا هم ما كان عسكر خدينده له عندنا قدر»^(٣٥٢).

من المرجح أن الأمير قراسنقر يُشكل تاريخاً محورياً في عصر الدولة المملوكية الأولى بحكم مشاركته في صنع أحداثها؛ ومعاصرتة لسته من سلاطين الممالك، وهذا أمر ليس بغافل عن الناصر محمد؛ الذي ضاعت كل محاولاته في الظفر به إما بالترغيب أو التهريب، فأرسل إلى خدينده يطلب تسليمه إليه مراراً تكراراً، غير أن

مكانته في بلاط المغول جعلتهم يرفضون تسليمه للناصر^(٣٥٣)، نظراً لخبرته وحنكته الإدارية والعسكرية، لذا بدأ الناصر في توجه جديد وهو إرسال الفداوية إلى مملكة المغول لتصفيته^(٣٥٤)، بحيث أحصت المصادر حوالي مئة وأربعة وعشرين فداوياً تم إرسالهم لقتله^(٣٥٥)، وقيل «مئة وعشرون»^(٣٥٦)، وقيل ثمانون فداوياً^(٣٥٧)، عدا من خرج منهم من بلادهم لاغتياله، وفُقدوا، ولم يُعلم لهم على أثر^(٣٥٨)، ولم تنجح محاولة واحدة في النيل منه باستثناء مرة واحدة بالقرب من منزل خان المغول، حيث وثب عليه أحد الفداوية وسط أمراء المغول فجرح جرحاً خفيفاً في ساقه، وتكالب مماليكه والأمراء على الفداوي حتى قطعوه إرباً^(٣٥٩).

يخبرنا العيني أن قراسنقر كان أعلم بخطوات الناصر، وأنه لن يتركه وشأنه مطلقاً؛ لذا بمجرد دخوله إلى توريث طلب من رفقته من الأمراء أن يلبسوا الزرديات من الدروع تحت الثياب؛ لأن الناصر سيرسل وراءهم الفداوية للوثوب عليهم في مواكبهم أو في الأماكن المزدحمة^(٣٦٠).

بمجرد أن عبر قراسنقر ورفقته إلى أرض المغول في عام ٧١٢هـ/١٣١٢م كلف الناصر محمد أحد التجار ويدعى يونس التاجر، وأعطاه أموالاً طائلة، وأرسله إلى مدينة توريث، وكانت مهمته اجتذاب العديد من الأصحاب في تلك البلدة حتى يفد عليه الفداوية فيسكنون عنده، في نفس الوقت استمال الناصر صاحب مدينة مصيايف، وأغدق عليه الأموال مقابل تجهيز طائفة من الفداوية للقيام بمهمة في مدينة توريث، وبالفعل تم تجهيز حوالي ثلاثين منهم فأرسلهم الناصر إلى يونس التاجر بعد أن حدد لهم هدفهم، وهو اغتيال قراسنقر والأفرم، ويبدو واضحاً أن الفداوية حالما وصلوا إلى المدينة المذكورة أرسل بعضهم خفية إلى قراسنقر يُعلمه بخيوط مؤامرة القتل، مما جعل قراسنقر يحترز على نفسه، ثم تتبعهم، وقبض على بعضهم، وقام بقتلهم، إلا أن البعض الآخر انتظر اللحظة الحاسمة حين خرج جوبان بصحبة

قراسنقر والأفرم، فوثب اثنان من الفداوية عليهما، وأصيب الأفرم، وقبض على الفداوي، وتم قتله، أما الآخر المكلف بقتل قراسنقر فأصابه الجبن لمقتل زميله^(٣٦١). كان لوقع تلك الحادثة أثر كبير حيث انتشر خبر الفداوية في الدولة المغولية بأنهم قدموا لقتل الخان «أبي سعيد وجوبان والوزير علي شاه وقراسنقر»، فبدأ الجميع في أخذ الحذر لدرجة أن قراسنقر كان ينتقل من مكان لآخر خشية القتل، وقام أمراء المغول بتفتيش أماكن توريث وفنادقها وخاناتها، وقبضوا على يونس التاجر، ثم أطلق سراحه بشفاعة الوزير.^(٣٦٢)

في عام ٧١٥هـ/١٣١٥م جرت محاولة أخرى من قبل بعض الفداوية لاغتيال قراسنقر حينما أنعم عليه خدابنده ببغداد، وألزم الجيوش المغولية القاطنة في ديار بكر وأطراف الجزيرة الفراتية بأن تكون تحت إمرته في حال اتخاذه قرار الإغارة على بلاد الشام، وبمجرد أن باشر قراسنقر مهامه ببغداد وثب عليه أحد الفداوية غير أنه نجا منها^(٣٦٣).

أثار الفشل المتتالي لمحاولات اغتيال قراسنقر غضب الناصر محمد الذي علم أن تحركات الفداوية من مدينة مصياف كانت مرصودة من قبل أحد الأكراد الجواسيس الذي كان ينقل أخبارهم إلى المغول، مما حدا بالناصر أن يرسل الجيش في العام ٧١٥هـ/١٣٠٥م لغزو ملطية المتاخمة لمصياف والقبض على هؤلاء الجواسيس^(٣٦٤).

ثم توالى تتبع الفداوية في كل مكان في توريث حتى علموا بأماكن بعضهم، وقاموا بالهجوم عليهم، وقبضوا على ثلاثة منهم؛ فقام أولهم بمقاومتهم بضراوة وطعنهم بالسكين حتى قتل، والثاني ألقى بنفسه من أعلى الدار فتهشمتم عظامه، وقبض على الثالث، وأرسلوه إلى جوبان الذي أخذ يمينه ويوعده بالذهب، ويقسم له ألا يؤذيه إلا أنه لم ينبس ببنت شفة، فقاموا بتعذيبه حتى مات^(٣٦٥).

ويروي المقريزي قصة ساعدت قراسنقر في الاحتياط والنجاة بنفسه من أفعال الفداوية؛ مؤداها أن فراشه الخاص كان على علاقة بأهل مصياف، فأخذ يتقصص نواحي توريز حتى ظفر بأحد الفداوية مرسل من الناصر لقتل قراسنقر، فإذا هو أخوه، فاستماله وقربه من قراسنقر الذي جعله فراشاً كأخيه، ثم أنعم عليه وخصص له مرتباً شهرياً وصل إلى حوالي خمسمئة دينار، فأخبره الفداوي بما ندب إليه من قتله، واتفق معه أن يعرفه بجميع من يرد من الفداوية، فسرّ قراسنقر بذلك، وبدأ تتبعهم بناء على معلومات الفراش، فقبض على كثير منهم، وقتل بعضهم نفسه^(٣٦٦)، والغريب أنهم لم يعترفوا بأية معلومات تحت وطأة التعذيب. لذا ليس بغريب أن تذكر المصادر أن قراسنقر كانت له عيون تطالعه بالأخبار، وتعلمه بمستجدات الأحداث من دمشق إلى قلعة الجبل بالقاهرة، ولما لا وقد تولى نيابة معظم البلدان، ويعرف أدق أسرارها، ويعلم جيداً بأمر الفداوية^(٣٦٧).

وصلت الأخبار من بغداد مرة أخرى بأن بعض الإسماعيلية وثب على نائبها ومعه سكين فلم يتمكن منه، وأصابته الطعنة أحد أمراء المغول المرافقين له، فنتبعه الجنود حتى أوشكوا على القبض عليه فقام بقتل نفسه^(٣٦٨)، وبدأ نائب بغداد يتحرى عن الفداوية في بغداد حتى قبض على أحد التجار، وقام بحبسه، فقام التاجر بدفع مبلغ أربعمئة ألف دينار للنجاة بنفسه، وخرج من بغداد، وأرسل عدداً من الفداوية لقتله هو وقراسنقر، فتفرق الفداوية في بلاد الأردن وتوريز وبغداد منتظرين ساعة الصفر، فقام أحدهم بالوثوب على نائب بغداد، وطعنه في صدره، وفر هارباً عائداً إلى مصياف، وكاتب الناصر محمد يخبره بما حدث من اغتياله لنائب بغداد^(٣٦٩).

زادت مخاوف قراسنقر عقب مقتل نائب بغداد، فلجأ إلى فراشه وأخيه الفداوي، فقاما بإعطائه معلومات عن أربعة من الفداوية قدموا لاغتياله في مراغة، فأرسل حراس الطرق، وقاموا بالقبض عليهم دون غيرهم من الركب، وأقروا تحت

وطأة التعذيب بحقيقة مهمتهم، ثم قام بقتلهم والتشهير بهم، وظلت تلك المعلومات المخبراتية أماناً لقراسنقر - إلى حين - فمتى ما دخل الفداوية إلى الأراضي المغولية قبض عليهم^(٣٧٠).

إلا أن عمليات الاغتيال لم تتوقف من جانب الفداوية؛ حيث قام أحد الفداوية بالوثوب على قراسنقر في مجلسه، وكان بجوار جوبان وابنه، فلما رأى ابن جوبان السكين في الهواء نهض مفزوعاً، وبهوضه المفاجيء اختل توازن قراسنقر هو الآخر، وابتعد عن موضعه، وطاشت ضربة السكين في الهواء، ثم قام الممالك بتقطيع الفداوي إرباً، واتهم قراسنقر المجد السلامي التاجر بإيواء الفداوية، وشكاه إلى بوسعيد، وانهار قراسنقر، وطلب من الخان أن يقتله حتى يستريح؛ لأنه ما استجار بمملكة المغول إلا لحمايته من القتل، وتأثر بوسعيد لكلماته، والتفت إلى المجد السلامي متهماً إياه بأنه وراء هؤلاء الفداوية، إلا أن السلامي أطلع الخان على السر وراء إصرار الناصر على قتل قراسنقر قائلاً: «إن هذا مملوكي ومملوك أخي ومملوك أبي، وقد قتل أخي، وما أرجع عن ثأر أخي ولو أنفقت خزائن مصر على قتل هذا»، وكان طبيعياً أن يعقب جوبان - الناقم على قراسنقر - بأن الناصر لديه الحق في كل كلمة قالها، ولا يحق لنا أن نتدخل فيما بينه وبين مملوكه الذي قتل أخاه^(٣٧١).

اشتعل الصراع بين الناصر محمد وقراسنقر حين شك أحد العامة في القاهرة في شخص ادعى أنه أحد قصاد المغول ومعه مجموعة من الفداوية، فقام والي القاهرة بالقبض عليه، وأخذ يقرره حتى اعترف أنه قاصد ومعه أربعة من الفداوية موجّهين من الأمير قراسنقر لاغتيال السلطان الناصر محمد، فتتبع والي الأربعة فقبض على اثنين، وهرب الآخران، وتم اقتيادهما للناصر حيث اعترفا أمامه بأنهما من جهة الأمير قراسنقر فتم إعدامهما، وأخذ الناصر هو الآخر يحتاط على نفسه، فألزم الناس بغلق طاقات البيوت وعدم الجلوس في الطرقات في حال نزوله إلى الميدان^(٣٧٢).

على الجانب الآخر طفع الكيل لدى جوبان الذي أرسل من وقته المجد السلامي إلى الناصر محمد بمصر محملاً بهدية قيمة ليستطلع الأخبار مع تصاعد وتيرة محاولات الاغتيال من قبل الفداوية. ووصل السلامي رسولاً من قبل الخان بوسعيد إلى الناصر محمد بالقاهرة طلباً للصلح بين الدولتين بشروط كان على رأسها ألا تدخل الفداوية إلى ديار المغول، كذا كان من بينها شرط أساسي، وهو ألا يُطلب قراسنقر، وأن تتوقف محاولات اغتياله، والغريب أن الناصر بعد مشاورة كبار أمرائه وافق على تلك الشروط وذيل وثيقة الشروط بتوقيعه وتم تبادل الهدايا بين الطرفين^(٣٧٣).

ويتفق المقريري ومفضل بن أبي الفضائل في أن الناصر محمد استطاع أن يستميل المجد السلامي بالأموال بحيث جعله أحد العيون على قراسنقر وخان المغول، وطلب منه ملازمتهم وعدم مفارقتهم، وبدأ بالفعل مطالعة الناصر بمستجدات الأمور الذي أرسل إليه أربعة من الفداوية تمهيداً لتنفيذ المطلوب منهم، غير أنه لسوء حظه تم القبض على ثلاثة منهم، واستطاع الرابع الفرار بكتاب الناصر الذي يحوي طبيعة المهمة إلى مدينة مصيفاف، وأرسل إلى الناصر بتطورات الأحداث، ووقع الثلاثة تحت التعذيب لإقرارهم إلا أنهم لم يعترفوا بأية معلومات حتى ماتوا^(٣٧٤).

زادت شراسة الفداوية بغية قتل قراسنقر؛ فانتهزوا فرصة خروجه مع أمراء المغول في رحلة صيد، ووثب عليه أحدهم من خلفه وضربه إلا أن الضربة وقعت في خاصرة الفرس، وألقى قراسنقر بنفسه إلى الأرض، ونجا من القتل، بينما تكفلت رفقته بقتل الفداوي^(٣٧٥).

زاد الطين بلة أن الناصر أرسل أحد أمرائه لمقابلة خان المغول أبي سعيد، وأرسل في أثره اثنين من الفداوية، إلا أنه تم القبض على أحدهما، ومات تحت وطأة التعذيب دون الإقرار بشيء، وقام الآخر بقتل نفسه، وهذا ما جعل أبا سعيد يحتجب بضعة

أيام خوفاً على حياته، كما استشاط جوبان نائب الخان غضباً، وأرسل في طلب المجد إسماعيل، وأخذ يوبخه، ويتوعده بالقتل؛ لأنه احتال على خان المغول بتقديم الهدايا له طلباً للصلح مع الناصر محمد، وما تلك الهدايا إلا «لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية»^(٣٧٦)، زد على ذلك احتجاجه لدى الأمير المرسل من قبل الناصر بأن الصلح الذي تم بين الطرفين أقر بعدم دخول أحد من الفداوية إلى المغول، وبدأ يسب ممالك الناصر مهدداً ومتوعداً قائلاً «والله ما أنتم مسلمين، تدخلوا بالفداوية صحبتكم إلى البلاد، والله لأقطعنكم قطعاً»^(٣٧٧)، فما كان من الأمير المرسل إلا أن اعتذر له بأن هؤلاء الفداوية موجودون ومنتشرون في بلاد المغول من قبل إقرار الصلح، وأعطى ضمانات بأن السلطان لن يرسل مجدداً أيّاً منهم، وهدأت الأمور على حذر بين الطرفين^(٣٧٨).

استشاط الناصر غضباً من فشل مهمات الفداوية لقتل قراسنقر الواحدة تلو الأخرى، فأرسل مجدداً أحد الفداوية بعد أن ظل في معسكره مدة أربعة وثلاثين يوماً أكل خلالها أشهى أنواع الأطعمة والأشربة، ثم تقابل مع أحد القصاد الذي سلمه السكين المختوم التي سينفذ بها مهمته، وهي اغتيال قراسنقر، وظل الفداوي يترقب الموعد المنتظر حتى قدم عيد الفطر ودخل الأمراء وفيهم قراسنقر لتهنئة بوسعيد، ثم انصرفوا لقضاء باقي اليوم عند الوزير، فأرسل المجد السلامي إلى أحد قصاده كي يخبر الفداوي بموقع قراسنقر، وأنه يتناول وليمته مع الوزير رفقة الأمراء، ويلبس خلعة حمراء، ووصف له شكله وهيئته، وحينما انتهى قراسنقر من طعامه وهم بالرحيل، وصلت المعلومات إلى الفداوي من أحد قصاد السلامي ومعه السكين بأن قراسنقر أول من يركب على فرسه، قائلاً له «هو ذا الغريم خرج للركوب، وهو شيخ حسن وعليه قباء أحمر وأول من يقبل إليك هو»، غير أن قراسنقر أثناء سيره في الدهليز وقبل أن يهجم بالركوب استدعاه الوزير فعاد إليه، في نفس الوقت

الذي خرج فيه أحد الأمراء الآخرين وكانت عليه خلعة حمراء نفس خلعة قراسنقر، كما كان به شبه منه، فلما ركب وتوسط الطريق وثب عليه الفداوي من فوق السطح قائلاً: «بسعادة السلطان الملك الناصر محمد»، وضربه في رقبتة فألقاه قتيلاً، وهرب، إلا أن الجنود أمسكوا به، وتم اتهام السلامي بأنه على علاقة به، في نفس الوقت أيقن قراسنقر أنه كان المقصود، وكاد عقله يذهب من شدة الخوف والفزع معقباً بقوله: «أنا والله كنت المطلوب، ولكن الأجل ما فرغ»^(٣٧٩).

كان على أمراء المغول أن يقوموا باستجواب المجد السلامي بحضور قراسنقر، ومدى تورطه في إيواء الفداوية في بلاد المغول، فأغلظ له جوبان الكلام، وتوعده بالقتل، إلا أن السلامي أخذ يقسم بأغلظ الأيمان بأنه ليس له يد في جلب هذا الفداوي، وشرع الوزير يلطف الأجواء بين الطرفين، وقرر جوبان استجواب الفداوي، وقاموا بتعذيبه بأشد أنواع العذاب، وقطعوا بعضاً من أطرافه حتى يعترف؛ وسط ترقب من السلامي الذي تضرع إلى الله بأن يلهم الفداوي الصبر ويمنحه الستر، ولما استيأسوا من الفداوي طلب جوبان كلباً شرساً— يُندب لمن يريد قتله— يفترس أي شخص يُطلق عليه، فقاموا بتكتيف الفداوي، وأطلقوا الكلب عليه، إلا أنه صاح صيحة قوية أدهشت الحضور، وأدت إلى تراجع الكلب عنه، فأمر جوبان أن يُوثق الفداوي جيداً، ويُقل فمه حتى لا يصيح، ثم أطلقوا الكلب مرة أخرى فافترسه «وجعل يأكل من لحمة قطعة بعد أخرى إلى أن قتله وهو لا يتكلم»^(٣٨٠).

لم تكن هذه آخر محاولات الاغتيال التي تعرض لها قراسنقر من قبل الفداوية، فبعد أن قدم التهنية لخان المغول بوسعيد في أحد الأعياد، وحالما خرج من مجلسه بصحبة جوبان وثب عليه أحد الفداوية، وبرد فعل فجائي ألقي بنفسه من على فرسه إلى الأرض فوقع عليه الفداوي وضربه بالسكين فأخطأه، ووقعت السكين على الأرض، وهرب سريعاً، بعد أن تمزقت ثيابه ووقعت الكفتاه من على رأسه «وكاد عقله أن يذهب»^(٣٨١).

يبدو أن محاولة اغتيال قراسنقر الأخيرة جعلت جوبان يتهدد ويتوعد بالتنكيل بكل ما يمتّ للناصر محمد، وأنه سيقطع الصلح مع سلطان مصر، إلا أن قراسنقر أخذ يهدئ من روعه، وأخبره أنه بدأ في التعايش مع الفداوية كأمر مألوف؛ وأن الفداوي الأخير رآه أكثر من مرة في زيّ التجار، وكان ينفر منه حال رؤيته، فلما خرج من بين الناس عرفه جيداً، واحترز منه لذا طاشت ضربته^(٣٨٢) بما يوحي بأن قراسنقر تولدت لديه حاسة جديدة للحذر حرصاً على حياته.

أيقن الناصر أنه لا سبيل لاغتيال قراسنقر إلا بالتفاوض مع خان المغول بوسعيد بغية تسليمه، إلا أنه اصطدم بالصلح الذي عقده سلفاً مع المغول، ووافق على بنوده التي كان من بينها بند بعدم تسليم قراسنقر، غير أن تطور الأحداث ساعد الناصر على فتح باب المفاوضات مرة ثانية عقب إيوائه أحد كبار أمراء المغول المتمردين، ويدعى دمرداش داخل السلطنة المملوكية، وكان بعظم مكانة قراسنقر، غير أن المصادر تضاربت فيمن قدم العرض أولاً: هل خان المغول أبا سعيد أم السلطان المملوكي الناصر محمد؟ فالنويري والمقريزي ذكرا أن أبا سعيد هو الذي عرض على الناصر تسليم دمرداش حياً أو ميتاً مقابل أن يسلمه قراسنقر^(٣٨٣). بينما ذهبت بعض المصادر الأخرى إلى أن الناصر حين قدمت عليه رسل المغول في طلب الصلح اشترط عليهم أن يقوموا بتسليم قراسنقر مقابل حز رأس دمرداش^(٣٨٤)، وبالفعل استطاع الناصر أن يحزّ رأس دمرداش، ويرسلها إلى خان المغول أبي سعيد مع خطاب منه مخاطباً إياه قائلاً: «قد جهزت إليك رأس غريمك، فجهز لي رأس غريمي»، وهو يقصد الأمير قراسنقر^(٣٨٥). على أن الأقدار أتته على غير رغبته فحالما وصلت رأس دمرداش إلى أبي سعيد حتى توفي قراسنقر بمراغة -من عمل أذربيجان- ميتة طبيعية حتف أنفه بمرض الإسهال^(٣٨٦)، مما جعل الصفدي يعقب بأنه «كان يرى أخذ الأموال، ولا يرى إراقة الدماء، فحقن الله دمه، وأذهب ماله»^(٣٨٧).

على حين ذهب الرحالة ابن بطوطة إلى أن قراسنقر لم يمت ميتة طبيعية؛ فبمجرد أن وصلت إليه أخبار الاتفاق الذي حدث بين أبي سعيد والناصر، وأن رأس تمرتاش وصلت بالفعل إلى خان المغول الذي أمر بدوره بتسليم قراسنقر للملك الناصر؛ فما كان من قراسنقر إلا أن تجرع السم من خاتمه المجوف فمات في الحال^(٣٨٨). غير أن السخاوي ذكر أن موت قراسنقر كان قبل مقتل تمرتاش على يد الناصر^(٣٨٩).

على أية حال طلب أمراء المغول من أبي سعيد أن يحز رأسه ويرسلها إلى الناصر، إلا أنه رفض ذلك قائلاً: «إن الله أماته بأجله ولم أقتله أنا»^(٣٩٠)، على حين خالف ابن خلدون جميع المصادر بأن الناصر اشترط على أبي سعيد رأس قراسنقر، وأقر بأن المغول «قتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد في الأرض»^(٣٩١)، وهذا مناقض لما ورد بجل المصادر المملوكية.

حالما وصلت الأخبار إلى الناصر بموت قراسنقر ميتة لم تشف غليله وتُرضي شهوته تحسر قائلاً: «والله ما كنت أشتي يموت إلا تحت سيفي، وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودي، ولكن الرجل حصين ووهب الله له أن يموت على فراشه»^(٣٩٢).

لم تسلم وفاة قراسنقر من سرد الحكايات التي لا تخلو من المكاشفات والكرامات - كعادة المصادر - بهدف إضفاء هالة من التعظيم عليه؛ خير شاهد على ذلك القصة التي رواها الصفدي عن قيام أحد الشيوخ بعمل احتفال للمولد النبوي، ودعا إليه كبار الأمراء وبينهم قراسنقر، وكان من بين الحضور أحد الشيوخ المشهود لهم بالكرامات، فلما بدأ الحفل شرع قراسنقر في مد السماط للفقراء، وتقديم الطعام لهم، وتقطيع لحم الشواء بيده، وتولى خدمتهم بنفسه إلى آخر الحفل، فلفت ذلك انتباه الشيخ، فسأل عنه، ف قيل له إنه الأمير قراسنقر من كبار رجال الدولة، فأخبرهم الشيخ مستشرفاً

ومتنبئاً: «بأنه سيعيش سعيداً، وتنزل به في أواخر أيامه محنة، وسيخرج منها سالماً معافى، ويموت بسببها غيره، ولن يموت إلا على فراشه»^(٣٩٣).

في الوقت الذي اتفقت فيه أغلب المصادر المملوكية على وفاة قراسنقر في عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ببلدة مراغة؛ إلا أن المقريري وابن تغري بردي أثارا لدينا إشكالية ملغزة؛ حيث أوردوا وفاته في حوادث عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م كما هو الحال في جُلّ المصادر، ثم عادا وترجما لوفاة قراسنقر مرة أخرى في وفيات عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م، ولا نعلم حقيقة ما هي الأدلة والبراهين التي استندا إليها لوضع وفاته في ذلك العام، رغم أنهما ترجما له مسبقاً في حوادث عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م؛ فالمقريري حين عرض لوفاته في عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ذكر مناقضاً نفسه أنه توفي «قبل موت السلطان بيسير»^(٣٩٤) وما بين وفاته في هذا التاريخ ووفاة الناصر محمد ٧٤١هـ/١٣٤٠م حوالي ١٣ عاماً، وهذا ليس بيسير كما ذكر، أما ابن تغري بردي فزادنا غموضاً حين عقب على وفاته في عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م قائلاً: «وقد مر ذكر موت قراسنقر قبل هذا التاريخ، ولكن الظاهر لي أن الأصح المذكور هنا الآن من قرائن ظهرت»^(٣٩٥)، إلا أنه ضمن علينا بعدم ذكر تلك القرائن التي ترجح رأيه، وأغلب الظن أنه نقل عن المقريري دون نقد أو تمحيص، والمرجح أن المقريري وابن تغري بردي وقعا في خطأ تحديد وفاته نظراً لبعدهما الزمني عن عصر الناصر محمد، والثابت هو ما اتفقت عليه المصادر المعاصرة واللاحقة لعصر الناصر من وفاته عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م كابن الدواداري والذهبي والصفدي وغيرهم.

المحور السابع : أهم منشآت الأمير قراسنقر المعمارية والعمرانية:

أما أهم منجزات الأمير قراسنقر المعمارية فتحدثنا المصادر عن أنه اقتطع جزءاً من دار الوزارة حينما ولي نيابة السلطنة بمصر في سلطنة المنصور حسام الدين

لاجين، وبنى الربع^(٣٩٦) المقابل لخانقاه سعيد السعداء^(٣٩٧)، وعرف باسمه «ربع قراسنقر»، إضافة إلى مكتب لتعليم الأيتام^(٣٩٨).

أيضاً ورد من ضمن منشآت الأمير قراسنقر «رحبة» عرفت باسمه «رحبة قراسنقر»، وتقع في حارة بهاء الدين بجوار داره، ووضع بها حوض مياه تشرب منه الدواب^(٣٩٩). كما قام بتوسعة مقصورة المسجد الأموي في مدينة دمشق أثناء نيابته للسلطنة في فترة الناصر محمد الثالثة^(٤٠٠).

كذا هناك داره التي عرفت باسمه «دار قراسنقر»؛ التي أنشأها في حارة بهاء الدين بالقاهرة، وكانت محل سكنه، وصفها المقرئزي بأنها «إحدى الدور الجليّة»، وحينما تمت مصادرة أملاك قراسنقر عقب هروبه إلى الدولة المغولية، تم استخراج مبلغ اثنين وثلاثين مليون دينار، ومئة وخمسين ألف درهم من الفضة، عدا السروج المذهبة وغيرها من الأشياء التي حُملت إلى بيت المال، وظلت هذه الدار ضمن أوقاف المدرسة القراسنقرية إلى أن تم الاستيلاء عليها في سلطنة الناصر فرج بن برقوق في عصر دولة المماليك الجراكسة^(٤٠١)، ناهيك عن داره التي كانت بدمشق داخل باب الفراديس. والتي تسلمها أولاده من بعد وفاته عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م^(٤٠٢).

ناهيك من أن قراسنقر كان أول من فتح الباب على مصراعيه أمام الأمراء للعمارة والتشييد في ميدان القبق الذي أسسه الظاهر بيبرس بغرض ركوب السلطان وعمل المواكب السلطانية به، كما كان يستخدم سلفاً لسباق الخيل قبل أن يلحقه التدهور؛ فبدأ قراسنقر بعمارته فبنى به تربة عرفت باسمه «تربة قراسنقر»^(٤٠٣)، وبنى بها حوض ماء للسبيل يعلّوه مسجد، ثم سار باقي الأمراء على نهجه حتى امتلأ الميدان من كثرة العماثر^(٤٠٤).

كما ساعدتنا الاكتشافات الأثرية في العثور على مجموعة من الكتابات الأثرية التي تحمل اسم الأمير قراسنقر؛ منها نص تأسيسي بتاريخ ٦٨٤هـ/١٢٨٥م في أعلى محراب المسجد الجامع ب حلب، ورد فيه «بالإشارة العالية المولوية الأميرية الشمسية قراسنقر الجوكندار الملكي المنصوري كافل المملكة الحلبية المحروسة»^(٤٠٥)، وفي ظهر منبر هذا المسجد عثر على نص تأسيسي يعد من أقدم الكتابات الأثرية التي تتعلق بقراسنقر نظراً لخلو اسمه من لقب «النائب»^(٤٠٦)، كما وردت أيضاً كتابة مشابهة في عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م أعلى ظاهر البرج الذي يحمل القاعة الكبرى على صدر مطلع القلعة ب حلب ترجع إلى عصر الأشرف خليل بن قلاوون^(٤٠٧)؛ زد على ذلك نص تأسيسي لسبيل له في حلب، منقوش على لوح من الرخام من قسطل مقامات بتاريخ ٧٠٣هـ/١٣٠٣م خلال فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون الثانية^(٤٠٨).

ومن أبرز منشآت قراسنقر المدرسة القراسنقرية التي بناها عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وُسِّمَتْ أنها من «المدارس المليحة» وتقع بجوار خانقاه سعيد السعداء، ومجاورة أيضاً لربع قراسنقر الذي أنشأه، كذا تقع أيضاً فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر، وموقع تلك المدرسة والربع وخانقاه بيبرس الجاشنكير وجميع المنشآت التي في صفها إلى حمّام الأعسر، كان يقع ضمن نطاق دار الوزارة الكبرى^(٤٠٩).
لم يكتف قراسنقر بتشيد المدرسة فقط بل بنى بجوار بابها مسجداً معلقاً، ومكتباً لإقراء الأيتام القرآن الكريم، ورتب بها دروساً فقهية لتفقيه المسلمين في أمور الدين، ولضمان استمراريتها في أداء رسالتها، وقف عليها داره الكائنة بحارة بهاء الدين سالفه الذكر^(٤١٠).

ظل الوقف على تلك المدرسة مستمراً على قدم وساق في حياة قراسنقر، ثم في ذرية أولاده من بعده إلى أن انقطع النسل في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م في عصر دولة

الممالك الجراكسة، وذكر المقرئزي أنه شاهد البريدية القادمين من بلاد الشام لا ينزلون إلا بتلك المدرسة حتى يتهياً سفرهم، إلى عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م حيث تم إبطال تلك العادة^(٤١١).

ومن أبرز من درس بتلك المدرسة الحافظ الزين العراقي^(٤١٢)، عيسى بن عمر بن خالد المخزومي، وهو أحد الشيوخ الأجلاء الذين درسوا الفقه على يد شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام^(٤١٣)، والشريف شهاب الدين المعروف بابن قاضي العسكر والشهير بأبي الركب^(٤١٤)، والمؤرخ الصفدي الذي سمع العلم من أحد مشايخه في تلك المدرسة^(٤١٥)، وإبراهيم بن أبي بكر الشنويهي، وهو أحد الصوفية ممن سمعوا على ابن الجزري في مشيخة الفخر، وأخذ عنه كثير من الطلبة^(٤١٦)، ورمضان بن إسماعيل الزين المنوفي ثم القاهري^(٤١٧) ومحمد بن إسماعيل البغدادي ثم القاهري^(٤١٨).

اقتنى قراسنقر ثروة طائلة جعلت ابن حبيب يذكر عنه أنه: «حصل أموالاً وعقاراً كثيراً»^(٤١٩)، مما مكنه من شراء أعداد كبيرة من الممالك، تباينت المصادر في حصر أعدادها، فقليل ألف مملوك^(٤٢٠)، وقليل ستمئة مملوك^(٤٢١)، وقليل ثمانئة مملوك؛ وجميعهم عاشوا في رغد من العيش نظراً لما كان يقدقه عليهم من الخلع والإنعامات^(٤٢٢)، لذا ليس بغريب أنه حين وفد على الناصر بدمشق في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م كان ثلث الجيش الحلبي المصاحب له يحمل رنك^(٤٢٣) الأمير قراسنقر^(٤٢٤).

* * *

الخاتمة

الأمير قراسنقر في الميزان:

صفوة القول أن الأمير قراسنقر لعب دوراً حيوياً في الدولة المملوكية؛ له من الإيجابيات وعليه من السلبيات - كأي شخصية تاريخية - فبالنسبة للشق الإيجابي هو تمتع شخصيته بصفات أخلاقية ووظيفية طيبة أطنبت المصادر في الحديث عنها؛ كما أنجز خلال فترة حياته الكثير من الأعمال والمنشآت العمرانية من مدارس، ومساجد، ودور حسان، وترب، وأسبلة، ما خلدت اسمه في كتب التاريخ والآثار؛ ووجه جلّ عنايته بناية حلب خاصة التي مكث بها رداً طويلاً من الزمن؛ عمر فيه قلعتها ومسجدها، وأحسن إدارتها بحيث أحبّه أهلها وألفهم، وصارت حلب في عهده من أقوى خطوط الدفاع في مواجهة المغول.

زد على ذلك علاقته بمشاهير عصره العظام؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان قراسنقر يُجلّه ويُعظّمه، ويرسل له الرسائل التي يوضح له فيها مباركته إياه بصنيع أعماله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الله أرسله في هذا التوقيت لإحياء سنة الإسلام وتجديدها^(٤٢٥)، ناهيك عن وجود فريق من الشعراء ممن تغنوا بقراسنقر وصفاته النبيلة، واعتبروه في أشعارهم حامي حمى الإسلام^(٤٢٦)، كذا علاقته بالفقيه ابن الحداد الأمدي، الذي توطدت علاقته بقراسنقر، وبلغ منه منزلة عظيمة، فولاه نظر الأوقاف والخطابة بحلب، وحينما تولى قراسنقر نيابة دمشق قام بنقله إليها، وولاه خطابة جامعها في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م^(٤٢٧).

بل إن الأمير قراسنقر لعب دوراً كبيراً في محاربة المغول أنفسهم في كثير من المناوشات التي جرت بينهما، بحكم قربهم من خطوط النار مع هذا العدو، ويكفي على سبيل المثال اشتراكه في مواجهته المغول في معركة مرج الصفر المصيرية التي انتصر

فيها المماليك على المغول، وحموا العالم الإسلامي من هجماتهم البربرية التي أتوا فيها على الأخضر واليابس، ثم عاد قراسنقر ولعب دور البطولة مجدداً في مواجهة المغول في معركة من أشد المعارك شراسة، وهي معركة البليخ عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، التي واجههم فيها بجيش حلب دون الاستعانة بالجيش المملوكي المصري، وحقق عليهم نصراً مؤزراً استوجب توجيه خطاب شكر من الناصر محمد له على حسن صنيعه في تلك المعركة.

على أن إيجابيات قراسنقر اصطدمت على أرض الواقع بالعديد من السلبيات كان لها انعكاسات خطيرة على علاقته بالسلطان الناصر محمد، لعل أبرزها هو اشتراكه في عملية اغتيال الأشرف خليل الذي قُتل «أبشع قتلة»، مما جعل الناصر محمد لا ينسى مطلقاً دور قراسنقر في قتل أخيه، فظل يتلمس له الأخطاء بغية النقرة عليه، والانتقام منه، والثأر لأخيه، إلا أن قراسنقر استطاع بدبلوماسيته وسياسة البذل والبرطلة «الرشوة» أن يتجنب غضب السلطان عليه إلى حين.

غير أن كثرة الشكوى من قراسنقر جراء مظالمه وسياسة الرشوة التي انتهجها في توزيع وظائف الدولة المملوكية على مماليكه وأقربائه، حتى وسمه الذهبي صراحة بأنه كان «يرتشي ويجور»^(٤٢٨)، كان ذلك بمثابة القشة التي قصمت ظهره، وجعلت بعض قضاة حلب يتصدون له، ويخالفونه كثيراً في تحقيق أهدافه مثل قاضي القضاة محمد بن محمد بن بهرام^(٤٢٩)، كما جعلت سياسته هذه الناصر محمد يوبخه من أجلها، فكانت بداية القطيعة بين الطرفين، بالرغم من محاولة الناصر -ظاهرياً- طمأنته فإنه عقد العزم على التخلص منه، وقد أتت سياسة الرشوة التي انتهجها قراسنقر أكلها بأن بث العيون والجواسيس في بلاط الناصر يخبرونه بكل صغيرة وكبيرة، وهو ما أيقن معه أن وجوده داخل الدولة المملوكية معناه الاعتقال والتعذيب والقتل، لذا حاول بكل الطرق أولاً استجداء عطف الناصر، غير أن حالة

الوهم والشك التي سيطرت عليه، جعلته يفكر جدياً في عبور حدود الدولة المملوكية والدخول في طاعة خان المغول نجاة برأسه.

من وجهة نظرنا أن قراسنقر لم يرتكب جريمة كبرى بالدخول في طاعة خان المغول؛ فقد سبقه الكثير من أمراء الممالك في عهد المنصور قلاوون، وفي عهد الناصر نفسه، بيد أن من سبقه دخلوا أراضي الدولة المغولية كونهم كانوا جواسيس للمغول داخل الأراضي المملوكية، يكتابونهم ويطلعونهم على كل صغيرة وكبيرة، عكس قراسنقر الذي انقطعت به السبل في علاقته بالناصر، ولم يبق له إلا مغادرة الدولة نجاة بنفسه من القتل، زد على ذلك أن من سبقه من الهاربين إلى كنف خان المغول قد دخلوا في طاعته، والمغول يومذاك لم يعتنقوا الإسلام، أما قراسنقر فقد دخل في طاعة خان المغول المسلم، بعد أن اعتنق المغول على زمنه الإسلام.

وخير شاهد على ذلك أيضاً أن الناصر محمد نفسه حينما ضجر من سيطرة الأمير المظفر بيبرس الجاشنكير، والأمير سلار على تصرفاته، لجأ إلى أمراءه، وهددهم إن لم يخلصوه من تلك السيطرة فسوف يضطر إلى الهروب والدخول إلى الأراضي المغولية، والبقاء بها إلى أخريات حياته، فدخول أراضي المغول كان أمراً مألوفاً لأي من كبار الأمراء وحتى السلاطين.

منطقياً إنَّ من أهم الأسباب التي دعت الناصر إلى تسيير جيوش من الفداوية لاغتيال قراسنقر في دولة المغول هو الانتقام أولاً لما حل بأخيه الأشرف على يديه، وثانياً - وهو الأهم - أن قراسنقر كان من أكبر الأمراء الممالك قدراً، لسابق خبرته في إدارة الدولة المملوكية، ومعرفته بكل صغيرة وكبيرة فيها، وهو ما فطن إليه الناصر من أن وجود شخصية بحجم هذا الأمير داخل بلاط خان المغول هو بلا شك نقطة قوة للمغول وعامل سلبي للدولة المملوكية.

أما من ناحية المصادر المملوكية؛ فقد تباين رأيها في هذا الأمير؛ فأتى رأي بعضها متحاملاً عليه، واسماً إياه ورفقته بأبشع الألفاظ التي تبين أنهم من الكفرة المرتدين، وأنهم من الضالين المضلين، وهذا الرأي أتى من مؤرخي السلطة كابن الدواداري الذي عاش في كنف الناصر، ولا بد له- إرضاء لسيده- أن يظهر قراسنقر بالمظهر السيئ، ويظهر الناصر بمظهر السلطان الذي حاول بكل السبل إرضاء مملوكه إلا أنه كان جاحداً، غير أن هناك بعض المصادر التي انتقدت تصرفات قراسنقر بكل موضوعية، وأظهرت تعامله بالرشوة والظلم واقتنائه البطانة السيئة التي أفسدت دولته، وكانت سبباً في نقمة الناصر عليه.

وعلى النقيض وُجد فريق من المؤرخين كان حديثهم عن قراسنقر مملوءاً بالمناقب والكرامات والمكاشفات والصفات الجميلة، متغاضين تماماً عن سلبياته كالمؤرخ الصفدي الذي سعى بكل سبيل ممكن إلى سياسة التبرير والتماس الأعذار لقراسنقر فيما فعله من السلبيات؛ فأظهر أن ما فعله من هروبه إلى الأراضي المغولية كان سبباً منطقياً جراء تغت الناصر معه طلباً لرأسه، وهذا النوع من الكتابات غير مطلوب، كون الإنسان في طبيعته بشرياً يصيب ويخطئ، غير أنه من المرجح أن الصفدي قد ناله الكثير من إنعامات هذا الأمير إلى الحد الذي جعله يتغاضى عن سلبياته، ويكثر في الحديث عن مناقبه؛ خاصة إذا ما علمنا أن هذا المؤرخ كان من رواد المدرسة القراسنقرية التي أسسها هذا الأمير.

ختاماً إن الأمير قراسنقر -كغيره من كبار أمراء العصر المملوكي- كان من الشخصيات المؤثرة التي شكلت محور الأحداث في الدولة المملوكية وعلاقتها بالمغول على مدار ما يقارب نصف قرن من الزمان؛ له من الإيجابيات ما تغنت المصادر به، ورفقته إلى عنان السماء، وعليه من السلبيات ما جعل البعض الآخر ينقم عليه، ويخسف به الأرض.

الهوامش

(١) الأشرف خليل بن قلاوون: هو السلطان الثامن من ملوك الترك بمصر، ولد في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م. وبويع بالسلطنة دون رغبة والده المنصور قلاوون الذي فضّل عليه ابنه علاء الدين على إلا أنه توفي في حياة والده، ومات المنصور دون توقيع ولاية العهد للأشرف، وخُلد اسم الأشرف في التاريخ باسترداد آخر القلاع الصليبية إلى حوزة الدولة الإسلامية. وهي مدينة عكا عام ٦٩٠هـ، للمزيد انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢، ج ١، ق ١، ص ٣٦٥-٣٧٨.

(٢) كَتَبْنَا: هذا الاسم تترى يتكون من مقطعين، ومعناه: الثور الذي يدهشك، أو يدعو للدهشة، ويُمكن القول أن معنى كَتَبْنَا هو الثور المدهش، وهو من أمراء السلطان المملوكي المنصور قلاوون، وكان نائباً للسلطنة في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى، وبعد أن تم خلعها في المرة الأولى تولى كَتَبْنَا السلطنة في سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، ولقب نفسه بالملك العادل زين الدين، ووقع في أيامه غلاء شديد، وفناء عظيم، واستمر كَتَبْنَا سلطاناً حتى ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م حيث خُلع من السلطنة عندما كان في بلاد الشام عن طريق نائبه حسام الدين لاجين المنصوري الذي منحه نيابة صرخد، ثم في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون استقر في نيابة حماة في سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وظل بها لحوالي أربع سنوات حتى توفي في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م، وهو الوحيد من سلاطين المماليك الجراكسة الذي خُلع من السلطنة، ولم يُقتل، وقد قام بالعديد من الأعمال المعمارية سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ جدد فصوص الصخرة المشرفة، وعمارة السور الشرقي لمدينة القدس بالقرب من باب الرحمة «الذهب» في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، وهو الذي ابتدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين، وأكمل بناءها الناصر محمد بن قلاوون فنُسبت إليه، وبعض المنشآت على طريق الحَاجِّ المِصرِّي، وفي المدينة المنورة. للمزيد عن ترجمته وأهم آثاره انظر: المراغي، **تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة**، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط ٢، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٩٨١م؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج ٣، ص ٣٤٨؛ ج ٦، ص ٥؛ الكتبي، **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م، ج ٣، ص ٢١٨؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج ٨، تحقيق: قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٩، ص ١٩٣؛ ابن دقماق، **الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز البحث

العلمي، جامعة أم القرى، د. ت، ص ٣١٩-٣٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح محمد حسين شمس الدين، طبعة تراثنا عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ج ٤، ص ٤٣٢؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد وآخرين، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (١٩٥٨-١٩٦٩)، مج ٦، ص ٢١٤؛ المقرئ، الخطط المقرئية، مكتبة إحياء العلوم، لبنان ١٩٥٩، ج ٢، ص ٢٣٩، ٣٨٢؛ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٣٤، ج ١، ق ٣، ص ٨٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٠، ج ٨، ص ٤٧-٦٩، ١٦٤، ١٦٥؛ السيوطي، شد الأتواب في سد الأبواب، تحقيق: مصطفى عمار، المكتبة العربية القاهرة (ب.ت)، ص ٢٥٦؛ العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، الأردن ١٩٧٣، مج ٢، ص ١٥٩-١٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٨٦-٣٩٤؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: حمد محمد الجاسر، دار اليمامة، السعودية ٢٠٠٨ م، ج ٣، ص ١٦٩٨؛ الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، المدينة المنورة (ب.ت)، ص ٢٨٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت ١٩٨٦، ج ٦، ص ٥؛ البرزنجي، نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، ط ١، الناشر مكتبة الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٢٠٩؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠، ج ٢، ص ٧٢؛ دراسة حول رقبة شمعدان، مجلة المجلة، ع ١٤، القاهرة، فبراير ١٩٨٥ م، ص ٨٩-٩٥؛ وليم موير، تاريخ دولة الماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، سلسلة صفحات من تاريخ مصر (٢٥)، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٧١-٧٥؛ محمد الأشقر، نائب السلطنة في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧ م)، سلسلة تاريخ المصريين، ع ١٥٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩ م، ص ٢٧٥-٢٧٧.

Tsugitaka, «State and Rural Society in Medieval Islam: Sultans, Muqta's and Fallahun», Islamic history and civilization, Vol. 17, Leiden, 1997, p. 105-123; Petersen, A., Dictionary Islamic Architecture, Taylor & Francis e-Library, London and New York, 2002, p. 28.

(٣) ابن سباط، تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس ١٩٩٣، ص ٦١٣؛ ابن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت ١٩٩٩، ص ١٢٠. والجدير بالذكر أن العامة كانت تطلق عليه اسم (خدابنده) تحقيراً وتقليلاً من شأنه.

(٤) هم طائفة من الإسماعيلية الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق؛ ويعتقدون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه الأكبر إسماعيل، وليس ابنه موسى، ثم انتقلت في بني إسماعيل. وسُموا الفداوية لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه. ويسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية، وكانوا قديماً قد علت كلمتهم وقويت شوكتهم، واستولوا على عدة قلاع في بلاد الشام وبلاد فارس، وقضى هولاء على قلاعهم في فارس، كما حدّ صلاح الدين من نفوذهم وسطوتهم في بلاد الشام، ولهم مقدم يولي عليهم يطلق عليه «مقدم الفداوية» أو «شيخ الفداوية»، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ١٥٤-١٥٨.

(٥) بيبس الجاشنكير المنصوري: هو السلطان الحادي عشر من ملوك الترك المعروفة بدولة المماليك البحرية، والسابع من السلاطين الرق، والأول من الجراكسة، وحكم أقل من سنة، والجاشنكير: أصلها فارسي مركبة من لفظين، أحدهما: جاشنا بجيم في أوله، وهي الفارسية القريبة من الشين، ومعناها: الذوق، ولذلك يقولون فيمن يذوق الطعام «الشيشني»، والثاني كير، ومعناها: المتناول أي الذي يتذوق الطعام، وهي وظيفة في العصر المملوكي تُسمّى الجاشنكيرية، والجاشنكير هو المتحدث في أمر السمات مع الأستادار، ويتذوق الشراب قبل السلطان في الولائم، والأسمطة خوفاً من أن يُدس فيه سم أو غيره. ويساعده صغار الجاشنكيرية. للمزيد عن السلطان انظر: المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٤٩؛ السلوك، ج ٢، ص ٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٨٣٢٢٦، ج ٩، ص ٣-١٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٢٣-٤٣٥؛ وللمزيد عن الوظيفة انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢١، ٤٦، ج ٥، ص ٤٦٠؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣، ص ٨١؛ أنور الزناتي، مُعجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط ١، زهران للنشر، عمّان ٢٠١١م، ص ١٠٣؛

Yāsmīn 'Ādil Muhammad, *Al- Hawnaḡah in the Mamlūk Art*, Cairo 2007, P.34-42.

(٦) أورد ابن كثير وابن تغري بردي والعيني نادراً لقب «سيف الدين» مقترناً بقراسنقر، رغم ذكرهم له كثيراً في مواضع أخرى لقب «شمس الدين» والصواب ما ورد في المتن بناءً على ما ثبت في جلّ المصادر المملوكية حتى هؤلاء المؤرخين أنفسهم في كتبهم، انظر: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، القاهرة ١٩٩٩، ج١٨، ص٩٦؛ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، ج٩، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب والوثائق القاهرة ٢٠٠٢م، ص٤٧؛ **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م، ج٥، ص٩ على الترتيب.

(٧) ورد اسمه في المصادر كلمة واحدة متصلة «**قراسنقر**»، وأحياناً كلمتين منفصلتين «**قرا سنقر**»، وفي إشارة واحدة فقط أوردها ابن الوردي بأنه «**قره سنقر**» انظر: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦، ج٢، ص٢٧٩. ومعنى هذا الاسم هو الصقر الأسود، وحالما هرب قراسنقر إلى الدولة المغولية اختار له المغول اسم «**آقسنقر**» لأنهم لا يحبون السواد، ويتطيرون منه. انظر، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٨.

(٨) الجوكندار: وظيفة تتألف من لفظين فارسيين، الأول جوكان بمعنى العصا المنحنية أو المحجن الذي تضرب به الكرة أو عصا البولو، ويعبر عنه أيضاً بالصولجان، والثاني دار من المصدر داشتن، بمعنى مسك، وبذلك يكون المعنى الكلي ممسك العصا، وكان اسم الجوكندار يطلق على موظف مهمته حمل الجوكان للسلطان أثناء لعبته الكرة والصولجة أو البولو، وقد عرفت هذه الوظيفة قبل عصر المماليك، واستمرت في العصر المملوكي، وتولاها العديد من أمراء المماليك الذين أصبح لهم شأن في السلطنة المملوكية، وصارت لهم إنجازات معمارية تدل على عظم مكانتهم مثل قراسنقر وأسرة آل ملك، للمزيد عن هذه الوظيفة وأبرز من تولاها وأهم أعمالهم المعمارية انظر: **القلقشندبي، صبح الأعشى**، ج٥، ص٤٥٨؛ **الفاسي، العقد الثمين**، ج٣، ص٢٠٨؛ **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة**، تحقيق: مصطفى محمد حسن، مكتبة نزار مصطفى، الرياض ١٩٩٧، ص١٦٢؛ **المقريزي، السلوك**، ج٢، ق٣، ص٧٢٣؛ **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥، ص١٢٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج١٠، ص٧٢، ٨٣، ٩٦-٩٧؛ ابن فهد، **إتحاف الوري بأخبار أم القرى**، دار المدني، جدة ١٩٨٢، ج٣، ص١٧٦، ١٧٧، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٣؛ ابن

الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عبد الحميد العدوي، موسوعة مكة والمدينة (٤)، ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٩٦م، ص ٩٧، ١٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٩٩-٥٠٠، ٥٠٧؛ العلمي، الأنس الجليل، مج ٢، ص ٨٣؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٨، ج ٢، ص ٣٩٢ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ١٢٤٩، ج ٢، ص ١٣٧٨-١٣٧٩؛ السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت والولاية والحرم، تحقيق: جميل عبد الله المصري، السعودية ١٩٩٨، ج ٢، ص ٣٥١-٣٥٢؛ عارف العارف، تاريخ القدس، دار المعارف القاهرة ١٩٥١، ص ٩١؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٥٧-١٩٦٦م، ج ١، ص ٣٧٤؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٥م، ص ١٤٣؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢١، ١٩٧٤م، ص ٦٨، ٧١، ٧٥، ١٠٥ حاشية (٢٤)؛ على بن إبراهيم غبان، الآبار السلطانية بوادي الزريب بالوجه، مجلة العصور، مج ٥، ع ٢، دار المريخ، لندن، يوليو ١٩٩٠م، ص ٢٦٤؛ ابن جنيد الساعاتي، الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، كتاب الرياض، العدد (٣٩)، مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض ١٩٩٧م، ص ٣٣.

Petersen, A. D., A Gazetteer of Buildings in Muslim Palestine, Part 1, British Academy Monographs in Archaeology 12, New York, 2001, p. 288-289.

(٩) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة عطا، عين للدراسات التاريخية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٧٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠، ج ٢، ص ١٥٩؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٨٧.

(١٠) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد الهند ١٩٧٢، ج ٤، ص ٢٨٧.

(١١) ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣، ج ٢، ص ١٨٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٩، ص ٤٨.

(١٢) مفردها حياصة، وهي الحزام الذي يُشد به الثوب، وكان يختلف باختلاف رتبة الأمراء؛ منها ما هو مصنوع من الذهب المرصع بالفصوص، ومنها ما هو غير ذلك، انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، ص ١٣٤؛ البقلي، **التعريف بمصطلحات**، ص ١١٢.

(١٣) الكلاوت مفردا كلوته، وهي غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة وتسمى أحيانا كلفتاه، وكان أمراء الدولة الأيوبية يلبسون الكلاوتات الصفراء بدون عمامة، ثم استحدثت الكلاوتات المزركشة، وأضيف إليها الشاش، ثم استجد الناصر محمد بن قلاوون العمام الناصرية للمزيد. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٣٩؛ البقلي، **التعريف بمصطلحات**، ص ٢٨٨.

(١٤) المَزْرَكْشَة : وترد أيضاً الزرْكشة، وهي عملية تطريز الحرير بأسلاك الفضة الخالصة والفضة الملبسة بالذهب بدلاً من الخيوط العادية المستخدمة في التطريز، والزَرْكَش هو الحرير المنسوج بالفضة والأصع بالذهب؛ لأنه مركب من زر أي ذهب ومن كش أي ذي. للمزيد انظر: السيد أدي شير، **مُعجم الألفاظ الفارسية المعربة**، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٠م، ص ٧٨؛ عاصم محمد رزق، **مُعجم مُصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٦٠.

(١٥) الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق علي أبو زيد وآخرين، بيروت ١٩٨٨م، ج ٤، ص ٩٨؛ المقرئ، **الخطط المقرئية**، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ، ج ٤، ص ٢٤٣.

(١٦) المقرئ، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣؛ **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧، ج ٣، ص ٣٢٧.

(١٧) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٨٧.

(١٨) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٨٨.

(١٩) ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٤، ص ٢٨٧.

(٢٠) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٨٩؛ **الوافي بالوفيات**، ج ٢٤، ص ١٥٩.

(٢١) ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج ٢، ص ٣٨.

(٢٢) ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٢٨٠.

- (٢٣) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٨.
- (٢٤) ابن الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩ الموسوم «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر»، تحقيق: هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني بالقاهرة ١٩٦٠، ص٢٧٠.
- (٢٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٨: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٦٥.
- (٢٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٣٣٥.
- (٢٧) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٥٩.
- (٢٨) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٦١.
- (٢٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٦١: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٧.
- (٣٠) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٦٠.
- (٣١) تذكرة النبیه، ج٢، ص١٨٣: المنهل الصافي، ج٩، ص٤٨: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج٢، القاهرة ١٩٨٣م، ترجمة رقم ١٨٤٩، ص٥٣٩.
- (٣٢) سير أعلام النبلاء «الجزء المفقود وتامم السير»، ج١٧، تحقيق: سيد حسين العفاني، خيرى سعيد، المكتبة الوقفية القاهرة (ب.ت)، ص٥٤٠.
- (٣٣) تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٠: البداية والنهاية، ج١٨، ص٣٠٤.
- (٣٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٨٩: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٥٩.
- (٣٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٨٩: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٥٩: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٧.
- (٣٦) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٢٧.
- (٣٧) الساقى: وظيفة شاع ظهورها على الآثار العربية، وكانت تهيئاً لصاحبها فرصة الترقى والوصول إلى أعلى المناصب، وكانت مهمة الساقى في العصر المملوكى مد السماط وتقطيع اللحم، وسقي المشروب بعد رفع مائدة الطعام، وهذه الوظيفة من الوظائف الخطيرة فقد يقوم صاحبها بدس السم في الشراب لسيده، لذا حذرت المصادر السقاة من خيانة ساداتهم بدس

السم لهم، كما حذرتهم من تقديم المشروبات المحرمة شرعاً، واتخذ الساقى شعاراً له تميز به كان على هيئة الكأس، وبعض من تولى وظيفة الساقى ارتقى إلى منصب السلطنة كالعادل كتبغا والمؤيد شيخ. انظر للمزيد: السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، القاهرة ١٩٤٨م، ص ٣٧؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٥، ص ٤٥٤؛ **ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر**، القاهرة ١٩٠٦م، ص ٣٤٢.

(٣٨) الأوجاقية أو الأوشاقية كانت مهمتهم في العصر المملوكي العناية بالخيول وركوبها للسير والرياضة؛ لذا سُموا أحياناً «أوجاقية الإسطبل»، وهم يتبعون الأمير أخور، وقيل أن أوشاق لفظ فارسي معناه «غلام»، وكانت تلك الطائفة تركب وراء السلطان في أسفاره مع حملة السلاح، وكما كان للسلطان أوجاقيته، كان الأمراء أيضاً يسيرون ومن ورائهم الأمير أخور، ومعه الجنائب الأوشاقية. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٦١؛ **ضوء الصبح**، ص ٣٤٢.

(٣٩) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ٢٤، ص ١٥٩؛ أعيان العصر، ج ٤، ص ٨٩؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٤، ص ٢٨٧.

(٤٠) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج ٩، ص ٤٧؛ **الدليل الشافي**، ج ٢، ص ٥٣٩، وأمير منة هي مرتبة حربية عادة ما تقرن بلقب مقدم ألف، فيقال أمير منة مقدم ألف، ويكون في خدمة صاحبها منة مملوك، وهو في نفس الوقت مقدم في الحرب على ألف جندي من أجناد الحلقة، وأصحاب هذه الرتبة من أعلى مراتب الأمراء. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٢٨، ٥٠-٥١، ٦٣-٦٧.

(٤١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج ٩، ص ١٣.

(٤٢) أمراء العشرات: هم الطبقة الثالثة من طبقات الأمراء، وهي مرتبة حربية يكون في خدمة صاحبها عشرة مماليك من الفرسان، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة، مثل والي القسوطا، وشاد الدواوين، والي القرافة، وشاد العمائر، شد الخاص، شد الأوقاف، وشاد مراكز البريد، وهم عادة من طبقة أمراء العشرات. للمزيد انظر: الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٧٣-٧٤؛ **القلقشندي**، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٨، ٢٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٢٦، ٢١٩، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ج ٥، ص ٤٥٦، ج ٩، ص ١١٤، ج ١٢، ص ١١٥، ٣٠٦-٣٠٨؛ الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، نشر بولس راويس،

باريس ١٨٩٤م، ص ١١٣؛ محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر المماليك (٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦م)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١م، ص ٣٣٦، حاشية (٧)؛ محمود نديم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٣هـ/١٢٥٠-١٣٨٣م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٠٣؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صُبح الأعشى، ص ١٩٥؛ سند عبد الفتاح، نظام البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة بأداب عين شمس القاهرة ٢٠٠٠، ص ٨٧-٨٨؛ الزناتي، مُعجم مصطلحات التاريخ، ص ٤٣.

(٤٣) أمراء الخمسات: هم من طبقة الأمراء التي تتكون من أربع طبقات: الأولى أمراء المئين مقدّمو الألوف، الثانية أمراء الطبلخاناه، الثالثة أمراء العشرات، والرابعة وهم أمراء الخمسات، وهم أقل من القليل خصوصاً بالديار المصرية، وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم، وهم في الحقيقة كأكابر الأجناد، للمزيد انظر: القلقشندي، صُبح الأعشى، ج ٤، ص ١٥؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صُبح الأعشى، ص ٤٣؛ الزناتي، مُعجم مصطلحات التاريخ، ص ٤٢.

(٤٤) السلوك، وفيات ٧٢٨هـ

(٤٥) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٢، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، ص ٤٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٨٤.

(٤٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٨.

(٤٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦١.

(٤٨) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٠١؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٦٨؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٤٢؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٧، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٦، ص ٢٠٩.

(٤٩) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٩، ص ٤٧؛ الدليل الشافي، ج ٢، ص ٥٣٩.

(٥٠) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٣١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٣هـ، ج ٢٧، ص ٤٣٣؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار

البشر، ج ٤، المطبعة الحسينية القاهرة (ب.ت)، ص ١٦: النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج ٣١، تحقيق: نجيب مصطفى، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت (ب.ت)، ص ٨٧، ١٥١، ١٧٤: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج ١، ص ٧٣: العيني، **عقد الجمان**، ج ٢، ص ٢٩١، ٣٢٢، ٣٦٨، ٣٧٩: ج ٣، ص ٢٢: ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج ٥، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت ١٩٨٨، ص ٤٦٣: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج ٩، ص ٤٧: ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٦٠: ج ٨، ص ٥٨، ٩٦: ثم عاد وذكرها المقرئ في ضمن حوادث عام ٦٨٢هـ كما ابن الفرات أيضاً في تاريخه، غير أن الثابت في معظم المصادر المعاصرة لتلك الفترة أن تاريخ تقليده إياها كان في عام ٦٨١هـ، انظر: المقرئ، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٠: ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٧٦.

(٥١) **صبح الأعشى**، ج ١٢، ص ١٤٩.

(٥٢) بيبس الدوادار، **زبدة الفكرة**، ص ٢٣١: النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣١، ص ٨٧، ١٥١، ١٧٤: أبو الفدا، **المختصر**، ج ٤، ص ٢٦: ابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٤٥٨: المقرئ، **السلوك**، ج ٢، ص ١٦٢، ١٧٤، ٢١٧: ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٧، ص ٢٥٠.

(٥٣) أبو الفدا، **المختصر**، ج ٤، ص ٢٦: النويري، **نهاية الأرب**، ج ٣١، ص ٢٢٣: العمري، **مسالك الأبصار**، ج ٢٧، ص ٤٦٠: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج ١، ص ١٤٠: العيني، **عقد الجمان**، ج ٣، ص ٨٠: ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٢٢٩: المقرئ، **السلوك**، ج ٢، ص ٢٣١: ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج ٨، ص ١٢٩-١٣٠: ذكر الجزري عمارة القلعة دون أن يذكر أي دور لقراسنقر في عمارتها، انظر الجزري، **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه**، ج ١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٨م، ص ٦٧. اللافت للنظر ما ذكره ابن دقماق في حوادث عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م من أن الظاهر بيبس أمر بعمارة جميع القلاع التي قام هولاءكو بتدميرها، وأخذ يُعَدُّ أسماءها مثل قلاع دمشق والصبيبة وبعلبك والصلط وصرخد وعجلون وبصرى وشيزر وحمص وشميميش، إلا أنه لم يشير إلى قلعة حلب من قريب أو بعيد. انظر: **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تحقيق: سمير طيارة، بيروت ١٩٩٩، ص ٢٧٦.

(٥٤) حسام الدين طرنطاي: تولى نيابة السلطنة للسلطان المنصور قلاوون سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، وظل نائباً للسلطنة طوال فترة قلاوون وبعد وفاته، وقبض عليه الملك الأشرف خليل سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وهي سنة وفاته، وقد شيد حسام الدين العديد من المنشآت المعمارية، منها مدرسة بناحية درّب سعادة، ودار بشارع الحمزاوي، وكان له فندق، وكلها اندثرت، وبُني بسطر على طريق البريد من القاهرة إلى غزّة، وذلك في المسافة التي بعد رفع، ثم ترك ونقل المركز إلى السلقة «خان يونس». للمزيد انظر: بيبرس الدوادار، **مختار الأخبار**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٨٥-٩١، ٨٨؛ العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٨م، ص ٢٤٧؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٦، ٤٦، ج ١٤، ص ٣٧٨؛ المقرئ، **الخط**، ج ٢، ص ٣٨٦؛ السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٧٥٧؛ حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٣١١؛ الأشقر، نائب السلطنة المملوكية، ص ١٢٢، ٣٠٠-٣٠٤، ٣١٢، ٣٢٥-٣٢٨، ٣٢٦.

Combe, **Reperétoire Chronologique d' Epigraphie Arabe**, T. XIII, ifao, Le Caire, 1936, XIII, p. 80, n°. 4917.

(٥٥) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٨٩؛ **الوافي بالوفيات**، ج ٢٤، ص ١٥٩؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٢٢٩؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج ٤، ص ٢٨٧.

(٥٦) قيل أيضاً الكحتا والكختا، وهي قلعة في أقصى الشمال الشرقي لحلب، يحدها غرباً ملطية، وشرقاً بلدة كركر، انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ١٢.

(٥٧) أبو الفدا، **المختصر**، ج ٤، ص ١٨؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج ٢٧، ص ٤٣٨؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج ١، ص ٨٠.

(٥٨) بيبرس الدوادار، **زبدة الفكرة**، ص ٢٨٩؛ ابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٤٦٣.

(٥٩) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٨٩؛ **الوافي بالوفيات**، ج ٢٤، ص ١٥٩. صارت العلاقة بين قراسنقر والوزير ابن السلعوس مضرباً للمثل؛ فيقال أن قراسنقر تقرب من الأشرف بهدية عظيمة، وحينما سأله الأشرف: لأي غرض هي؟ أجابه بأن وزيره متربص به، و«خير لي أن يأكلني السبع ولا يأكلني الكلب». انظر: اليوسي، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ج ١،

تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر عبد القادر، المغرب ١٩٨١م، ص ١٥٣.

(٦٠) الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ١٥٩.

(٦١) النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٣٩؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٧؛ البرزالي، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، ج ١ ق ٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المطبعة العصرية، بيروت ٢٠٠٦م، ص ٢٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٥٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان (١٩٩٤-٢٠٠٢م)، ص ١٣؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١١٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ١٥٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج ١، ص ١٥٣؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٢٧، ص ٤٦٨؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٢٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧؛ المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ٨٩؛ كتاب المقفى الكبير، ج ٢، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م، ص ٤٨٥؛ ج ٣، ص ٧٩٧؛ السلوك، ج ٢، ص ٢٣٤؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٢، ١٥٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٩، ص ٤٧، أخطأ ابن خلدون في نسبة قراستقر لأستاذة المنصور فالحق اسمه هنا «بالظاهري» والصواب «المنصوري»، انظر ابن خلدون نفس الجزء والصفحة.

(٦٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٣.

(٦٣) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٠.

(٦٤) كلمة تتألف من ثلاثة مقاطع، «أمير» العربية، و«جان» الفارسية والتركية ومعناها الروح، و«دار» الفارسية ومعناها ممسك، والمعنى الكلي لها (الأمير الممسك للروح)، وكان له الإشراف على الزردخانه وهي أشبه بالسجون والمعتقلات، وكان يتولى تنفيذ عقوبة القتل حسب رغبة السلطان، ومن هنا جاء اسمه الممسك للروح، كما كانت وظيفته الاستئذان لدخول الأمراء على السلطان للخدمة وأيام الموابك والجلوس بدار العدل، ومن مهامه أيضاً تقديم البريد للسلطان، وغالباً كان صاحبها يحمل رتبة أمير منته مقدم ألف أو أمير طبلخانه، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦١؛ المقرئ، الخطط، ج ٣، ص ٣٦٠-٣٦١؛ أحمد عبد الرازق، الجيش المصري في

العصر المملوكي، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩٩؛ الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ١٩٦-١٩٧؛

Ayolon , *Stuudies on the Structure of the Mamluk Army* , BSOAS, 16
1954 p.63

(٦٥) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٠.

(٦٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧.

(٦٧) تجريدة : من مجرد، والجردة، والجمع تجريدات، وهي دوريات منتظمة تقوم بمتابعة الثغور لمنع القراصنة من الأعداء في البحر، وهي أيضاً بمعنى فرقة من الجيش تكون من الخيالة لا راجلة فيها، ويقصد بها الفرقة التي تكون خفيفة الحركة لدفع خطر طارئ، وهي التي كانت تقوم بالرباطة في الثغور البحرية خلال العصر المملوكي. للمزيد انظر: القُلُقَشَنَدِي، صُبْح الْأَعَشَى، ج ١١، ص ٩٣؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢١٧؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات صُبْح الْأَعَشَى، ص ٧٣، ٨٤؛ محمد أحمد دهمان، مُعْجَم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت ١٩٩٠، ص ٤٢؛ الزناتي، مُعْجَم مُصطلحات التاريخ، ص ٧٩.

(٦٨) النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٤٠؛ ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٨ الموسوم « الدرّة الزكية في أخبار الدولة التركية»، تحقيق: أولرخ هارمان، المعهد الألماني بالقاهرة ١٩٧١م، ص ٣٣٨؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١١٠؛ المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ٢٤٠؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٢.

(٦٩) مرسوم: مفرد والجمع مراسيم، وهي الأوامر الصادرة سواء تشييد عمائر، أو إعفاء من المكوس والضرائب... إلخ. للمزيد عن المراسيم الوثائقية والحجرية انظر: نصر عوض حسين، دراسات في المراسيم الصادرة عن سلاطين دولة المماليك البحرية والجراسكة «الرُخامية والحجرية»، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط ١٩٨٩م، ص ١-٣٣٠.

(٧٠) الأمراء المقدمون: هم على درجات، فهناك مقدم خمسة، ومقدم عشرة، ومقدم مئة، ومقدم ألف تحت قيادتهم ألف من أمراء المئتين، ولكل وظيفة من الوظائف السلطانية والعسكرية مقدم، فهناك مقدم المماليك وهم المماليك السلطانية التي تولاهم قراسنقر من الأشرف خليل. للمزيد انظر:

الْقَلْقَشَنَدِي، صُبْح الْأَعْشَى، ج ٣، ص ٤٥٠، ج ٤، ص ١٤؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات صُبْح الْأَعْشَى، ص ٣١٩-٣٢٢؛ الزناتي، مُعْجَم مُصْطَلَحَاتِ التَّارِيخِ، ص ٤٢، ٤٣.

(٧١) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٤٥، ٣٥٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٤، ٤٧١؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٣٠؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٢٣٥؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٤٥، أما الممالك السلطانية: فينقسمون إلى طبقتين: الطبقة الأولى الممالك السلطانية، وهم أعظم الأجناد شأنًا، وأرفعهم قدرًا، وأشدّهم إلى السلطان قربًا، وأوفرهم إقطاعًا، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة، أما الطبقة الثانية فهم أجناد الحلقة، مشتريات السلطان وجلبانه، وما تبقى عنده من ممالك من سبقه في السلطنة، ومربّياتهم جميعًا من ديوان الفرد، وهو الديوان الذي نشأ خلال العصر الفاطمي. للمزيد انظر: الْقَلْقَشَنَدِي، صُبْح الْأَعْشَى، ج ٣، ص ٣٥٧، ج ٤، ص ١٥-١٦، ج ١١، ص ١٧٣؛ المقرئ، الخطط، ج ١، ص ١٥٣؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٧٣، ج ٣، ص ٤، ١٦؛ الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ١، ص ٢٦؛ نديم، الفن العربي، ص ٢٢٣؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات صُبْح الْأَعْشَى، ص ٣٢٢؛ الزناتي، مُعْجَم مُصْطَلَحَاتِ التَّارِيخِ، ص ٣٧٤.

(٧٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٦٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٢٤٥؛ الخطط، ج ٤، ص ٤٣، ٢٤٠؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٦٧؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت)، ص ٣٠.

(٧٣) أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٠؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٠. الجدير بالذكر أن الصفدي نقل تلك القصة عن المؤرخ ابن فضل الله العمري الذي أخذها من لسان أئبك مملوك الأمير بيسري الذي كان بصحبة قراسنقر ولاجين في حادثة اغتيال الأشرف خليل بن قلاوون، إلا أن تلك الحادثة غير موجودة في مؤلفي العمري «مسالك الأبصار» و«التعريف بالمصطلح الشريف»!!.

(٧٤) زبدة الفكرة، ص ٣١٢؛ عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٠١-٢٠٢ على الترتيب.

(٧٥) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٥٤.

(٧٦) أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ٦٣.

(٧٧) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥، وانظر المزيد عن اغتيال الأشرف خليل في : ابن حجر، الدرر الكامنة، ٤٢٧ : المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٤٠؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص١٩١-١٩٢.

(٧٨) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٦٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥٢، ص١٨٢؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص١٩٢-١٩٣؛ المقرئزي، المقفي، ج٢، ص٥٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢١؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٧٠.

(٧٩) ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج١، ص١٦٧؛ البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٦٣.

(٨٠) ابن الدوادري، كنز الدرر، ج٨، ص٣٤٧؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص٩١؛ المقرئزي، السلوك، ج٢، ص٢٤٦؛ المقفي، ج٣، ص٨٠١؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٦٧، ذكر البرزالي رواية القتل دون أدنى ذكر لقراسنقر، انظر: المقففي، ج٢ق٢، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٨١) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٦٨.

(٨٢) أعيان العصر، ج٤، ص٩٠؛ الوافي، ج٢٤، ص١٦٠.

(٨٣) ابن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ١٩٩٧م، ص٢١٧.

(٨٤) الحواصل: جمع ومفردها حَاصِل، له معان عدة، فهو المخزن، أو الحانوت أسفل أو داخل الأبنية التجارية، وهو المقصود هنا بحالة قراسنقر، وله معنى آخر هو خزان المياه الذي يمد أحياء المدينة بالمياه، وله دلالات عديدة في العمارة الإسلامية. للمزيد انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، القاهرة ١٣٤٤هـ، ج٣، ص٣٦٨-٣٦٩؛ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق يوسف خياط، نديم مرعشلي، بيروت ١٩٥٥م، ج٢، ص٤٨٧-٤٨٨؛ رزق، مُعجم مصطلحات العمارة، ص٧١-٧٢.

(٨٥) بيبس الدوادار، زبدة الفكرة، ص٣١٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٦٩؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص١٩٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٧٣؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص٣٢.

(٨٦) النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٧٠؛ ابن الدوادري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٥٠؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٩٦؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢١٤؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٧١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٢٢.

(٨٧) كان مع لاجين وقراسنقر وقت هروبهما مملوكان لخدمتهم، وظلا ملازمين لهما لحين خروجهما من مخابئهما.

(٨٨) عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٣٩؛ ج ٤، ص ٤٣.

(٨٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٥، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م، ص ٦٨٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٠-٩١؛ المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ٤٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٦؛ نذر لاجين، وهو خائف يترقب في منارة جامع أحمد بن طولون إن نجاه الله من القتل فسيقوم بعمارة المنارة والجامع، انظر: المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ٤٣؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٣٩.

(٩٠) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٣٩.

(٩١) بيبس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٢٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٧٨؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٣٨؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٢٥٥؛ الخطط، ج ٤، ص ٢٤٠؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٤.

(٩٢) أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٨؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٥.

(٩٣) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ١٦٧.

(٩٤) ابن الدوادري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٥١؛ الصفدي، أعيان، ج ٤، ص ٩١؛ الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ١٦٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧. ويبدو أن وجود لاجين وقراسنقر في بيته قد شاع في أوساط الأمراء بدليل ما ذكره الذهبي والجزري من أن أحد الأمراء سأل كتبغا في موكله: أين حسام الدين لاجين، فقال: ما هو عندي، قال: بل هو عندك، ثم مدّ يده إلى سيفه فبادره الأزرق مملوك كتبغا فضربه بسيفه، ثم ذبحه بسوق الخيل، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٥، ص ٦٨٨؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٩٧ على الترتيب.

(٩٥) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٢٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٣١؛ المقرئزي، الخطط، ج ٤، ص ٤٣، ص ٢٤٠-٢٤٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ١٨٤.

(٩٦) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٦٧..

(٩٧) عقب معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بدأ توافد المغول في جماعات إلى الدولة المملوكية طلباً للجوء السياسي، وقد أحسن سلاطين دولة المماليك استقبالهم وتوطينهم في أحياء القاهرة، وأجروا عليهم الإقطاعات والأرزاق خاصة بعد اعتناقهم الدين الإسلامي، وظل هذا التوافد منذ عصر بيبرس وخلفائه من سلاطين دولة المماليك، والجدير أنه كان يُفصل بينهم طبقاً لشريعتهم «الياسا». للمزيد عنهم انظر: المقرئزي، الخطط، ج ٣، ص ٤٣-٤٤؛

Ayalon, D., The Wafidia in the Mamluk Kingdom, Islamic Culture, 25 (1951), pp.89-104

(٩٨) البرزالي، المقتفي، ج ٢، ص ٤٣١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: تدمري، ج ٥٢، ص ٤٠؛ ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٦٢، ٣٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٨٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٨؛ المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٦٠؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٨٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٠٤؛ حياة ناصر الحجي، دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، مؤسسة الصباح، ط ١، الكويت ١٩٨٥، ص ١٠٤-١٠٥.

(٩٩) الدِّهْلِيْز "Vestibule. Corridor. Passage souterrain": ما بين الباب والدار، تعريب دهله ومعناه القنطرة والعقدة، وأثاريًا هو الممر الواصل ما بين فتحتي باب، وكذلك يُطلق على الممرات التي تكون في باطن أسوار القلاع، وفي باطن الأرض. ويُطلق كذلك على أماكن الانتظار في القصور الفخمة. للمزيد انظر: المقرئزي، السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٧٠١؛ شير، مُعْجَم الألفاظ الفارسية، ص ٦٨؛ رزق، مُعْجَم مصطلحات العمارة، ص ١١٠، شكل (١٠٢).

(١٠٠) قرية بين أرسوف والرملة من أرض فلسطين انظر، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٩٧٩م، ج ٤، ص ١٦٧؛ البغدادى، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٥م، ج ٢، ص ٩٧٠.

(١٠١) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٦٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٩؛ المقرئ، الخطط، ج ٣، ص ٤١٧؛ ج ٤، ص ٢٤١؛ السلوك، ج ٢، ص ٢٧٥؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣١٢، ٣٤٥؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢١؛ حياة الحجي، دراسات في تاريخ سلطنة المماليك، ص ١١٦-١١٨.

(١٠٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١م، ص ٢٩٥؛ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥٢، ص ٥٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٣١٥؛ العمري، مسالك الأبصار، ج ٢٧، ص ٤٧٨؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٣، تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، بغداد ١٩٧٧، ص ٢٢٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩١، ١٦٨؛ ج ٥، ص ٧٩؛ الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٥٣؛ ج ٢٤، ص ١٦٠، ص ٢٩٠؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٩؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص ١٠٠؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧؛ المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ٢٤١، ٢٤٣؛ السلوك، ج ٢، ص ٢٧٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ١٩٤؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٢٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٨٧، ١٠٠؛ المنهل الصافي، ج ٩، ص ٤٧؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص ٣٨.

(١٠٣) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٣٨؛ التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٨٧م، ص ١٤٩؛ ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٦٩؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، تحقيق حسن إسماعيل مروة، تقديم محمود الأرنؤوط، بيروت ١٩٩٩م، ص ١٩٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩١؛ الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٣٣٩؛ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق: زيترشتين، ليدن ١٩١٩م، ص ٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٦٩؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج ٢، ص ١٢٢؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ٨، ص ٢٣٢؛ ابن حبيب، درة الأسلاك في دولة الأتراك، (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٧٠ تاريخ)، ج ١، ورقة ١٣٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٤٦.

(١٠٤) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج٨، ص٣٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٢٥؛ أبو الفدا، المختصر، ج٤، ص٣٧؛ البرزالي، المقتفي، ج١ق٢، ص٥٢٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٤٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٦٩٨؛ المقرئ، الخطط، ج٤، ص٤٣-٤٤، ٢٣٨-٢٤١؛ السلوك، ج٢، ص٢٨٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٧؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤١٠؛ المقرئ، المقفي، ج٢، ص٣٢٥؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص٢٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٨٨؛ عادل زيتون، تاريخ المماليك، ط٧، جامعة دمشق ٢٠٠٠، ص٥٤.

(١٠٥) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٤٥؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٢٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٠٩؛ ذكر الجزري وابن الفرات تلك الحادثة دون ذكر اسم قراسنقر الذي كان ممسكاً بالوتر لخلق لاجين، انظر: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص١٢١؛ تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٤٦؛ على الترتيب، كما ذكر ابن دقماق أن جميع الأمراء الذين حكم عليهم بالإعدام بالوتر قد ماتوا، ولما هموا بأخذ جثثهم لدفنها وجدوا لاجين ما زال حياً، فنالته شفاعة السلطان الناصر دون ذكر أي دور لقراسنقر. انظر: النفحة المسكية، ص٩٠.

(١٠٦) أعيان العصر، ج٤، ص٩١؛ الوافي، ج٢٤، ص١٦٠-١٦١.

(١٠٧) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٩٥.

(١٠٨) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٦١؛ المقرئ، الخطط، ج٤، ص٢٤١.

(١٠٩) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٦١-٣٦٢. الجدير بالذكر أن كاتب قراسنقر تم ضربه وتعذيبه حتى مات وفقاً لتوصية منكوتر الذي أمر بأن يعاقب «عقوبة الموت»، انظر: المقرئ، السلوك، ج٢، ص٢٨٠؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٦٤، ٤٣٥.

(١١٠) المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣٠٤؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٣٤.

(١١١) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٣٥.

(١١٢) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٦٣، ٤٣٥.

(١١٣) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٣٥.

(١١٤) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص٣٥٣؛ أبو الفدا، المختصر، ج٤، ص٤٠، ٤٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٢٧، ص٤٨٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥٢، ص٦٦؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٣، ص٢٧١؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩١؛ الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٧١١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٣٨؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص١٠٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٧٢؛ المقرئ، الخطط، ج٤، ص٢٤١؛ السلوك، ج٢، ص٣١١؛ المقفي، ج٢، ص٣٢٥؛ ج٧، ص١٦٦؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٥٢، ٤٥٣.

(١١٥) الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٤٣٩؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٣١٤.

(١١٦) البرزالي، المقتفي، ج٢، ص٥٩٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٤١٠؛ ج٣١، ص٣٧٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥٢، ص٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٧١١؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٧٢، ٤٨٨؛ المقرئ، الخطط، ج٤، ص٢٤١؛ السلوك، ج٢، ص٣١٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٧؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٨٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبوة، ج١، ص٢١٤؛ ويذكر الصفدي أنه تقلد نيابة حماة بعد العادل والصواب ما ورد بالمتن على لسان المؤرخ أبي الفدا المعاصر لتلك الأحداث انظر: أعيان العصر، ج٤، ص٩١؛ الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٦١؛ وقارن ذلك بما ورد في: المختصر، ج٤، ص٤٢، والطريف أنه كان أول نائب مملوكي يتولى حكمها.

(١١٧) المختصر، ج٤، ص٤٢.

(١١٨) أبو الفدا، المختصر، ج٤، ص٤٢.

(١١٩) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٠؛ والخَزَنْدَارِيَّةُ أو الخازندارية: من خزن دار مركب من خَزَن أي الخزانة العربية التي يُحفظ فيها المال، ومن دار فارسية أي الممسك أو الحافظ، ومن ثمَّ مُسمى الوظيفة إجمالاً في اللغة ممسك أو العربية حافظ الخزانة أو حافظ الخزانة، والخزانة "Armoire" اسم الموضع الذي يُخزن فيه الشيء. والخزانة عمل الخازن،

والمخزن، بفتح الزاي: ما يُخزن فيه الشيء. والخزانة: واحدة الخزائن. أُطلقت هذه اللفظة على مكان حفظ الأشياء بأنواعها المختلفة، وكذلك تصنيعها، ومنها جاء اصطلاح مخزن، كما أُطلقت على قطعة الأثاث التي تحمل حديثاً هذا المعنى. واستعملت بدلها أحياناً لفظة خزنة لتدلّ على المفهوم نفسه، ولعل من أهمها في التاريخ العسكري كانت خزنة السلاح "Arsenal. Magasin d'armes"، ومعناها الترسانة، وهي التي تُسمّى قاعة السلاح، ولعل أهمها بالساحل قاعة السلاح بدمياط والإسكندرية. وخزانة الكتب تعني المكتبة، وخزانة الطب معناها الصيدلة، وتعني أحياناً المستودع، أو المَصْنَع، كخزانة البنود، والكسوة في العصر الفاطمي، وخزانة الكعبة المشرفة. والخازندار هو متولي الخزنة، وهو المسؤول والمتحدث في الأموال السلطانية من نقد وقماش وغيرها. ومنها خزنة شميل أي سجن شميل يُوجد في القاهرة بالقرب من باب زويلة، وهو سجن من العصر الفاطمي. للمزيد انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٨٨-٨٩؛ القَلْقَشَنَدِي، صُبْحُ الْأَعَشَى، ج ٣، ص ٢٨٤، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٧٣-٤٧٤، ٤٨٦-٤٩٧، ٥٠٠؛ ج ٤، ص ٢١، ٣٠، ١٩١، ٢٧٧؛ ج ٥، ص ٤٦٢، ١١، ١٦٩، ٤٢١؛ المقرئزي، الخطط، ج ١، ص ٤٣٣؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١١٥؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات، ص ١١٧-١٢٠؛ نبيل عبد العزيز، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٣، القاهرة ١٩٧٦م، ص ١١٠؛ البقلي، التعريف بمُصطلحات، ص ١١٣؛ شير، مُعجم الألفاظ الفارسية، ص ٥٤؛ الزناتي، مُعجم مُصطلحات التاريخ، ص ١٣٥.

- (١٢٠) أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٤٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٠-٢٤١.
- (١٢١) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٧٣؛ أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٤٠٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٠؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩١؛ الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ١٦١؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٧٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧؛ المقرئزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٤١؛ العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٢٠٧، ١١٩، ٧٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٩، ص ٤٧.
- (١٢٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٢٩، يبدو أن الجمع بين النيابتين كان مؤقتاً حيث أصدر الناصر مرسوماً بتولي كتبغا نيابة حماة في نفس العام.

(١٢٣) **صبح الأعشى**، ج ١٢، ص ١٤٩. وانظر النص الكامل من نسخة تقليد قراسنقر لنيابة السلطنة بحلب من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ١٢، ص ١٤٧-١٥١.

(١٢٤) **أبو الفداء المختصر**، ج ٤، ص ٤٥، ٤٦؛ **ابن الوردي**، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٢٤١؛ **ابن خلدون**، **العبر**، ج ٥، ص ٤٧٨؛ **المقريزي**، **السلوك**، ج ٢، ص ٣٣٦.

(١٢٥) **بيبرس الدوادار**، **زبدة الفكرة**، ص ٤٠٣؛ **النويري**، **نهاية الأرب**، ج ٣٢، ص ٣١؛ **ابن حبيب**، **تذكرة النبيه**، ج ١، ص ٢٤٦؛ **الفيومي**، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان** (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ)، ج ٧، ورقة ١٤٣؛ **المقريزي**، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤١؛ **المقفي**، ج ٧، ص ١٨١؛ **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٤، ص ٢٣٢-٢٣٣؛ **ابن تغري بردي**، **النجوم**، ج ٨، ص ١٥٩.

(١٢٦) **بيبرس الدوادار**، **زبدة الفكرة**، ص ٤١١.

(١٢٧) **أبو الفداء المختصر**، ج ٤، ص ٥١-٥٢؛ **النويري**، **نهاية الأرب**، ج ٣٢، ص ٩٧؛ **ابن الوردي**، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٢٤٦؛ **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٤، ص ٣٠١.

(١٢٨) **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٤، ص ٤٢٤؛ **الفيومي**، **نثر الجمان**، ج ٧، ورقة ١٦٧.

(١٢٩) **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ١٤-٢٠.

(١٣٠) هو أشبهه بجهاز المخابرات في العصر الحالي وكانت إدارة الجواسيس والقصاد خاضعة تحت ديوان الإنشاء، وكان المشرف عليهم هم الدوادار، ونشط ذلك الجهاز في ذلك العصر للمد الأجنبي الذي اجتاحت العالم الإسلامي ممثلاً في المغول والصليبيين من جهة، وجراء النزاع بين أمراء المماليك بعضهم البعض من جهة أخرى. للمزيد عن ذلك النظام أنظر:

Amitai, R., **Mamluk Espionage among Mongols and Franks**, AAS, XXII, 1988, P.174-189.

(١٣١) **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٠-٢٢.

(١٣٢) **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٢-٢٤.

(١٣٣) **اليزك**: هو رئيس العسس، ومن يراقب من مضى، فيتبعه، فارسيته يزك أي مقدمة الجيش، وتُطلق أيضاً على الحارس والجاسوس. وهي فرقة استطلاع في الجيش الأيوبي. للمزيد انظر:

النَّابُلُسي، الحقيقة والمجاز، ص ١٦٩، ١٧٠؛ علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٤، تقديم: جمال محرز، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة (١٩٦٩-٢٠٠٦)، ص ١٤٥؛ شير، مُعْجَم الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٦٠؛ صلاح البحيري، المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين، مجلة المؤرخ العربي، س ١٦، ع ٤١-٤٢، بغداد ١٩٩٠م، ص ١٠٧-١٢٣.

(١٣٤) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٤.

(١٣٥) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٤، ٢٥.

(١٣٦) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧.

(١٣٧) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(١٣٨) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٢٣٦، ٢٣٧؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الممالك في مصر والشام، دار النفائس القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٥٤.

(١٣٩) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٥٧-٥٨، ٦٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١؛ طقوش، تاريخ الممالك، ص ٢٥٤.

(١٤٠) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٢؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦١.

(١٤١) وأحياناً تطلق أستاذ أو أستاذ الدار أو أستاذ دار أو أستاذ الدار، واختلف العلماء في أصلها فمن قائل بأنها فارسية مركبة من «أستاذ» بمعنى الأخذ، ودار بمعنى ممسك، فيكون المعنى «ممسك الأخذ» أو «متولي قبض المال»، وهناك من يرى أن الكلمة أصلها أستاذ بمعنى السيد الكبير، والدار بمعنى البيت، ومن اختصاصاته في العصر المملوكي الإشراف على البيوت والخزانات كلها من مطابخ وشرابخانة وأمر الحاشية والغلمان وتجهيز سرحدات وأسفار السلطان، للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٧؛ الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٤٠، ٣٩، ٤٤.

(١٤٢) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٨٠.

(١٤٣) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٧٥.

(١٤٤) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١١١.

- (١٤٥) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٨٠.
- (١٤٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٤٠؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص ٤٤.
- (١٤٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٤٢.
- (١٤٨) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٠٨-١٠٩.
- (١٤٩) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٠٩، ١١٠.
- (١٥٠) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١١٠، ١١١، ١١٥، ١١٦.
- (١٥١) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٢٩.
- (١٥٢) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩١-٩٢؛ البرزالي، المقتفي، ج ٢، ص ٤٣٦؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦١؛ مفضل ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر: بلوشيه، بجليكا ١٩٨٥، ص ١٥٦ ضمن دورية، Patrologia Orientalis، T.١، ١٩٨٥، P.١٥٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٨٧؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٢٦٨، روى ابن الدواداري أن قراسنقر في ذلك اليوم «حمل الغاشية بين يدي مولانا السلطان»، وهي السرج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس، وفي الغالب تكون مطلية بالذهب بحيث يُخيل أنها كلها مصنوعة من الذهب، وكانت تُحمل بين يدي السلطان في المواكب السلطانية والحفلات، وهي من مقومات الملك.. انظر: ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٧٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٧؛ البقلي، التعريف بمصطلحات، ص ٢٥٤.
- (١٥٣) أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٥٦، ٥٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٤٨، المقرئ، الخطط، ج ٤، ص ٢٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٥٨.
- (١٥٤) الخطّارة: كانت هناك الخطّارة الكبرى، والخطّارة الصغرى، وقد دثرت الكبرى، أما الصغرى فلا تزال تحتفظ باسمها حتى اليوم، وقد أقيم مشروع للاستصلاح الزراعي باسمها. للمزيد عن الخطّارة انظر: العُمريّ، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٤٦-٢٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٧٦-٣٧٧؛ ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، المطبعة الأهلية، القاهرة ١٨٩٨ م، ص ٧٦؛ محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ق ١، ص ٥٤-٥٥.

(١٥٥) ابن الدوادري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ١٨١، ١٨٢، ١٨٣.

(١٥٦) البريدية: جمع ومفردها بريدي، ضمن نظام البريد، وهو المسافة التي يقطعها حامل الرسائل في يوم واحد، وهو مسافة معلومة مقدارها اثنا عشر ميلاً مقدرة بأربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أبردتم إلى بريدا فاجعلوه حسن الهيئة حسن الوجه». وقد اختلف المؤرخون في أصله، هل هو عربي من برد إذا ثبت لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار، أم فارسي الأصل ومعرب من بريده دم بمعنى مقصوص الذنب، أم أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية الأصل «Verdus» بمعنى الخيل، على أية حال البريد مساحياً هو بيت القصيد هنا، فهو يساوي عشرين ميلاً عند ابن الفقيه، واثنى عشر ميلاً عند الفاكهي والقلقشندي، ومن ثم البريد يساوي حوالي سبعة فراسخ تقريباً عند ابن فقيه، وأربعة عند الفاكهي والقلقشندي، والميل يساوي أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعاً وعشرين أصبغاً، وعند القدماء اثنين وثلاثين أصبغاً، والإصبع ست حبات شعير مضمومة بطون بعضها إلى بعض، وقيل الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسل، وتكون بذراع المساحة، وهي الذراع الهاشمية، وهي ذراع ورع بالمرسل تسعة آلاف ذراع وستمئة ذراع، وقد قدره كرلونينو بحوالي ٥٩١٩ م، والميل يساوي ١٩٧٣ م، أي أن البريد بالكيلو مترات حوالي ٢٤ كيلو متر. للمزيد عن البريد ووحده القياسية ومراكزه وتنظيماته انظر: الفاكهي، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٢، دار خضر، مكة المكرمة ١٩٩٤ م؛ ج ٥، ص ٥١-٥٣؛ الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨ م، ص ٢٤؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج ١، ص ٥٣؛ ابن الطقطقي، **الفخري في الآداب السلطانية**، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٢٣ م، ص ٧٩؛ **العُمريّ، مسالك الإبحار في ممالك الأمصار**، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤ م، ج ١، ص ٢٣؛ **القلقشندي، صبح الأعشى**، ج ١٤، ص ٣٦٦-٣٨٥؛ **المقريزي، أتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق محمد حلمي محمد، القاهرة ١٩٧١ م، ج ٢، ص ٣٤ من المقدمة؛ **الظاهري، زبدة كشف الممالك**، ص ١١٩؛ نعمان أنطوان، **كتاب الطائر الغريد في وصف البريد**، مطبعة المقتطف، مصر ١٨٩٠ م، ص ٨؛ هيئة التحرير، **تقريظ كتاب الطائر الغريد في وصف البريد لنعمان أفندي أنطوان**، مجلة المقتطف، س ١٥، ج ١٢، بيروت سبتمبر ١٨٩١ م، ص ٨٣٣-٨٣٥؛ وزارة المواصلات المصرية، **تاريخ البريد في مصر**، المطبعة البريدية، القاهرة

١٩٣٤م، الخَريطة: جاستون فييْت، المواصلات في مِصر في العصور الوسطى، ترجمة محمد وهبي، في كتاب «في مِصر الإسلامية»، أخرجه زكي محمد حسن وعبدالرحمن زكي، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة ١٩٣٧م، ص ١٢؛ نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مِصر للطباعة، القاهرة ١٩٥٣م، ص ٢٠؛ جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٦٨م، ج ٧، ص ٦٢٥؛ صالح موسي درادكه، البريد وطُرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام مارس ١٩٩٠م، إعداد عدنان محمد البخيت ومحمد يونس عبادي، عمّان ١٩٩٢م، ص ١٩١-٢١٠؛ طلال الرفاعي، نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٦م؛ عباس حسن، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية»، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، سبتمبر ١٩٩٩م، ص ٣٩؛ سند عبدالفتاح، البريد في عصر دولة سلاطين المماليك، ص ١٥-١٨؛ فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، ط ٢، عمادة شؤون المكتبات، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠١م، ص ٨٢، ٩٤، ٩٥؛ ابن أرشيد يوسف، الحضارة الإسلامية، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٤م، ص ١٢٥؛ محمد صبحي حلاق، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكايل والأوزان والنقود الشرعية، ط ١، مكتبة دار الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٧م، ص ٤١-٤٧، ٥٠-٥٧، ٦٢-٦٦، ٧٠-٧١.

Sauvaget, J., «Un relais du Barîd Mamelouk», Extrait des Mélanges Gaudetfroy-Demombynes, Le Caire, 1935, p. 41-48; **La Poste aux Chevaux dans l'Empire des Mameloukes**, Paris, 1941, p. 1-100, figs. I-VIII; Tavernari, C., «Les routes du Bilād al-Šām au bas Moyen Âge», L' émoi de l' histoire, 32, Paris, 2010, p. 92-94, fig.1

(١٥٧) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١١٢.

(١٥٨) المقرئزي، المقفي، ج ٢، ص ٥٤٩.

(١٥٩) المقرئزي، المقفي، ج ٢، ص ٣٣٦.

- (١٦٠) المقرئزي، **المقفي**، ج٧، ص١٩٤-١٩٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٨، ص٢٥٩.
- (١٦١) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٨، ص٢٣٩.
- (١٦٢) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٨، ص٢٤٥.
- (١٦٣) **العيني**، **عقد الجمان**، ج٥، ص٩٧.
- (١٦٤) يبدو أن الناصر محمد لعب على جميع الأطراف بالوعود، فأرسل إلى برلغي خطاباً يبشره فيه بنبابة السلطنة بمصر ومنحه إياها، ويغريه بالعطايا الجزيلة، انظر: **العيني**، **عقد الجمان**، ج٥، ص١٤٠.
- (١٦٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٨، ص٢٧٣؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص٥٠.
- (١٦٦) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٩، ص٢٧.
- (١٦٧) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج٩، ص١٩٥؛ البرزالي، **المقفي**، ج١٢ق١، ص٤٤٤، ٤٤٩؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧، ص٥٠٣؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج٤، ص٥٨؛ **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج٤، ص٩٢؛ ج٥، ص٩٢؛ **الوافي بالوفيات**، ج٤، ص٢٥٩؛ ج٢٤، ص١٦١؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٨، ص٩٢؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج٢، ص٢٠؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٢٤٩؛ مفضل بن أبي الفضائل، **النهج السديد**، ص١٦٨؛ المقرئزي، **السلوك**، ج٢، ٤٤٥؛ **الخطط**، ج٤، ص٢٤١؛ **المقفي**، ج٢، ص١٨٨؛ ص٢٤٠؛ **العيني**، **عقد الجمان**، ج٥، ص١٥٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٩، ص١١؛ سرور، **دولة بني قلاوون**، ص٤٩؛ طقوش، **تاريخ الممالك**، ص٢٦٠.
- (١٦٨) انظر نص وثيقة التقليد كاملاً في **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج٤، ص٣٣٣-٣٣٧.
- (١٦٩) **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج٤، ص٣٣٣.
- (١٧٠) **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج٤، ص٣٣٦.
- (١٧١) **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج٤، ص٣٣٥.
- (١٧٢) **الخَفَرَاء**: وقيل الغفراء والغفير، **والخَفَرَاء** **والخَفَرُ**، بالتحريك: شدة الحياء، **وَحَفَرُ** الرجل، **وَحَفَر** به وعليه **يَحْفَرُ حَفْرًا**: أضجاره ومنعه وأَمْنُهُ، وكان له خفيراً يمنعُه. وخفَره: استجار به

وسأله أن يكون له خفيراً. والخفير: المجير، فكل واحد منهم خفير لصاحبه، والاسم من ذلك كله الخُفْرَة، والخَفَارَة، والخُفَارَة الأمان. والخُفْرَة أيضاً: الخَفِير الذي هو مجير. قال الليث: خَفِير القوم مجيرهم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده. وهم حراس غير نظاميين كان يتم تعيينهم من قبل شاذ المنطقه، وأهم طوائف هذه الطبقة العُربان، فقد كان عربان مِصْر والشام يسجلون أحياناً في الديوان، وتقطع لهم أرض في مِصْر والشام. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٥٤-١٥٥؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة المماليك ورسومهم، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٤٠-١٤١؛ حصة ناصر المبارك، الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عصره (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤١م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٧م، ص ٦٦؛ دهمان، مُعجم الألفاظ التاريخية، ص ١١٦.

(١٧٣) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٩٨.

(١٧٤) العائد: أو العائد بعين مهملة في أوله، فالف، فياء مهموزة، فذال مُعجمة، ويستعمل بين عامة الناس بالمهملة العائد، وهو اسم لخطه من مديرية الشرقية بجوار الجبل الشرقي في شمال بلبس، وجنوب الصوّة، وشرقي بردين. وهم يمنيون في الأصل، وبطن من بطون كهلان، نزلوا مِصْر في أوائل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وهم فخذ من جذام، ومن أشهر عائلاتهم المناصرة، وأولاد أباطة بالشرقية. للمزيد عن قبائل العائد انظر: العُمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين»، دراسة وتحقيق دُوروتيا كرافولسكي، ط ١، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٨٧-١٨٨؛ ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١١؛ القَلْقَشَندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٣٣؛ ج ٤، ص ٢٨٤-٢٨٥؛ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٦٤-٦٥؛ المقرئ، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م، ص ٧٢؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٤، ص ١٩-٢٨؛ ص ٥٠؛ نعوم شقير، تاريخ سينا القديم والحديث، إشراف: أحمد زكريا، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٠٨-١٠٩.

(١٧٥) رَفَحَ: عُرفت عند الفراعنة باسم روبيهوى، وعند الآشوريين رفيحو، وعند الكنعانيين رفيا، وعند اليونانيين رافيا، وعند العرب رَفَحَ من قرون البقر أو اسم رجل عُرفت به وسُبت إليه، وهي منزل

في طريق مِصْر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد إلى مِصْر، وصفها المهلبى فقال: مَدِينَةٌ عامرة فيها سوق، وجامع، ومنبر، وفنادق، وأهلها من لحم وجذام، ولها والى معونة برسمه عدة جند. ذكرها أبو عبيد الله البكري حيث قال: «رَفَح: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وقد يفتح، بعده حاء مهملة. موضع بالشام معروف، وفي حديث كعب: إن الله - عز وجل - بارك في الشام من الفرات إلى العَرِيش، وخص بالتقديس من فحص الأُرْدُن إلى رَفَح». وجعلها ياقوت الحموي لغةً بفتح أوله، وآخره حاء مهملة، واصطلاحاً أول الرمل، وكانت زمن ياقوت خراب. وكانت ولا تزال رَفَح ضمن المراكز العمرانية في القسم الشمالي من شبه جزيرة سَيْنَاء الذي يُسَمَّى الجِفَار، والجِفَار فيه خمس مدن كما ذكرها العُمَرِيُّ حيث قال: «الْفَرَمَا، والبَقَارَة، والْوَرَادَة، والعَرِيش، ورَفَح. والجِفَار كله رمل، وإنما سُمِّي جِفَاراً لشدة المشي فيه على الناس والدواب لكثرة رمله وبعُد مراحل. والجِفَار تحفر فيه الإبل وغيرها فتتهلك فاتخذ له هذا الاسم. والبَقَارَة من البقر، والْوَرَادَة من الورود، والعَرِيش أخذ من العرش...، ورَفَح اسم رجل نسب إليه المكان». وقيل اسم رَفَح من قرون البقر الأرفح الذي يذهب قرناه قبل أذنيه. وهي محطة من محطات طريق البريد، والطريق السلطاني. وتقع إلى الشرق من مَدِينَة العَرِيش على مسافة ٤٦ كم، على الحدود الدولية لمِصْر فيما بين مِصْر وغزة، وعلى مسافة ٣٨ كم من مدينة غَزَة، ومسافة ١٣ كم جنوب خَان يونس. للمزيد انظر: ياقوت، مُعْجَم البلدان، مج ٣، ص ٥٤-٥٥، دار الكتب العلمية، ج ٣، ص ٦٢؛ ابن دقماق، الانتصار لواءسطة عقد الأمصار في تاريخ مِصْر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت (ب.ت)، ج ٥، ص ٥٣؛ مسالك الأبصار، تحقيق تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص ٩٤-٩٥؛ القَلْقَشَنَدِي، صُبْح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٧٨؛ المقرئ، الخطط، ج ١، ص ١٨٤، ١٨٩، ٢١٠؛ شقير، تاريخ سينا، ص ١٧٥-١٧٩؛ رمزي، القاموس الجغرافي، ج ٢، ص ٤٦٣؛ أحمد فخري، تاريخ شبه جزيرة سَيْنَاء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام، موسوعة سَيْنَاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٨٣؛ محمد محمد شراب، مُعْجَم بلدان فلسطين مُذِيل بملحق مُعْجَم قبائل وحمائل وعائلات فلسطين، ط ٢، المطبعة الأهلية، عَمَّان ١٩٩٦م، ص ٤١٣-٤١٤.

Tsafrir, Y., DiSegni, L., Green, J., *Tabula imperii romani, Iudaea, palaestina, Jerusalem*, 1994, p. 212.

(١٧٦) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ١٩٨.

(١٧٧) النجّاب: مفرد وجمعها نجابون، والنجاء السرعة، وناقة ناجية، ونجاة: سريعة. وهو ما يأتي بالخبر المستعجل على الهجن، وعادةً ما يكون من العرب لدرايتهم بالدروب والمسالك المختصرة، وخفة جمالهم وسرعتها، فهناك نجابة كانوا على دروب الحجاج. وكان ملوك الزنكيون - على حد علمي - أول من اتخذوا النجابة كوسيلة من وسائل الاتصال. وكان للنجابة رئيس يُسمّى مقدم النجابة. للمزيد انظر: ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق: أحمد حطيط، فيسبادن ١٩٨٣، ص ٤٧؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٤٧٤، ج ٩، ص ٤٢-٤٣؛ **القلقشندي**، **صبح الأعشى**، ج ١١، ص ١٦٩، ج ١٤، ص ٣٧؛ **الظاهري**، **زبدة كشف الممالك**، ص ١٢٦؛ **الخالدي**، **كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، مخطوط رقم (٢١٠٣١ ز)، ورقة ١٠٢-١٠٣؛ محمد بطاينة، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، عمان ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٥٢؛ **سند عبدالفتاح**، البريد، ص ٩٤-٩٥.

(١٧٨) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ١٩٨-١٩٩.

(١٧٩) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ١٩٩.

(١٨٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ١٩٩-٢٠٠؛ **مفضل**، **النهج السديد**، ص ١٧٠.

(١٨١) بلبيس: بكسر الباءين، وسكون اللام، وياء، وسين مهملة، واختلف الكتاب العرب وترددوا في نطقها وضبطها، استمد اسمها من الاسم القبطي "phelbés"، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، أي بما يساوي ٣٠ ميلاً، حوالي ٦٠ كيلو متر، فُتحت في سنة ١٩هـ/٦٤٠م على يد عمرو بن العاص، وبفضل موقعها احتلت أهمية كبيرة في العصر الإسلامي، وأصبحت قصبّة كورة الحوف الشرقي التي تشغل الآن منطقة شرق الدلتا، ونظراً لوقوعها على طريق الغزو والحملات الخارجية فقد كانت مبانيتها دائماً تحاصرها الجيوش الغازية لمصر، كما أنها تقع على طريق البريد، وظلت إلى وقت قريب عاصمة إقليم الشرقية إلى أن حلت محلها في خلال القرن التاسع عشر مدينة الزقازيق، وبلبيس الآن أحد مراكز محافظة الشرقية. للمزيد انظر: المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ليدن ١٩٠٦م، ص ١٩٥-١٩٦؛ ابن الطوير، **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، فرانكس شتاين شتوتغارت ١٩٩٢م، ص ٦٠، حاشية (٣)؛ **ياقوت**، **معجم البلدان**، ج ١، ص ٥٦٧؛ **أبو الفداء**، **تقويم البلدان**، تحقيق **رينود**، ماك كوكين، باريس ١٨٤٠م، ص ١١٨-١١٩؛ **ابن دقماق**، **الانتصار**، ج ٥، ص ٥١؛

المقريزي، الخطط، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٣٤؛ البغدادى، مراصد الإطلاع، ج ١، ص ٢١٦؛ النابلسي، الحقيقة والمجاز، تحقيق: أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٧٨.

(١٨٢) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٠٠.

(١٨٣) قام والد المؤرخ ابن الدواداري قد جهز لاستقبال قراسنقر وصحبته حوالي عشرين خروفاً، وخمسين طائراً من الدجاج متنوعة الطبخ ما بين شواء ولبن وغيرها. انظر: ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٠١.

(١٨٤) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(١٨٥) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣؛ أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٥٨-٥٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٢، ص ٧٣؛ ج ٤، ص ٩٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٥٠؛ المقريزي، المقفي، ج ٢، ص ٥٥٣-٥٥٤؛ الخطط، ج ٤، ص ٢٤١؛ ابن حجر، الدرر، ج ٢، ص ٤٧؛ العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٥٠.

(١٨٦) بلدة من نواحي الجفار أي رمل مصر على الطريق المصري - الشامي، رمزي، القاموس الجغرافي، ق ١، ص ٦٦.

(١٨٧) وردت العديد من التفسيرات لكلمة العَرِيش منها عَرُش البئر: طيها بالخشب. وعرشت الركبة أعرشها وأعرشها عرشاً طويتها من أسفلها قدر قامة بالحجارة، ثم طويت سائرها بالخشب، فهي معروشة، وذلك الخشب هو العرش، فأما الطي فبالحجارة خاصة، وإذا كانت كلها بالحجارة، فهي مطوية وليست بمعروشة، والعرش ما عرشتها به من الخشب، والجمع عُرُوش. والعَرُش: البناء الذي يكون على فَم البئر يقوم عليه الساقى، والجمع كالجمع. قال ابن بري: والعَرُش على ما قاله ابن الجوهري بناءً يبنى من خشب على رأس البئر يكون ظللاً، فإذا نُزعت القوائم سقطت العروش. وعَرُش الكَرَم: ما يُدْعَمُ به الخشب... والعَرِيش: شبه الهودج تقع فيه المرأة على بغير وليس به، والعرش من أسماء مكة المكرمة حيث سُميت بيوتها العَرِيش، لأنها عيدان تنصب وتظلل. للمزيد انظر: ياقوت، مُعجم البلدان، مج ٤، ص ١٠٠، ١١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٧٤-١٧٦؛ الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى الراغبي، ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٨١-

٨٢: المقرئزي، الخطط، ج١، ص١٨٩: يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، الكتاب الأول، ط١، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٣م، ص٢٠٤.

(١٨٨) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج٩، ص٢٠٥، ومن هذا الشعر الغنائي:-

فراق الأخلا كالزجاج إذا انشطي عسى فيكمو لي من يداوي كسورها
عسى فيكمو أو منكمو لي مساعد فقد بلغت الأرواح منا نحورها
وسود الليالي ما وفت بعهودها ألا بشروا الأعدا بباقي سرورها
وكم ملك الدنيا ملوك كواسر غدوا وتولى غيرها في قصورها
ولا بد ما يغتالنا غامق الثرى وتطبق ذا الدنيا علينا قبورها

(١٨٩) ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص٢٧٤.

(١٩٠) المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٤٢: السلوك، ج٢، ص٤٤٨-٤٤٩: ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص٢٧٤.

(١٩١) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص٤٤٨: المقفي، ج٢، ص٥٠٦: ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص٢٧٤.

(١٩٢) أعيان العصر، ج٤، ص٣١٨.

(١٩٣) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج٩، ص٢٠٨: مفضل ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص١٩٤.

(١٩٤) المختصر، ج٤، ص٥٩-٦٠.

(١٩٥) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٤٣٠: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٨.

(١٩٦) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩١، ١٩٣.

(١٩٧) الخطط، ج٤، ص٢٤٢: وانظر أيضاً: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٦، ص١٦٤.

(١٩٨) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩٥.

(١٩٩) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص١٩٥.

(٢٠٠) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢٠١) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠٠.

(٢٠٢) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠١.

(٢٠٣) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٩٣.

(٢٠٤) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢١١؛ البرزالي، المقتفي، ج ٢ ق ٢، ص ٥؛ اليافعي،

مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٤، حيدر آباد ١٣٣٨هـ، ص ٢٥٠؛ مفضل، النهج السديد،

ص ١٩٦؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٩، ص ٤٧؛ العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ١٩١

٢٤٧؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص ٥١.

(٢٠٥) أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٦٣.

(٢٠٦) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٤؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٢.

(٢٠٧) المنازل مفردها منزل، وهي محطات ثانوية قد يُوجد بها مياه أو لا تُوجد، والهدف من هذه

المنازل الاستراحة لوقت قصير، وهناك فرق بينها وبين المناهل ومفردها منهل، وهي محطات على

الطُرُق البرية الكبرى تشتمل على قلاع وخانات وبرك للمياه وأبار أو عيون للمياه دائمة الجريان

اسم مناهل، وُسِّيت مناهل لأن القافلة يمكنها الإقامة فيها والتزود بالمياه، ويمكن المبيت والإقامة

أكبر وقت ممكن ويفسر الجزيري صفة المناهل عند الحديث عن طريق الحَاجِّ المصري إذ قال:

«أما أن تكون الأرباع وهي المحطات الكبرى، وتارة تكون عبارة عن موارد المياه وهي دون ذلك».

انظر: الجزيري، الدرر الفرائد، ص ٣٢٣، ٤٧٦.

(٢٠٨) قرية تابعة لدمشق وتقع على بعد مرحلتين منها انظر: ياقوت، معجم البلدان، ح ٣، ص

٤٣١؛ البغدادى، مراصد، ح ٢، ص ٨٥٤.

(٢٠٩) مدينة بالأردن وهي بين حوران وفلسطين انظر: ياقوت، معجم البلدان، ح ١، ص ٥٢٧؛

البغدادى، مراصد، ح ١، ص ٢٤١.

(٢١٠) البطائق: مفرد بطاقة، وهي كلمة رومية معربة، والبطاقة من اليونانية «بتاكيون»، وهي القطعة

الصغيرة، هي التسمية المتعارف عليها التي درج كتاب الإنشاء والمؤرخين إطلاقها على الورقة التي

تأتي بصحبة البريد الجوي عبر حَمَام زاجل مخصص للرسائل العاجلة في العصور الوسطى،

وقد عُرف أحياناً نفسه بالنسبة إليها فيقال حمام البطائق. وتُكتب رسائل البريد الجوي على ورق يمتاز بخفة وزنه ومتانته، ومقاومته للعوامل الجوية والماء، عرف هذا الورق باسم: «ورق الطير». للمزيد عن البطائق ومراكزها وأبراجها انظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة ١٩٣٨م، ج ٣، ص ٢١٤؛ القلقشندي، صُبح الأعشى، ج ٦، ص ١٩٢؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١١٦-١١٧؛ صباغ، مسابقة البرق والغمام، ص ١٤٤؛ أنطوان، كتاب الطائر الغريد، ٨؛ جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة، (ب. ت)، ج ١، ص ٢٤٢؛ رمزي بك، الحمام الزاجل، مجلة الرسالة، س ١٦، ع ٧٧٠، القاهرة، أبريل ١٩٤٨م، ص ٣٨٣-٣٨٥؛ إبراهيم العدوي، الحمام الزاجل في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢، ع ١، القاهرة، مايو ١٩٤٩م، ص ١٣٥؛ عطا الله باشي، الحمام الزاجل، مجلة الرسالة، س ١٨، ع ٨٩٢، القاهرة، ٧ أغسطس ١٩٥٠م، ص ٨٩٥-٨٩٦؛ سعداوي، نظام البريد، ص ١٣٤؛ ظافر القاسمي، البريد، المجلة العربية، س ١، ع ٣، الرياض ١٣٩٦-١٣٩٧هـ، ص ٦٧-٧٠؛ نبيل عبدالعزيز، الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٢، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٤٦-٦٦؛ محمد عطا، الحمام الزاجل، مجلة الفيصل، س ٩، ع ١٠٨، الرياض، فبراير - مارس ١٩٨٦م، ص ١٢٣-١٢٦.

(٢١١) للمزيد عن أبراج الحمام الزاجل انظر: ميخائيل نيقولا، مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام، تحقيق حكمت توماش، مجلة المورد، مج ٢، ع ٣، بغداد، أيلول ١٩٧٣م، ص ١٤١-١٥٢؛ أنطوان، الطائر الغريد، ص ٨-١٠؛ رمزي بك، الحمام الزاجل، ص ٣٨٣-٣٨٥؛ العدوي، الحمام الزاجل، ص ١٣٥؛ باشي، الحمام الزاجل، ص ٨٩٥-٨٩٦؛ سعداوي، نظام البريد، ص ١٢٨-١٢٩، ١٤٣؛ نبيل عبد العزيز، الحمام الزاجل، ص ٤٦-٦٦؛ محمد عطا، الحمام الزاجل، ص ١٢٣-١٢٦؛ سند عبدالفتاح، البريد، ص ١٩٨-٢٠٩، خريطة شكل (١٤، ١٥)؛ أجفان الصغير، القلاع في فترة الحروب الصليبية ودورها الاقتصادي والاجتماعي والإداري عند المسلمين في بلاد الشام، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق ١٩٩٥م، ص ١٢٤-١٣٢؛ نائف حمود أبو قريحة، النظم الحربية عند السلاجقة، ط ١، الرياض ٢٠٠٢م، ص ٣٥٠-٣٥٢.

(٢١٢) أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٢-٩٣؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦١-١٦٢.

(٢١٣) الدُّوَادَارُ: تأتي أيضًا بصيغة دُوَيْدَارٍ، وهي وظيفة مركبة من كلمتين، الدواة في العربية من أدوات الكتابة، ودار فارسية بمعنى ممسك، فتكون وظيفة صاحبها ممسك الدواة، أو كاتب الملك، ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه، وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص والشكاوي إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف، وتقديم البريد، هو وأمير جاندار وكاتب السر، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء بمرسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب، وهي وظيفة أنشأها السلاجقة، ويعين فيها عدة من الأمراء والجُند، وكانت في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها أمير مقدم ألف، ثم أل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم مقدّم ألف، ونائبه طبلخاناه، وأول من أستقر في وظيفة الدُّوَادَارِية من الأمراء الألوفا طغيتمر النجمي في الدولة الناصرية حسن، ثم صار غالب من يليها ألوفا، وربما كان طبلخاناه أحياناً. للمزيد انظر: العُمَرِيُّ، مسالك الأبصار، تحقيق كرافولسكي، ص ١١٨؛ القَلَقَشَنْدِي، صُبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩؛ المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٢٢؛ السيوطي، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ٢، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٨م، ص ١٣١؛ الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٢، ص ٥١٩؛ شير، مُعجم الألفاظ الفارسية، ص ٦٨؛ محمود نديم، الفن الحربي، ص ٢١٤؛ سند عبدالفتاح، البريد، ص ٩٧-٩٨.

(٢١٤) أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٣؛ الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ١٦٢؛ وانظر أيضاً: ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ٢٨.

(٢١٥) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢١٦) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٢١٧) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٤٦٧؛ الخطط، ج ٤، ص ٢٤٢.

(٢١٨) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠٨.

(٢١٩) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢٢٠) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٠٨.

(٢٢١) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٦٠.

- (٢٢٢) المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٤٢.
- (٢٢٣) أبو الفدا، المختصر، ج٤، ص٦٣-٦٤؛ العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢١١؛ المقرئزي، السلوك، ج٢، ص٤٦٧.
- (٢٢٤) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢١١-٢١٢.
- (٢٢٥) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٥٢.
- (٢٢٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٤؛ المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٤٢.
- (٢٢٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٦٢؛ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج٤، ص٢٤٢؛
مفضل، النهج السديد، ص٢٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص٣١؛ ابن خلدون، العبر،
ج٥، ص٤٨٧؛ العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٥٧-٢٥٨، ٢٦١ غير أن العيني ذكر أن عدد
ممالئكه كان سبعمئة مملوك مدججين بالسلاح.
- (٢٢٨) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٥٩-٢٦٠.
- (٢٢٩) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٦١.
- (٢٣٠) البركة: بكسر الباء الموحدة، وجعلها النابلسي بضم الموحدة، وسكون الراء، وهي كالحوض،
ومجتمع الماء، يُقال: سُميت بذلك لإقامة الماء فيها. وقال ابن سيده: البركة مستنقع الماء. والبركة:
شبه حوض يُحفر في الأرض، لا يجعل له أعضاء فوق صعيد الأرض. وقال ابن الأعرابي: البركة
تطفح مثل الزلف، والزلف وجه المرأة. قال أبو المنصور: ورأيت العرب يُسمون الصهاريج التي
سويت بالأجر وصرجت بالنورة في طريق مكة ومناهلها بركًا، قال: ورب بركة تكون ألف ذراع،
وأقل، وأكثر؛ وأما الحياض التي تُسوى لماء السماء، ولا تُطوى بالأجر فهي الأصناع، واحدها
صَنَع، والبركة مفرد وجمعها برك بكسر الباء الموحدة، وفتح الراء، ويُضاف لها أسماء وأعلام،
فتصبح اسمًا للمكان كبركة الحاج أول مناهل طريق الحاج المصري. للمزيد انظر: ابن منظور،
لسان العرب، مج١، ص٤٠٠؛ النابلسي، الحقيقة والمجاز، تحقيق: أحمد هريدي، الهيئة المصرية
العامّة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م، ص١٢٠.
- (٢٣١) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٦١، ٢٦٢.

(٢٣٢) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢١٨؛ البرزالي، **المقتفي**، ج ٢، ق ٢، ص ٤٨.

(٢٣٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢١٩.

(٢٣٤) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٤؛ العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٦٢؛ أبو الفدا، **المختصر**، ج ٤، ص ٦٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ٣١؛ المقرئ، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٢، يذكر العيني أن دوران الركب قافلاً إلى حلب كان عند منزلة «معان» والأرجح هو ما ورد عند أغلب المصادر المعاصرة له.

(٢٣٥) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢٣٦) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٤؛ **الوافي**، ج ٢٤، ص ١٦٣؛ مفضل، **النهج السديد**، ص ٢٠٦؛ ابن خلدون، **العبر**، ج ٥، ص ٤٨٧؛ المقرئ، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ٣١.

(٢٣٧) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢١؛ العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٢٣٨) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ١٠٢.

(٢٣٩) **أَجْنَادُ الْحَلَقَةِ**: أجناد جمع جندي، والحَلَقَةُ هي الدائرة من كل شيء، وهو اصطلاح في العسكرية المملوكية يُطلق على عدد كبير من العسكر من غير الممالك؛ وكان بداية ظهورها في العصر الأيوبي؛ وتنقسم الجند عامةً إلى طبقتين، الطبقة الأولى الممالك السلطانية، وهم أعظم الأجناد شأنًا، وأرفعهم قدرًا، وأشدهم إلى السلطان قربًا، وأوفرهم إقطاعًا، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة، أما الطبقة الثانية فهم أجناد الحلقة، وهم عدد جم وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم، بواسطة النزول عن الإقطاعات، ويبلغ إقطاع مقدم الحلقة ألفًا وخمسمئة دينار، والجندي يبلغ مائتين وخمسين دينارًا، ولكل أربعين منهم مقدم عليهم وقت خروج العسكر فقط، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجندي كي لا يحاط بعده ويطلع إليه. ولكل أربعين نفسًا منهم مقدم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت موافقهم معه، وهم محترفو الجندية من ممالك السلاطين السابقين وأولادهم، وهم أقرب فئات الممالك إلى الجيوش النظامية في العصور الحديثة، ومرتباتهم من ديوان الجيش. وكان بالإسكندرية أجناد حلقة يُعرفون باسم أجناد المئتين لأن عدتهم كانت مئتي نفر. للمزيد انظر:

العُمريّ، مسالك الأبصار، تحقيق كرافولسكي، ص ٩٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٤، ج ٤، ص ١٥-١٦، ٢٢، ٢٤، ٥١، ٦٣، ١٨٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٨، ج ٥، ٤٥٦، ج ٦، ٢٠١، ج ٧، ص ١٥٩، ج ٨، ٢٢١، ٢٢٧، ج ١٢، ١٠٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ج ١٣، ١٦١؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ق ١، ص ٥٨٠، ج ١، ق ٣، ٦٩٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٩، ٦٨؛ ابن فهد، إتحاف الوري، ج ٣، ص ٩٤، حاشية (٤)؛ ابن زنبيل الرمال، آخره الممالك، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٢، ص ٤٧؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٤، ص ١٤٠-١٤١؛ علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٤٧م، ص ٤٠٨-٤٠٩؛ تاريخ الممالك البحرية، القاهرة ١٩٤٨م، ص ٣٤٦-٣٤٧؛ نديم، الفن الحربي، ص ٢٠٠؛ البقلي، التعريف بمصطلحات، ص ١٥-١٦؛ المبارك، الناصر محمد بن قلاوون، ص ٦٥-٦٦.

Ayalon, «Studies in the structure of the mamluk Army- II», BSOAS, 15, 1953, p. 448-449; Gibb, H. A., «The armies of Saladin», SCI, 76, London, 1962, p. 76, 85.

(٢٤٠) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢٤١) مفضل، النهج السديد، ص ٢٠٦؛ العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٥٨، ص ٢٦٧-٢٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٣١.

(٢٤٢) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢١.

(٢٤٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٣٢.

(٢٤٤) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢٤٥) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٢٤٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٦، ص ١٣٤.

(٢٤٧) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٠؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٤١.

(٢٤٨) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٠.

(٢٤٩) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢١٩.

(٢٥٠) بلاد الكفر أو أرض الكفر هي البلاد التي يسكنها أعداء المسلمين أو الأرض التي تحت يد غير المسلمين، انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٩، ص ٤٠٤؛ ج ١١، ص ٤٣.

(٢٥١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٠.

(٢٥٢) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٦٨.

(٢٥٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٣؛ العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢٥٤) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢٥٥) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٣؛ العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٧٠.

(٢٥٦) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢٥٧) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٤.

(٢٥٨) عن هذه الوسائل وآلات التعذيب انظر: سعود محمد العصفور، **وسائل التعذيب في العصر المملوكي**، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس، المجلد ٣١، ٢٠٠٣م، ص ٥٩ - ١٠٧.

(٢٥٩) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٠٢.

(٢٦٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٠، ذكر المقرئ أن قراسنقر طلب من الناصر نيابة صرخد على سبيل المساومة التي جرت بين الطرفين ووافق الناصر محمد علي ذلك العرض.

(٢٦١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢٦٢) المقرئ، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٢٦٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٣.

(٢٦٤) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٤.

(٢٦٥) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢٦٦) **المختصر**، ج ٤، ص ٦٤، وأضاف في موضع آخر أن الوحشة بين مهنا والناصر زادت بعد مساعدته قراسنقر، لذا كاتب مهنا خدابنده هو الآخر، ونال منه إقطاعاً بالعراق ممثلاً في مدينة الحلة وغيرها، كما استمر أيضاً على إقطاعه ببلاد الشام ممثلاً في مدينة سرمين، وجعل أحد

أولاده في خدمة خان المغول، والابن الآخر في خدمة الناصر، وظل يتردد بين الإقطاعين «الشام والعراق»، وتصل إليه الرسل من الطرفين بالخلع والانعامات «وهذا أمر لم يُعهد مثله، ولا جرى نظيره»، انظر: المختصر، ج ٤، ص ٧١.

(٢٦٧) أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٦٤.

(٢٦٨) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٢٦٩) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ١٩٣؛ أعيان العصر، ج ١، ص ٥٦٦ - ٥٦٧؛ المقرئ، المقفي، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٢٧٠) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٢٧١) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٢٧٢) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٤ - ٩٥.

(٢٧٣) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢٧٤) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٥؛ الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٣.

(٢٧٥) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٥، يذكر المقرئ أن وجود قراسنقر لفترة طويلة في ديار عرب آل مهنا وكلامه بالسلب على الناصر محمد جعل العلاقة فاترة بين الأمير مهنا وبين الناصر، انظر: الخطط المقرئية، ج ٤، ص ٢٤٢.

(٢٧٦) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٨٠.

(٢٧٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ١٦٣.

(٢٧٨) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٩٥، ٢٩٦ وانظر نص رسالة قراسنقر ورفقته كاملاً إلى خربندا في العيني نفس الجزء والصفحات.

(٢٧٩) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٧.

(٢٨٠) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢٩.

(٢٨١) العيني، عقد الجمان، ج ٥، ص ٢٩٦ وانظر نص رسالة خربندا كاملة إلى قراسنقر ورفقته في العيني نفس الجزء والصفحة.

(٢٨٢) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٩-٢٣٠؛ تروي بعض المصادر أن قراسنقر أصابته قسوة القلب لحظة عبوره حدود الدولة المغولية عكس خروجه من حلب، ويبدو أن انقطاع السبل كافة مع الناصر كانت سبباً في عدم بكائه لحظة العبور عكس الأفرم الذي بكى كثيراً كونه سيفتقد أهله وولده، إلا أن قراسنقر رد عليه قائلاً: «تبكي عليهم ولا يكون عليك»، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ٣٢؛ **المنهل الصافي**، ج ٣، ص ١٣.

(٢٨٣) **المختصر**، ج ٤، ص ٦٦.

(٢٨٤) أبو الفدا، **المختصر**، ج ٤، ص ٦٦، عُرف جواز السفر في الحضارة الإسلامية بعدة أسماء كلها تؤدي نفس المعنى منها: أوراق الطريق، الورقة، البراءة. للمزيد عن جوازات السفر انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، ج ٥، ص ٥٢؛ **القلقشندي**، **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٤٧٠؛ **المقريزي**، **السلوك**، ج ٣، ص ٣٣؛ **الخالدي**، **كتاب المقصد الرفيع**، ورقة ١٤٣؛ ميخائيل عواد، **أجوزة السفر في العصور الإسلامية**، مجلة الكتاب، س ١، مج ٢، دار المعارف لطباعة والنشر، القاهرة، مايو ١٩٤٦م، ص ٤٠-٥٠؛ أحمد محمد عدوان، **جواز السفر عند المسلمين**، مجلة العصور، مج ٥، ج ٢، الرياض، يوليو ١٩٩٠م، ص ٣٢١-٣٢٩.

(٢٨٥) **المقريزي**، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٢٨٦) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢٥.

(٢٨٧) **المقريزي**، **السلوك**، ج ٢، ص ٤٣٢؛ **المقفي**، ج ٧، ص ١٩٤.

(٢٨٨) **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٠٢.

(٢٨٩) **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٢٣؛ **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢٩٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٠.

(٢٩١) **العيني**، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٢٩٨.

(٢٩٢) **الصفدي**، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٥.

(٢٩٣) **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢٩٤) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٤٢.

(٢٩٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبیه، ج٢، ص٣٧.

(٢٩٦) العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٣٠٤، ص٣٠٥.

(٢٩٧) هو مركب كيميائي عرف عند الإغريق بالنار الإغريقية، ونُقل إلى المسلمين في عصر الدولة الأموية، ونتيجة لتوافره بكثرة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) في مصر استعمله الممالك، وكانت له فرقة خاصة في الجيش عُرفت بالنفاطين أو الزراقين حيث كانوا يلقونه بالمزارق أي الرماح، أو بالنشاب والأقواس والسهام، أو المجانيق، كما كان يلقي أيضاً في قوارير، ويقال أن الممالك برعوا في إلقائه مشتعلاً حتى تحت زخات المطر. انظر: عبد المنعم ماجد، نظم دولة الممالك ورسومهم في مصر، ج١، ص١٧١.

(٢٩٨) هو نوع من الثياب اقتصر استعماله في وقت فصل الشتاء. انظر:

Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, vol.2, Brill 1881, P.487-488.

(٢٩٩) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج٩، ص٢٣٠.

(٣٠٠) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٥؛ الوافي، ج٢٤، ص١٦٣؛ الخطط، ج٤، ص٢٤٣؛ فؤاد الصياد، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، قطر ١٩٨٧، ص٣٨٩.

(٣٠١) وقيل أيضاً الصناجق ومفردها الصنjq : عبارة عن علم مرفوع على سارية يحمله جمل يكون بمرافقة جمل المحمل، ويصنع من الحرير الأحمر أو الأخضر، ويزركش بالمخيش التي من أسلاك الفضة، والفضة المذهبة؛ ومن أشهر الصناجق سنjq المحمل الشامي. للمزيد انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٦، ص٤٥٨؛ محمد بن حسين الموجان، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة، ط١، مركز الكون للثقافة والإبداع، جدة ٢٠٠٦م، ص٣١٨.

Al-Mojan, The Honorable Kabah Architecture and Kiswah, p. 318.

(٣٠٢) ابن الدواداري، كنز الدرر، ج٩، ص٢٣٠-٢٣١.

(٣٠٣) المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٣.

(٣٠٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٥-٩٦؛ الوافي، ج٢٤، ص١٦٣؛ الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٨٨؛ فؤاد الصياد، الشرق الإسلامي، ص٣٨٩ (حاشية رقم ٢).

- (٣٠٥) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٢.
- (٣٠٦) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٢.
- (٣٠٧) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٢.
- (٣٠٨) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٢-٢٣٣.
- (٣٠٩) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٣.
- (٣١٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧١.
- (٣١١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٦٩.
- (٣١٢) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٣-٢٣٤.
- (٣١٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧٠.
- (٣١٤) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٣٤ - ٢٣٥، ٢٦٨ - ٢٦٩. يرجع ابن الدواداري أن قراسنقر سلب عقول نساء البلاط السلطاني المغولي بأفعاله لهن، وهو ما صب في صالحه لأن "هؤلاء التتار أمورهم راجعة إلى نسايتهم بخلاف المسلمين"، وفي موضع آخر يذكر أنه سيطر عليهم بالسحر والمكر، انظر: **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧١.
- (٣١٥) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٦: **الوافي**، ج ٢٤، ص ١٦٣ وقيل الأطاغ والأرغة.
- (٣١٦) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٦٩.
- (٣١٧) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥٧.
- (٣١٨) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٦٩.
- (٣١٩) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥٧.
- (٣٢٠) السلحدار كلمة مركبة من مقطعين؛ سلاح العربية بمعنى آلة القتال، ودار الفارسية بمعنى ممسك، فيكون المعنى ممسك السلاح، لذا فالسلحدارية هم المنوطون بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذي في خدمته، كما كان السلحدارية يقومون بحراسة السلطان، ومن مهامهم أيضاً الإشراف على السلاح خاانة، ويتم اختيارهم عادة من المماليك السلطانية، ولهم رنوك وشعارات

- خاصة بهم. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشي**، ج ٥، ص ٤٥٦، ٤٦٢؛ ضوء الصبح، ص ٣٤٦؛
الباشا، الفنون والوظائف، ج ٢، ص ٥٩٦-٥٩٧.
- (٣٢١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧١.
- (٣٢٢) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥١-٣٥٢.
- (٣٢٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥١؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٦.
- (٣٢٤) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٤٠.
- (٣٢٥) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٤٤.
- (٣٢٦) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥١.
- (٣٢٧) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٤٤، ٣٥٣.
- (٣٢٨) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥٢.
- (٣٢٩) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥١، ٢٥٢؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص ٢٧١.
- (٣٣٠) أبو الفداء، **المختصر**، ج ٤، ص ٦٩-٧٠.
- (٣٣١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٣.
- (٣٣٢) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٤.
- (٣٣٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٤؛ العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥٢-٣٥٣.
- (٣٣٤) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥٨-٣٥٩.
- (٣٣٥) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٥٣، ٣٥٤.
- (٣٣٦) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٦٠.
- (٣٣٧) العيني، **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٦٤.
- (٣٣٨) بلد في حوض الجزيرة بالقرب من نهر الفرات، انظر ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٤، ص

- (٣٣٩) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٤، ٢٥٥.
- (٣٤٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٥، ٢٥٦.
- (٣٤١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٢.
- (٣٤٢) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٦.
- (٣٤٣) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٦، ٢٥٧.
- (٣٤٤) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ وانظر أيضاً عن حصار الرحبة ورحيل المغول عنها في: شيرازي، **تاريخ و صاف**، بمبائي ١٣٦٩هـ، ص ٥٥٦-٥٥٧.
- (٣٤٥) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٦٠، ٢٦١.
- (٣٤٦) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٦١، ٢٦٢.
- (٣٤٧) **المختصر**، ج ٤، ص ٧٠.
- (٣٤٨) **عقد الجمان**، ج ٥، ص ٣٦٧، ٣٦٨.
- (٣٤٩) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٦٧-٢٦٨.
- (٣٥٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧٢، ٢٧٣.
- (٣٥١) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨.
- (٣٥٢) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٧٩، ٢٨٠.
- (٣٥٣) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج ٩، ص ٤٨.
- (٣٥٤) المقرئزي، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣.
- (٣٥٥) المقرئزي، **السلوك**، ج ٣، ص ٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم**، ج ٩، ص ٣٢٦.
- (٣٥٦) المقرئزي، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣.
- (٣٥٧) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٦؛ **الوافي**، ج ٢٤، ص ١٦٣؛ ابن حجر، **الدرر**، ج ٤، ص ٢٨٨.

(358) Samria Kortantamer, **Ägypten und Syrien zurischen 1317 und 1341 in der Chronik des Mufaddal b. Abi l-Fada'il**, Freiburg Schwarz 1973, P.112.

المقريري، الخطط، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٣٥٩) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٦ : الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٣.

(٣٦٠) عقد الجمان، ج ٥، ص ٣٠٥.

(٣٦١) المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٣٢٤-٣٢٥.

؛ المقريري، السلوك، ج ٣، P.108-109, **Ägypten und Syrien**, Samria Kortantamer, (263)

ص ٢٧-٢٨ : الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٨١.

(٣٦٣) أبو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٧٧؛ الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ١٠٠؛ ابن كثير،

البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٤٥.

(٣٦٤) المقريري، السلوك، ج ٢، ص ٥٠١.

(365) Samria Kortantamer, **Ägypten und Syrien**, P.109.

(٣٦٦) السلوك، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٣٦٧) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٧ : الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٤.

(٣٦٨) المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٢٨.

(٣٦٩) المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٣٧٠) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٧ : الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٤؛

Samria Kortantamer, **Ägypten und Syrien**. P.109 : المقريري، السلوك، ج ٣،

ص-326 325.

(٣٧١) الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٧ : الوافي، ج ٢٤، ص ١٦٤.

(٣٧٢) المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٢٩.

(٣٧٣) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٢٩؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص٢٠٧؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص٤٨٢؛ طقوش، تاريخ الممالك، ص٢٧٥.

المقرئزي، السلوك، (473) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P.109-110؛ ج٣، ص٣٢٦.

(٣٧٥) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien. P.١١٠؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٣٢٦.

(٣٧٦) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٢٨؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص٢٠٦؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص٤٨١؛ طقوش، تاريخ الممالك، ص٢٧٤.

(٣٧٧) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P.١١٢.

(٣٧٨) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٣٢٦.

(٣٧٩) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P.١١٠؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٣٨٠) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P.١١١.

(٣٨١) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P.١١٢؛ المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٣٢٧.

(٣٨٢) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P.١١٢.

(٣٨٣) نهاية الأرب، ج٣٣، ص١٩٥؛ السلوك، ج٣، ص١١٠ على الترتيب.

(٣٨٤) ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٩٨.

(٣٨٥) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص١١٥؛ الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٤٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٧٥؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص٤٦٥.

(٣٨٦) الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٢٧٢؛ مجهول، تاريخ سلاطين الممالك، ص١٨٠.

(٣٨٧) أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٨.

(٣٨٨) تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر بيروت ١٩٦٤، ص ٧٨.

(٣٨٩) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المكتبة العلمية بيروت ١٩٩٢، ص ٢٤٩.

(٣٩٠) أعيان العصر، ج ٢، ص ١١٥؛ ابن حجر، الدرر، ج ١، ص ١٧٥.

(٣٩١) العبر، ج ٥، ص ٤٩٨.

(٣٩٢) Samria Kortantamer, Ägypten und Syrien, P. ١١٢-١١٣.

(٣٩٣) أعيان العصر، ج ٤، ص ٩٩.

(٣٩٤) الخطط، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٣٩٥) النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٣٢٦.

(396) الربع: مفرد وجمعها رباع، والربع عامّة وحدة تقدير الوزن، ومنشأة معمارية والمقصود هنا المنشأة المعمارية، وهي من ملحقات المنشآت التجارية، إذا تبنى في الطابق العلوي من الحوانيت، والأسواق، والخانات، والفنادق، والقياس مساكن تُدعى رباع، يسكنها العوام من الناس. للمزيد انظر: الزناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ص 178.

(٣٩٧) عرفت بدار سعيد السعداء، وتنسب لشخص يقال له عنبر، ولقبه سعيد السعداء، أحد خدام القصر الفاطمي المحنكين، قتل سنة ٥٤٤هـ، ورمي برأسه من القصر، ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق، وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة. فلما كانت وزارة العادل رزيق بن الصالح طلائع بن رزيق سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سرداباً تحت الأرض ليمرّ فيه، فلما تولى الناصر صلاح الدين الأيوبي ملك مصر بعد موت الخليفة العاضد، عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم في سنة ٥٦٩هـ، وولى عليهم شيخاً، ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وقيسارية الشراب بالقاهرة، وناحية دهمر، ومن البهنساوية، وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره، ورتّب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً، وبنى لهم حماماً بجوارهم، فكانت أوّل خانكاه عملت

- بديار مصر، انظر: المقرئزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٨٢.
- (٣٩٨) المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٤٤.
- (٣٩٩) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٣، ص ٩٦.
- (٤٠٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٠٥.
- (٤٠١) الخطط المقرئزية، ج ٣، ص ٩٨.
- (٤٠٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٦٤.
- (٤٠٣) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ٢، ص ٧.
- (٤٠٤) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣١٥.
- (٤٠٥) Herzfeld, E., **Syrie du nord**, Le caire ١٩٥٥. p. ١٦٦, no. ٧٩.
- (٤٠٦) Repertoire, tom. ١٤, p. ٦٠-٥٩, no. ٥٢٩٣.
- (٤٠٧) Herzfeld, Syrie du nord, p. ٩٠-٨٩, pl. ٣٥.
- (٨٠٤) Repertoire, tom. ١٣, p. ٢٥١-٢٥٠, no. ٥١٧١;
- وانظر عن تلك المنشآت المعمارية: حسن الباشا، **الفنون والوظائف**، ج ٢، ص ٣٧٤.
- (٤٠٩) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (٤١٠) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (٤١١) الخطط المقرئزية، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (٤١٢) ماهر الفحل، **بحوث في المصطلح**، ج ١، ط ٢، السعودية ٢٠٠٢ م، ص ٢٠٥.
- (٤١٣) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج ١٠، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر ١٤١٣ هـ، ص ٣٧٩.
- (٤١٤) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج ٥، ص ١٦٩-١٧٠.
- (٤١٥) **الوافي بالوفيات**، ج ١٨، ص ٣٢٣: **أعيان العصر**، ج ١، ص ٤٧٠.

(٤١٦) السخاوي، **الضوء اللامع في أعيان أهل القرن التاسع**، ج ١، دار الحياة بيروت (ب.ت)، ص ٣٤.

(٤١٧) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٣، ص ٢٢٩.

(٤١٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٧، ص ١٣٨.

(٤١٩) **تذكرة النبيه**، ج ٢، ص ١٨٣.

(٤٢٠) ابن الدواداري، **كنز الدرر**، ج ٩، ص ٢٢١.

(٤٢١) المقرئزي، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٤٢٢) الصفدي، **أعيان العصر**، ج ٤، ص ٩٨؛ المقرئزي، **الخطط**، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٤٢٣) الرنوك الكتابية: تُعرف في المصطلح المملوكي باسم الدروع والخراطيش، وهي شارات ورموز تخص السلاطين دون سواهم من الأمراء، ويرجع أقدم الرنوك الكتابية المعروفة حتى الآن إلى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وليس كما ذكر البعض من أن أقدمها من عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ثم يلي ذلك الرنوك التي ترجع إلى أيام الناصر حسن، وهي التي تُوجد على مشكاواته، ولكن يُلاحظ أن اسمه لم يُكتب عليها، واكتفى المزخرف بكتابة عبارة “ عز لمولانا السلطان الملك ”. واستمر ظهور الرنوك الكتابية طوال العصر المملوكي وشطر كبير من العصر العثماني في بلاد الشام ومصر حتى حل محلها الطغراء. للمزيد انظر: محمد مصطفى، **الرنوك في عصر المماليك**، مجلة الرسالة، س ٩، ع ٤٠٠، القاهرة مارس ١٩٤١م، ص ٢٦٨-٢٧١؛ جمال محرز، **الرنوك المملوكية**، مجلة المقتطف، مج ٩٨، ع ٥، القاهرة مايو ١٩٤١م، ص ٤٦١-٤٦٨؛ عبد الرحمن زكي، **الأعلام وشارات الملك في وادي النيل**، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٩م، ص ٧٦-٧٩؛ حسين راشد، **الرنوك**، مجلة السياحة، ١٩٥٥م؛ أبو الفرج العشي، **الشعارات الموجودة على الأواني الفخارية**، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج ١٠، دمشق ١٩٦٠م؛ ماريانو طاراديل، **التعريف بفن الشعارات الإسلامية**، تعريب عبدالله الخطيب، في المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، نوفمبر ١٩٥٩م، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦١م؛ طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**، الألف كتاب ٢٧٩، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٣٢٤-٣٣٩؛ أحمد عبدالرازق، **الفخار**

المصري المطلي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٩م؛ الرنوك، ص ٦٧-١١٧: أضواء جديدة على رنك النسر بقلعة الجبل وعلاقته بصلاح الدين الأيوبي، بحث ألقى في ندوة حطين، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٨٦م؛ الرنوك الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، دار الحريري للطباعة، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٨٧-٢٠٧، ٢٢١، شكل (٣٠)، اللوحة (٢٢)؛ زينات أحمد طاحون، زخارف المنسوجات الإسلامية بالرنك المملوكية، مجلة منبر الإسلام، فبراير ١٩٧٥م؛ محمد باقر الحسيني، دراسة تحليلية إسلامية عن نقود الدعاية والإعلام والمناسبات، مجلة المسكوكات، ع ٦، بغداد ١٩٧٥م، ص ٩-١٩؛ دراسة إحصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي، مجلة المسكوكات، ع ٦، بغداد ١٩٧٥م، ص ١٠٢-١٤١؛ دراسات عن نقود الثوار والشعارات والمناسبات المضروبة في أفريقيا، مجلة المسكوكات، ع ٧، بغداد ١٩٧٦م، ص ٣٣-٤٣؛ محمد كامل فارس، الرنوك المملوكية في المملكة الحلبية، حولية عاديات حلب، ك ٢، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، مدينة حلب ١٩٧٦م، ص ٢١٩-٢٦٠؛ عبد الغني محمد عبدالله، الشعارات المملوكية «الرنوك»، مجلة الوعي الإسلامي، س ١٣، ع ١٤٩، الكويت، مايو ١٩٧٧م، ص ٨٣-٨٩؛ الرنك الفن القديم المتجدد، مجلة الفيصل، س ٨، ع ٩٤، دار الفيصل الثقافية، الرياض، يناير ١٩٨٥م، ص ١٠٧-١١٦؛ مایسة محمود داود، الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، س ٧، ع ٣، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، فبراير ١٩٨٢م، ص ٢٦-٣٩؛ سامر دوغوز، الرنوك في الأبنية المملوكية، رسالة جامعية، كلية هندسة العمارة، جامعة دمشق ١٩٨٩-١٩٩٠م؛ خوليا تزجان، أستاذ الحرمين الشريفين، ترجمة تحسين عمر طه أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، إستانبول ١٩٩٦م، ص ٨٩، ٩٤، ١١٨، اللوحات (٢٨، ٣١، ٤٧)؛ رزق، مُعجم مصطلحات العمارة، ص ١٢٤، ١٦٤؛ مها محسن أحمد، ذكر الأفكار في رسم الرنك والشعار، مجلة آثارنا اليوم، ع ٣، مركز المعلومات، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ديسمبر - يناير ٢٠١٠م، ص ٣٤-٣٥.

Rogers, E. T., «Le blason chez les princes musulmans de l' Egypte et de la Syrie», BIE, 2e série, no. 1, Vol. II, XXXI, Le Caire, 1882; Artin, Y., Contribution à l'etude du Baslon en Orient, London, 1902; Mayer, L. A., Saracenic Heraldry: A survey, The Clarendon Press, Oxford, 1933, p. 34-40; «Une enigme du blason Musulman», BIE, XXI, Le Caire, 1939, p. 34-35.

(٤٢٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٩٨.

(٤٢٥) ابن حجر، الدرر، ج٤، ص٢٤٤.

(٤٢٦) ابن حجر، الدرر، ج٤، ص٢٤٤، وفيه مدح الشاعر البهاء على بن أبي سودة الأمير قراسنقر بقوله:

إذا قيل لي من أفرس الترك في الوغى وأثبتهم فوق الجياد السوابق
أقول كفيل الملك والبطل الذي له صولة الأساد تحت السناجق
قراسنقر المنصور في كل مرقب وحامي حمى الإسلام عند الحقائق

(٤٢٧) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج١، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض ٢٠٠٥م، ص٣٣٣؛ ج٢، ص٢٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣٣.

(٤٢٨) سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٤٠، وانظر للمزيد عن بعض حوادث الرشوة التي انتهجها قراسنقر في: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٤١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٦٧.

(٤٢٩) الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص١١٠-١١١ : انظر أمثلة أخرى أيضاً عن اتهام كل من كانت له صلة بقراسنقر في: اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عالم الكتب بيروت ١٩٨٦، ص٣٨١.

* * *

المصادر والمراجع

أولاً - المخطوطات:

- الخالدي، كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، مخطوط رقم (٢١٠٣١ ز).
- ابن حبيب، درة الأسلاك في دولة الأتراك (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٧٠ تاريخ).
- الفيومي، نثر الجمان في تاريخ الأعيان (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ).

ثانياً - المصادر المطبوعة :

- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (عدة أجزاء)، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢.
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر بيروت ١٩٦٤ م.
- ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، (عدة أجزاء)، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب والوثائق القاهرة ٢٠٠٢ م.
- ابن تغري بردي، الدليل الشافي علي المنهل الصافي، ج ٢، القاهرة ١٩٨٣ م.
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (عدة أجزاء) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٠.
- ابن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ١٩٩٧ م.
- ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، المطبعة الأهلية، القاهرة ١٨٩٨ م.
- ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، (عدة أجزاء) تحقيق: محمد أمين، سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣.

- ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (عدة أجزاء) تحقيق: محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد الهند ١٩٧٢، وطبعة دار الجيل، بيروت، (ب.ت).
- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج ٥، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت ١٩٨٨.
- ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، (ب.ت).
- ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، د.ت.
- ابن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت ١٩٩٩.
- ابن الدوادري، كنز الدرر، ج ٨ الموسوم «الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية»، تحقيق: أولرخ هارمان، المعهد الألماني بالقاهرة ١٩٧١ م.
- ابن الدوادري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٩ الموسوم «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر»، تحقيق: هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني بالقاهرة ١٩٦٠.
- ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، (عدة أجزاء)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض ٢٠٠٥ م.
- ابن زنبيل الرمال، آخره الممالك، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٢.
- ابن سباط، تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس ١٩٩٣.
- ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، فيسبادان ١٩٨٣.
- ابن الضياء المكي، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عبد الحميد العدوي، موسوعة مكة والمدينة (٤)، ط ١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٩٦ م.
- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٢٣ م.

- ابن الطوير، **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتاين شتوتغارت ١٩٩٢م.
- ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١م.
- ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت ١٩٨٦.
- ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، مج ٧، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت ١٩٣٦؛ مج ٨، تحقيق: قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٩.
- ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (عدة أجزاء) المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٣هـ.
- ابن فهد، **إتحاف الوري بأخبار أم القرى**، دار المدني، جدة ١٩٨٢.
- ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ١، القاهرة ١٩٩٩.
- ابن منظور، **لسان العرب**، (عدة أجزاء) تحقيق يوسف خياط، نديم مرعشلي، بيروت ١٩٥٥م.
- ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
- أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، (عدة أجزاء)، المطبعة الحسينية القاهرة (ب.ت).
- أبو الفداء، **تقويم البلدان**، تحقيق رينود، ماك كوكين، باريس ١٨٤٠م.
- البرزالي، **المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المطبعة العصرية، بيروت ٢٠٠٦م.
- البرزنجي، **نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين**، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، ط ١، الناشر مكتبة الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥م.
- البغداد، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (عدة أجزاء) تحقيق على محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٥م.
- بيبرس الدوادار، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٨٧م.

- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة عطا، عين للدراسات التاريخية، القاهرة ٢٠٠١م.
- بيبرس الدوادار، مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٣٨م.
- الجزري، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، (عدة أجزاء)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٨م.
- الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: حمد محمد الجاسر، دار اليمامة، السعودية ٢٠٠٨م.
- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٥٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان (١٩٩٤-٢٠٠٢م)؛ ج ١٥، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.
- الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ٢، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥.
- الذهبي، دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، تقديم محمود الأرناؤوط، بيروت ١٩٩٩م.
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء المفقود وتمام السير، ج ١٧، تحقيق: سيد حسين العفاني، خيري سعيد، المكتبة الوقفية القاهرة (ب.ت).
- الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط ٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٨٩م.
- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ١٠، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر ١٤١٣هـ.
- السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، القاهرة ١٩٤٨م.

- السخاوي، الضوء اللامع في أعيان أهل القرن التاسع، (عدة أجزاء)، دار الحياة بيروت (ب.ت).
- السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المكتبة العلمية بيروت ١٩٩٢.
- السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت والولاية والحرم، تحقيق: جميل عبد الله المصري، السعودية ١٩٩٨.
- السيوطي، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ٢، تحقيق: إبراهيم أبو الفضل، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٨م.
- السيوطي، شد الأثواب في سد الأبواب، تحقيق: مصطفى عمار، المكتبة العربية القاهرة (ب.ت).
- شيرازي، تاريخ وصاف، بمباي ١٣٦٩هـ.
- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرين، بيروت ١٩٨٨م.
- الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠.
- الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، المدينة المنورة (ب.ت).
- الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشر بولس راويس، باريس ١٨٩٤م.
- العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، الأردن ١٩٧٣.
- العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٨م.
- العُمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار “قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين”، دراسة وتحقيق دُوروتيا كرافولسكي، ط ١، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٥م.
- العُمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤م.
- العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عدة أجزاء)، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٩م.

- الفاسي، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: مصطفى محمد حسن، مكتبة نزار مصطفى، الرياض ١٩٩٧.
- الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد وأخران، مطبعة السُّنة المحمدية، القاهرة (١٩٥٨-١٩٦٩).
- الفاكهي، أخبار مَكَّة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٢، دار خضر، مكة المكرمة ١٩٩٤ م.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- القَلْقَشَنَدِي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
- القلقشندي، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، القاهرة ١٩٠٦ م.
- القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٦٣ م.
- الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣ م.
- مجهول، تاريخ سلاطين الممالك، تحقيق: زيترشتين، ليدن ١٩١٩ م.
- المراغي، تحقيق النصرَة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط ٢، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٩٨١ م.
- مفضل ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر: بلوشيه، بجليكا ١٩٨٥، ص ١٥٦ ضمن دورية Patrologia Orientalis 156.1, 1985.
- مفضل ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، حوادث الفترة ما بين عامي ١٣١٧م-١٣٤١م، تحقيق: سامريا كورتانتامر، فرايبورج 1973
SamriaKortantamer, Ägypten und Syrien zwischen 1317 und 1341 in der
Chronik des Mufaddal b. Abi l-Fada>il, Freiburg Schwarz 1973
- المقدسي، أحسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦ م.
- المقرئزي، أتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد، القاهرة ١٩٧١ م.

- المقريري، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبدالمجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م.
- المقريري، الخطط المقريرية، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ، طبعة مكتبة إحياء العلوم، لبنان ١٩٥٩.
- المقريري، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥.
- المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، (ج ١، ج ٢) تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٣٤، وطبعة بيروت تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧.
- المقريري، كتاب المقفي الكبير، ج ٢، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م.
- النابلسي، الحقيقة والمجاز، تحقيق: أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.
- النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٨م.
- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (٣٣ جزء)، تحقيق: نجيب مصطفى، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت (ب.ت).
- الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.
- الياضي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٤، حيدر آباد ١٣٣٨هـ.
- ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٩٧٩م.
- اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عالم الكتب بيروت ١٩٨٦.
- اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج ١، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر عبد القادر، المغرب ١٩٨١.

ثالثاً- المراجع العربية والمترجمة :

- إبراهيم العدوي، الحَمَام الزاجل في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢، ع ١٤، القاهرة، مايو ١٩٤٩م.
- إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، الألف كتاب ٢٧٩، القاهرة ١٩٦٠م.
- ابن أَرشيد يوسف، الحضارة الإسلامية، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٤م.
- ابن جنيد الساعاتي، الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، كتاب الرياض، العدد (٣٩)، مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض ١٩٩٧م.
- أبو الفرج العث، الشعارات الموجودة على الأواني الفخارية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج ١٠، دمشق ١٩٦٠م.
- أحمد عبد الرازق، الجيش المصري في العصر المملوكي، القاهرة ١٩٩٩م.
- أحمد عبد الرازق، أضواء جديدة على رنك النسر بقلعة الجبل وعلاقته بصلاح الدين الأيوبي، بحث ألقى في ندوة حطين، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، دار الحريري للطباعة، القاهرة ٢٠٠١م.
- أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢١، ١٩٧٤م.
- أحمد فخري، تاريخ شبه جزيرة سَيْنَاء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام، موسوعة سَيْنَاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م.
- أحمد محمد عدوان، جواز السفر عند المسلمين، مجلة العصور، مج ٥، ج ٢، الرياض، يوليو ١٩٩٠م.
- أنور الزناتي، مُعجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط ١، زاهران للنشر، عمّان ٢٠١١م.
- جاستون فييت، المواصلات في مصر في العصور الوسطى، ترجمة محمد وهبي، في كتاب «في مصر الإسلامية»، أخرجه زكي محمد حسن وعبد الرحمن زكي، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة ١٩٣٧م.

- جمال محرز، الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، مج ٩٨، ع ٥، القاهرة مايو ١٩٤١ م.
- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٦٨ م.
- جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، دار الهلال، القاهرة، (ب.ت).
- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق الآثار، القاهرة ١٩٥٧ م.
- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٥٧-١٩٦٦ م.
- حسين راشد، الرنوك، مجلة السياحة، ١٩٥٥ م.
- خوليا تزجان، أستاذ الحرمين الشريفين، ترجمة تحسين عمر طه أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، إستانبول ١٩٩٦ م.
- رمزي بك، الحمام الزاجل، مجلة الرسالة، س ١٦، ع ٧٧٠، القاهرة، أبريل ١٩٤٨ م.
- زينات أحمد طاحون، زخارف المنسوجات الإسلامية بالرنك المملوكية، مجلة منبر الإسلام، فبراير ١٩٧٥ م.
- سعود محمد العصفور، وسائل التعذيب في العصر المملوكي، حليات كلية الآداب جامعة عين شمس، المجلد ٣١، ٢٠٠٣ م.
- السيد أدى شير، مُعجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٠ م.
- صالح موسى درادكه، البريد وطُرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام مارس ١٩٩٠ م، إعداد عدنان محمد البخيت ومحمد يونس عبادي، عمّان ١٩٩٢ م.
- صلاح البحيري، المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين، مجلة المؤرخ العربي، س ١٦، ع ٤١-٤٢، بغداد ١٩٩٠ م.
- ظافر القاسمي، البريد، المجلة العربية، س ١، ع ٣، الرياض ١٣٩٦-١٣٩٧ هـ.
- عادل زيتون، تاريخ الممالك، ط ٧، جامعة دمشق ٢٠٠٠.
- عارف العارف، تاريخ القدس، دار المعارف القاهرة ١٩٥١.
- عاصم محمد رزق، مُعجم مُصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠ م.

- عباس حسن، **المُعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، سبتمبر ١٩٩٩م.
- عبد الرحمن زكي، **الأعلام وشارات الملك في وادي النيل**، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٩م.
- عبد الرحمن زكي، **الجيش المصري في العصر الإسلامي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠.
- عبد الرحمن زكي، **دراسة حول رقبة شمعدان**، مجلة المجلة، ع ١٤، القاهرة، فبراير ١٩٨٥م.
- عبد الغني محمد عبد الله، **الرنك الفن القديم المتجدد**، مجلة الفيصل، س ٨، ع ٩٤، دار الفيصل الثقافية، الرياض، يناير ١٩٨٥م.
- عبد الغني محمد عبد الله، **الشعارات المملوكية «الرنوك»**، مجلة الوعي الإسلامي، س ١٣، ع ١٤٩، الكويت، مايو ١٩٧٧م.
- عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، القاهرة ١٩٧٥م.
- عبد المنعم ماجد، **نظم دولة المماليك ورسومهم**، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.
- عطا الله باشي، **الحمام الزاجل**، مجلة الرسالة، س ١٨، ع ٨٩٢، القاهرة، ٧ أغسطس ١٩٥٠م.
- علي إبراهيم حسن، **تاريخ المماليك البحرية**، القاهرة ١٩٤٨م.
- علي إبراهيم حسن، **مصر في العصور الوسطى**، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٤٧م.
- علي باشا مبارك، **الخطط التوفيقية**، ج ١٤، تقديم: جمال محرز، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة (١٩٦٩-٢٠٠٦).
- علي بن إبراهيم غبّان، **الآبار السلطانية بوادي الزريب بالوجه**، مجلة العصور، مج ٥، ع ٢، دار المريخ، لندن، يوليو ١٩٩٠م.
- فالتر هنتس، **المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، ط ٢، عمادة شئون المكتبات، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠١م.
- فؤاد الصياد، **الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين**، قطر ١٩٨٧م.
- ماريانو طاراديل، **التعريف بفن الشعارات الإسلامية**، تعريب عبدالله الخطيب، في المؤتمر

- الثالث للأثار في البلاد العربية، نوفمبر ١٩٥٩م، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
- مایسة محمود داود، **الرنوك الإسلامية**، مجلة الدارة، س٧، ع٣، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، فبراير ١٩٨٢م.
 - محمد أحمد دهمان، **مُعجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، بيروت ١٩٩٠.
 - محمد الأشقر، **نائب السلطنة في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)**، سلسلة تاريخ المصريين، ع١٥٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.
 - محمد باقر الحسيني، **دراسات عن نقود الثوار والشعارات والمناسبات المضروبة في أفريقيا**، مجلة المسكوكات، ع٧، بغداد ١٩٧٦م.
 - محمد باقر الحسيني، **دراسة إحصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي**، مجلة المسكوكات، ع٦، بغداد ١٩٧٥م.
 - محمد باقر الحسيني، **دراسة تحليلية إسلامية عن نقود الدعاية والإعلام والمناسبات**، مجلة المسكوكات، ع٦، بغداد ١٩٧٥م.
 - محمد بطاينة، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، عمان ١٩٨٥م.
 - محمد بن حسين الموجان، **الكعبة المشرفة عمارة وكسوة**، ط١، مركز الكون للثقافة والإبداع، جدة ٢٠٠٦م.
 - محمد جمال الدين سرور، **دولة بني قلاوون في مصر**، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت).
 - محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، دار النفائس القاهرة ١٩٩٧.
 - محمد صبحي حلاق، **الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكايل والأوزان والنقود الشرعية**، ط١، مكتبة دار الجيل الجديد، صنعاء ٢٠٠٧م.
 - محمد عطا، **الحمام الزاجل**، مجلة الفيصل، س٩، ع١٠٨، الرياض، فبراير - مارس ١٩٨٦م.
 - محمد قنديل البقلي، **التعريف بمصطلحات صُبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣.
 - محمد كامل فارس، **الرنوك المملوكية في المملكة الحلبية**، حولية عاديات حلب، ك٢، معهد

- التراث العلمي العربي، جامعة حلب، مدينة حلب ١٩٧٦ م.
- محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر المماليك (٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦ م)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١ م.
 - محمد محمد شراب، مُعجم بلدان فلسطين مُذيل بملحق مُعجم قبائل وحمائل وعائلات فلسطين، ط٢، المطبعة الأهلية، عَمَّان ١٩٩٦ م.
 - محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، س٩، ع٤٠٠، القاهرة مارس ١٩٤١ م.
 - محمود نديم، الفن الحربي للجيش المُصري في العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٣هـ/١٢٥٠-١٣٨٣ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣ م.
 - مها محسن أحمد، ذكر الأفكار في رسم الرنك والشعار، مجلة آثارنا اليوم، ع٣، مركز المعلومات، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ديسمبر - يناير ٢٠١٠ م.
 - ميخائيل عواد، أجوزة السفر في العصور الإسلامية، مجلة الكتاب، س١، مج٢، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مايو ١٩٤٦ م.
 - ميخائيل نيقولا، مسابقة البرق والغمام في سعاة الحَمَام، تحقيق حكمت توماش، مجلة المورد، مج٢، ع٣، بغداد، أيلول ١٩٧٣ م.
 - نانف حمود أبو قريحة، النظم الحربية عند السلاجقة، ط١، الرياض ٢٠٠٢ م.
 - نبيل عبد العزيز، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج٢٣، القاهرة ١٩٧٦ م.
 - نبيل عبدالعزيز، الحَمَام الزَّاجِل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج٢٢، القاهرة ١٩٧٥ م.
 - نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مِصر للطباعة، القاهرة ١٩٥٣ م.
 - نعمان أنطوان، كتاب الطائر الغريد في وصف البريد، مطبعة المقتطف، مِصر ١٨٩٠ م.
 - نعوم شقير، تاريخ سينا القديم والحديث، إشراف: أحمد زكريا، القاهرة ٢٠٠٧.

- هيئة التحرير، تقييظ كتاب الطائر الغريد في وصف البريد لنعمان أفندي انطوان، مجلة المقتطف، س ١٥، ج ١٢، بيروت سبتمبر ١٨٩١ م.
- وزارة المواصلات المصرية، تاريخ البريد في مصر، المطبعة البريدية، القاهرة ١٩٣٤ م.
- وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، سلسلة صفحات من تاريخ مصر (٢٥)، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥ م.
- يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، الكتاب الأول، ط ١، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٣ م.

رابعاً- الرسائل العلمية :

- أجفان الصغير، القلاع في فترة الحروب الصليبية ودورها الاقتصادي والاجتماعي والإداري عند المسلمين في بلاد الشام، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق ١٩٩٥ م.
- أحمد عبدالرازق، الفخار المصري المطلي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٩ م.
- حصة ناصر المبارك، الناصر محمد بن قلاوون والحياة الاقتصادية في عصره (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤١م)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٧ م.
- سامر دوغوظ، الرنوك في الأبنية المملوكية، رسالة جامعية، كلية هندسة العمارة، جامعة دمشق ١٩٨٩-١٩٩٠ م.
- سند عبد الفتاح، نظام البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة بأداب عين شمس القاهرة ٢٠٠٠.
- طلال الرفاعي، نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٦ م.
- نصر عوض حسين، دراسات في المراسيم الصادرة عن سلاطين دولة المماليك البحرية والجراسية «الرُخامية والحجرية»، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط ١٩٨٩ م.

خامساً- المراجع الأجنبية:

- Al-Mojan, M.H., **The Honorable Kabah Architecture and Kiswah**
- Amitai, R., **Mamluk Espionage among Mongols and Franks**, AAS, XXII, 1988
- Artin, Y., **Contribution à etude du Baslonen Orient**, London, 1902
- Ayolon, "Studies on the Structure of the Mamluk Army", **BSOAS**, 16, 1954
- Ayalon, D., "The Wafidia in the Mamluk Kingdom", **Islamic Culture**, 25 (1951).
- Combe, **Reperétoire Chronologiqued' Epigraphie Arabe**, Tom. XIII, IFAO, Le Caire, 1936.
- Dozy, **Supplément aux dictionnaires arabes**, vol.2, Brill 1881.
- Gibb, H. A., "The Armies of Saladin", **SCI**, 76, London, 1962
- Herzfeld, E., **Syrie du nord**, Le caire 1955.
- Mayer, L. A., **Saracenic Heraldry: A Survey**, The Clarendon Press, Oxford, 1933
- Mayer, L.A., "Uneenigme du blason Musulman", **BIE**, XXI, Le Caire, 1939
- Petersen, A. D., **A Gazetteer of Buildings in Muslim Palestine**, Part 1, British Academy Monographs in Archaeology 12, New York, 2001
- Petersen, A., **Dictionary of Islamic Architecture**, Taylor & Francis e-Library, London and New York, 2002
- Rogers, E. T., "Le blason chez les princes musulmans de l' Egypte et de la Syrie", **BIE**, 2^e série, no. 1, Vol. II, XXXI, Le Caire, 1882.

- Sauvaget, J., **Un relais du BarîdMamelouk**, Extrait des Mélanges Gaudefroy - Demombynes, Le Caire, 1935
- Sauvaget, j, **La Poste aux Chevauxdans l' Empire des Mameloukes, Paris**, 1941
- Tavernari, C., "Les routes du Bilād al-Šām au bas MoyenÂge", **L' émoi de l' histoire**, 32, Paris, 2010
- Tsafrir, Y., DiSegni, L., Green, J., **Tabula imperiïromani, Iudaea, palaestina**, Jerusalem, 1994
- Tsugitaka, "State and Rural Society in Medieval Islam: Sultans, Muqta's and Fallahun", **Islamic History and Civilization**, Vol. 17, Leiden, 1997.
- Yāsmīn, Ādil Muhammad, **Al- Hawnağah in the MamlūkArt**, Cairo 2007.

Prince Shams al-Din Qarasnqr al-Mansouri: Issues based on the Mamluk Sources

The researcher deals with the prince's personality Shams Al-din Qarāsunqur, who has witnessed many of the Mamluk Sultans, such as Al-mansour Qalawon, Al-Ashraf Khalil, Al-Naser Mohamed, Al-Adel Katbugha, Al-Mansour Lajen, and Al-Muzzaffer Baybers. This means that he knew both small and Critical things in Citadel of the mountain in Cairo. This research deals with the birth of this prince, his family, his morals, his jobs, his works and achievements in Mamluk and Mongol State, and his relationship with the Arabs of the Muhanna, As well as the reasons for his escape to Khan of Mongol.

When he fled to the Mongol state, he was a deputy for the chief of the Mongols. He reached notable ranks in the court of Ḥudabandah, and his son Abi Sa'īd. But he later died, which affected the relations between the Mamluks and the Mongols.

Auther:

Dr. Sanad Ahmed Sana Abdelfattah

- Assistant Professor, History Department, Faculty of Arts, Ain Shams University
- Visitor Professor in Department of History, Faculty of Arts, Kuwait University.
- Master in Islamic History from Ain Shams University 2000.
- PhD in Islamic History from Ain Shams University 2004.

Publications:

1. Books:

- 1- **Izz Al-din ibn Shaddad as a Historian**, Ro'ya For publication, Cairo 2007.
- 2- **Studies in the History of the Ayyubid and Mamluks**, Cairo 2010.
- 3- **Egypt from the Beginning**, Arab Media Center, Cairo 2006.

2. Articles:

- 1- "Shaykh Khadir Al-mihrani and his Realation with Sultan al-zaher Baybars", **Middle East Research Journal**, 2016
- 2- "Sugar and its Factories in Mamluk Egypt (648-923H /1250-1517A.D)", **Annals of Faculty of Arts**, Ain Shams University, July 2016.
- 3- "Al-Udffwey and his Book al-tal' al-said al-jam' Asma' Nogba' al-said", **Journal of the Egyptian Society for Historical Studies**, 44(2006).
- 4- "Poultry in Mamluk Egypt (648-923H /1250-1517A.D)", **Annal of Islamic and Medieval History**, 2012
- 5- "Fish and its Sources in Mamluk Period", **Middle East Research Journal**, September 2008.
- 6- "The Princes of Unemployment during the Mamluk Sultans", **Annals of Faculty of Arts**, Ain Shams University, July 2008.

Monograph 484

**Prince Shams al-Din Qarasnqr
al-Mansouri: Issues based on the
Mamluk Sources**

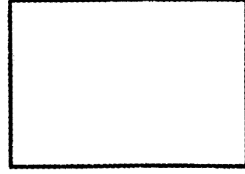
**Dr. Sanad Ahmed Abdel Fattah
Department of History - Faculty of Arts
Ain-Shams University
Egypt**

عزيزي القارئ:

يسر أسرة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية أن ترحب بكم وتتقدم لكم بأطيب التحيات، شاكرين لكم سلفاً تعاونكم من أجل تطوير الحوليات؛ وذلك من خلال إجاباتكم عن هذه الأسئلة:

- ١ - العمر: سنة
- ٢ - الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى
- ٣ - بلد الإقامة: ☐ الكويت ☐ خارج الكويت (انكر)
- ٤ - التعليم: ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراه
- ٥ - طبيعة المهنة: ☐ أكاديمي ☐ إداري ☐ مهني ☐ أخرى (وانكرها) ...
- ٦ - مواضيعك المفضلة: ☐ أدبية ولغوية ☐ سياسية ☐ اجتماعية ونفسية ☐ تاريخية ☐ ثقافية ☐ أخرى (وانكرها) ...
- ٧ - كيف تحصل على الحوليات؟ ☐ شراء ☐ اشتراكاً ☐ استعارة ☐ لا
- ٨ - هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟ ☐ نعم ☐ لا
- ٩ - رأيك في حجم الحوليات؟ ☐ كبير ☐ متوسط ☐ صغير
- ١٠ - كيف ترى موضوعات الحوليات؟ ☐ متنوعة ☐ غير متنوعة
- ١١ - ما الطابع العام للحوليات من وجهة نظرك؟ ☐ لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع
- ١٢ - هل تقرأ الحوليات بانتظام؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٣ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٤ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٥ - هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٦ - اقتراحاتك لتطوير الحوليات وتطوير خدماتها للقارئ:

.....



حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

ص.ب: 17370 الخالدية
الكويت 72454
دولة الكويت

البريد الجوي
BY AIR MAIL
PAR AVION

المجلة العربية للعلوم الإدارية



Arab Journal of Administrative Sciences

رئيس التحرير: أ. د. آدم غازي العتيبي

- صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٩٣.
- First issue, November 1993.
- علمية محكمة تعنى بنشر البحوث الأصلية في مجال العلوم الإدارية.
- Refereed journal publishing original research in Administrative Sciences.
- تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت ثلاثة إصدارات سنوياً (يناير - مايو - سبتمبر).
- Published by Academic Publication Council, Kuwait University, 3 issues a year (January, May, September).
- تسهم في تطوير الفكر الإداري واختبار الممارسات الإدارية وإثرائها.
- Contributes to developing and enriching administrative thinking and practices.
- مسجلة في قواعد البيانات العالمية.
- Listed in several international databases.
- تخضع للتقييم الأكاديمي الخارجي.
- Reviewed periodically by international referees for high academic standards.

الاشتراكات

الكويت: 3 دنائير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات - الدول العربية: 4 دنائير للأفراد - 15 ديناراً للمؤسسات
الدول الأجنبية: 15 دولاراً للأفراد - 60 دولاراً للمؤسسات

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

المجلة العربية للعلوم الإدارية - جامعة الكويت ص.ب: 28558 الصفاة 13146 - دولة الكويت
هاتف: (965)24827317 - أو 4734 / 4416 (965)24984415 - فاكس: (965)24817028
E-mail: ajas@ku.edu.kw - Web Site: <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajas>

المجلة التربوية



مجلة فصلية، تخصصية، محكمة
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
رئيس التحرير: أ. د. عبدالله محمد الشيخ



نُشَر:

- البحوث التربوية المحكمة
- مراجعات الكتب التربوية الحديثة
- محاضر الحوار التربوي
- التقارير عن المؤتمرات التربوية
- وملخصات الرسائل الجامعية

❖ تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.
❖ تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت: ثلاثة دنائير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول العربية: أربعة دنائير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول الأجنبية: خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب. ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955
الكويت هاتف: ٢٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ - ٤٤٠٩) - مباشر: ٢٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٢٤٨٣٧٧٩٤

E-mail: joe@ku.edu.kw

إصدار شهري

«تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر»

نعرض بشؤون الأنظمة والمحاماة



أهداف المجلة :

- * طرح ومعالجة شتى قضايا العصر ذات الطابع الشرعي والقانوني مع التركيز على إبراز الفقه الإسلامي وتبيان تميزه وشموليته في معالجة تلك القضايا .
- * أن تكون ساحة إعلامية لنوي الإختصاص الشرعي والقانوني يقدمون من خلالها البحوث والدراسات ، فضلاً عن التحقيقات الصحفية المتميزة ذات العلاقة .
- * نشر الوعي بأهمية المحاماة ، وحاجة الناس إليها والتأكيد على أن المحاماة علم ، وفن ، ورسالة .

دعوة للمشاركة :

- * يسر «المحامي» دعوتكم للمساهمة عبر صفحاتها في كل الشؤون الشرعية والقانونية من بحوث ودراسات ومقالات أو تحقيقات .
- * تقدم المجلة مكافأة عن المقالات والمواضيع التي تقبلها للنشر .

رئيس التحرير :

المحامي / طارق المزني

سكرتير التحرير :

حسين العسكر

مسؤول اشتراكات :

خالد يس

الهيئة الاستشارية :

فضيلة الشيخ / عبد الله البسام

فضيلة الشيخ / مصطفى الزرقا

فضيلة الشيخ / سعد البريك

سعادة الدكتور / سعود الدريب

سعادة الأستاذ / عبدالله السبهان

سعادة الدكتور / عبدالفتاح خضر

سعادة المستشار / أحمد منير فهمي

الاشتراكات: المملكة العربية السعودية : ١٠٠ ريال في السنة (للأفراد والمؤسسات)

الدول الأخرى : ٢٧ دولار أمريكي (للأفراد والمؤسسات)

تدفع الاشتراكات باسم المجلة ، بشيك مسحوب على أحد المصارف السعودية أو بتحويل مصرفي باسم رئيس التحرير : حساب رقم ٥٦٤٩/١ - شركة الراجحي المصرفية للاستثمار - الرياض - فرع الروضة .

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير : ص . ب ٦٨٧٤ الرياض (١١٤٥٢)

هاتف : ٤٦٥٢٧٢٥ (٩٦٦١) / فاكس : ٤٦١٣١٥٢ (٩٦٦١)

مَجَلَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَسْأَلِ الْإِسْلَامِيِّ

فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مَحْكَمَةٌ تَصْدُرُ عَنْ مَجْلِسِ النُّشْرِ الْعِلْمِيِّ بِجَامِعَةِ الْكُوَيْتِ
تُعْنَى بِالْبَحْثِ وَالدراسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: وليد خالص الزبيح

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤ هـ - أبريل ١٩٨٤ م

- * تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
- * تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوى شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
- * تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
- * تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص ب ١٧٤٢٣ الخالدية 72455 الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ - ٢٤٩٨٨٠٩٥ فاكس: ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: E-mail - jsis@ku.edu.kw - الاشتراكات - هاتف: ٢٤٩٨٦٠٦١ - 1029 - 8908 issn:

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: <http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS>

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى: دار المنظومة www.mandumah.com

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية: EBSCO Publishing Products

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول منها في يناير عام 1975م

رئيس التحرير

أ. د. بنیان سعود تركي

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون
منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات العلمية.

ومن أبوابها

- البحوث العربية.
- البحوث الإنجليزية.
- عرض الكتب ومراجعتها.
- البيبلوجرافيا العربية.
- البيبلوجرافيا الإنجليزية.
- ملخصات الرسائل الجامعية:
- (ماجستير - دكتوراه).
- التقارير: مؤتمرات - ندوات

الاشتراكات

ترسل قيمة الاشتراك مقدماً بشيك لأمر - جامعة الكويت
مسحوب على أحد المصارف الكويتية

داخل دولة الكويت : للأفراد : 3 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول العربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول الغير عربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً

توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

ص.ب: 17073 الخالدية - الرمز البريدي: 72451 الكويت

تلفون: 24984067 - 24984066 - 24833215 - 965 + فاكس: 24833705 - 965 +

E-mail: jgaps@ku.edu.kw - jgaps.ku@gmail.com

<http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps>

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية:

EBSCO Publishing Products

دار المنظومة: www.mandumah.com

الرقم الدولي للمجلة: 4288 - 0254 ISSN



لجنة التأليف والتعريب والنشر



جامعة الكويت مجلس النشر العلمي

تشكلت لجنة التأليف والتعريب
والنشر - التابعة لمجلس النشر
العلمي بجامعة الكويت
في عام 1976 م .

* أهداف اللجنة :

- 1- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت .
- 2- إشراف المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية .
- 3- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف الرئيسية التي انعقد عليها الإجماع العربي .

* مهام اللجنة :

طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والأكاديمية والكتب الجامعية (Text Book) . و المترجمة لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها علي نفقة الجامعة . وراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية .

توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي :

لجنة التأليف والتعريب والنشر / جامعة الكويت

ص.ب : 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت

تلفون : 4843185 / فاكس : 4843185

البريد الإلكتروني : kuc01.kuniv.edu.kw @atape

مجلة فصلية أكاديمية

محكمة تعنى بنشر البحوث

والدراسات القانونية والشرعية

مجلة الحقوق



تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور/ فيصل عبدالله الكندري



صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية	
٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً	الأفراد
١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً	المؤسسات



توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت

تلفون: ٢٤٨٣٥٧٨٩ - ٢٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٢٤٨٣١١٤٣

E.mail: jol@ku.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol>

ISSN 1029 - 6069



التعاون Attaawun

رئيس التحرير
الدكتور مرزوق بشير مرزوق

صدر العدد الأول

في ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ — يناير ١٩٨٦ م

— تقبل الدراسات والبحوث والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا دول
مجلس التعاون في جميع المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية
والإعلامية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية .

— تشمل على بحث أو دراسة رئيسية إضافة إلى الأبواب الثابتة الأخرى تحت
عنوان : بحوث — آراء ووجهات نظر / تقارير / وثائق / عرض كتب /
يوميات مجلس التعاون / بيليوغرافيا مجلس التعاون / إحصاءات مجلس التعاون

يحررها نخبة من الباحثين والمختصين
يمنح المشاركون مكافأة مالية وفق نظام المكافآت الخاصة بالمجلة

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير — مجلة التعاون

ص . ب : ٧١٥٣ — الرياض : ١١٤٦٢

هاتف : ٤٨٨٠٤١٢ (٩٦٦١)

فاكس : ٤٨٢٩١٠٩ (٩٦٦١)

Email : attaawun@gcc-sg.org

KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE

An International Journal of the Kuwait University

ISSN 2307 - 4108

A refereed Journal publishes original research in various fields of Basic and Applied Sciences and also Computer Sciences. The Journal is published three times a year by the Academic Publication Council (APC) Kuwait University.

The Journal is indexed and abstracted by major publishing houses such as Chemical Abstract, Science Citation Index Expanded, Mathematical Reviews, SCOPUS, zbMATH, Current Contents, Mathematics Abstract, Microbiological Abstracts, Directory of Open Access Journals (DOAJ) etc.

Annual Subscription

Inside Kuwait:	3 KD 15 KD	<i>for individuals. for establishments</i>
Arab Countries:	4 KD 15 KD	<i>for Individuals. for establishments</i>
Other Countries:	15 US\$ 60 US\$	<i>for Individuals. for establishments</i>

Index to KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE is available from the Academic Publication Council, Kuwait University.

All Correspondence and Manuscripts directed to:
Professor Mohammad Afzal, Editor-in-Chief
P.O.Box 17225, Khaldiya 72453, KUWAIT
Tel: (+965) 2481 6261, 2498 4414, 2498 4625, 2498 4456.
Fax: (+965) 2484 6725

E-mail: kjs@ku.edu.kw
Website: <http://journals.ku.edu.kw/kjs>

The Journal is now Printed and bounded in the STATE OF KUWAIT by the Al-Khat Printing Press Company. P. O. Box: 26992 Safat 13130 Kuwait
Tel.: (+965) 24844545 Fax: (+965) 24844949
(Email: info@alkhatpress.com)

The Publications of The Academic Publication Council

Journal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974 (Split to KJS, JER 2013), Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship Translation and Publication Committee 1976, Journal of Law 1977, Annals of the Arts and Social Sciences 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Educational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.
--

المجلة العربية للمعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

ajh بحوث باللغة العربية
ajh بحوث باللغة الإنجليزية
ajh مناقشات وندرات
ajh عروض الكتب الجديدة



رئيسة التحرير

أ.د. نسيمه راشد الغيث

مجلس
النشر
العلمي



ص.ب: 26585 الصفاة 13126 الكويت- هاتف: (965)24817689 - (965)24815453 فاكس: (965) 24812514

P.O. Box 26585 Safat, 13126 Kuwait - Tel.: (965) 24817689 - (965) 24815453 - Fax: (965) 24812514

Email: ajh@ku.edu.kw - http:// www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajh

مجلة العلوم الاجتماعية

تأسست عام ١٩٧٣م - فصلية - محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاجتماع والخدمة الاجتماعية
وعلم النفس والأنثروبولوجيا والجغرافيا وعلوم المكتبات والمعلومات والأعلام



رئيس التحرير:

د. مها مشاري السجاري

تفتح أبوابها أمام

أوسع مشاركة للباحثين العرب في مجال العلوم الاجتماعية
لنشر البحوث الأصلية والاسهام في معالجة قضايا مجتمعهم

ترحب بالدراسات المقارنة وتشجع على التكامل بين مختلف
تخصصات العلوم الاجتماعية

عرض مراجعات الكتب والتقارير وملخصات رسائل ماجستير
والدكتوراه

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى

EBSCO PUBLISHING

و دار المنظومة www.mandumah.com

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت

ص. ب: 27780 الصفاة، 13055 الكويت

تلفون: 00965 24810436

فاكس: 24836026

jss@ku.edu.kw

E-mail jsskuwait@gmail.com

الاشتراكات

الدول الأجنبية		الكويت والدول العربية	
أفراد	١٥ دولاراً	أفراد	٣ دنانير سنوياً في الكويت ٤ دنانير في الدول العربية
مؤسسات	٦٠ دولاراً في السنة ١١٠ دولارات لسنتين	مؤسسات	١٥ ديناراً في السنة ٢٥ ديناراً لمدة سنتين

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم جامعة الكويت أو بتحويل مصري في حساب
جامعة الكويت رقم ٠٤٢١٠٢٦٠٨ لدى البنك المركزي في الكويت.

IBN / KW 21CBKU 000000000000004202608

Visit our Website: apc.kuniv.edu.kw/jss

حساب المجلة بالتويتر: @jsskuwait1

حساب المجلة بالاسـتغرام: @jsskuwait

Advisory Board

Prof. Basil Hatim

American University - Sharjah
United Arab Emirates

Prof. Mona Baker

Manchester University

Prof. Ibrahim Al-Sa'afin

Department of Arabic Language and
Literature - Jordan University

**Prof. Abdul Qader Al-Fasi
Al - Fehri**

Department of Arabic Language and
Literature - Mohamed V University

Prof. Ismail S. Muqlad

Department of Political Science
Assiout University

**Prof. Imam Abdul Fattah
Imam**

Department of Philosophy
Ain - Shams University

**Prof. Hamdi Hasan Abul-
Enein**

Dean, Faculty of Mass Communication
Misr International University

**Prof. Mohammed M. I.
Al-Dib**

Department of Geography
Ain - Shams University

**Prof. Mahmoud Al-Sayed
Abul-Nil**

Department of Psychology
Ain - Shams University

Editorial Board

Prof. Yagoub Y. Al-Kandari

Editor - in - Chief

Prof. Oayed Al-Mashaan

Department of Psychology

Prof. Gassem S. Al-Fuhaid

Department of Arabic Language

Prof. Hadi M. Ashkanani

Department of Sociology and
Social Work

Prof. Magdi S. Abdelhafedh

Department of Philosophy

Dr. Menawer B. Al-Raghy

Department of Mass Communication

Dr. Abdulmuhsen Altabtabae

Department of Arabic Language

Dr. Layla M. H. Almaleh

Department of English

Dr. Sanad A. Abdulfatah

Department of History

Maha Ibrahim Al-Mas'ad

Acting Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT
PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELE-
VANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE
VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF
ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Department of Mass Communication

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Department of Sociology and Social Work
- Department of Geography
- Department of Psychology
- Department of Political Science

Volume 38, 2017